

أَبوَاب العِرفَان

عِيسى النمَيّلي



رِسَالَةُ

أَبْوَابِ العِرْفَانِ

فِي مَسَائِلِ الرَّشَادِ وَالْبَيَانِ

تَأْلِيف

عِيسَى بْنُ الشَّيْخِ رَمَضَانُ النُّمَيْلِيُّ

إِعْدَادُ وَتَحْقِيقُ

كَتِيبَةِ مُحَمَّدِ ابْنِ نُصَيْرٍ اَلْعَقَائِدِيَّةِ

طبعة الكتيبة الاولىٰ للكتاب

١٤ ربيع الثاني ١٤٤٧

٦ / ١٠ / ٢٠٢٥


مُحَمَّدِ اِبْنُ نُصَيْرٍ
العَقَائِدِيَّةُ فِيْ بَيَانِ
الحَقَائِقِ المَخْفِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك

نستعين اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

١٤٢٣





مكتبة كتيبة
محمد بن نصير العقائدية

تنويه عام

النصوص والروايات الواردة عن موالينا جل جلالهم واصحابهم تمثل منهجنا ومصدر عقائدنا.
أما الآراء والتفسيرات الواردة في الكتب التي ننشرها فتعبر عن وجهة نظر المؤلف بالمقام الأول ولا تعكس بالضرورة موقف المكتبة الفكري والعقائدي، ولا تعني مخالفتنا لها أيضا.

ملاحظة

الكتب التي تنشرها المكتبة أما من تحقيق وإعداد مكتبة الكتيبة كاملاً. أو المكتبة تقوم بإعادة نشرها فقط بعد تعديلات بسيطة، وسيشار لهذا في مقدمة الكتب.

حقوق النشر

الإِهْدَاءِ

إلى الأرواحِ التي ظمئتْ فلم تَرْوَ إلّا من ينابيعِ المعنى الصّافي

وإلى العقولِ التي ما قنعتْ بقشورِ الظواهرِ ولا برحيقٍ زائفٍ جافِ

بل غاصتْ في لُجِجِ الفكرِ، تبحثُ عن جواهرِ الحقِّ الخفّافِ

إلى طلابِ الحقيقةِ، من جعلوا السؤالَ محرابًا

والتأملَ سُلّمًا يُرتقى به إلى أبوابِ المعرفةِ والألبابا

وإلى المؤمنين

الذين ما ركنوا إلى تقليدِ آباءٍ أو سُكونِ يقين

بل ساروا بنورِ البصيرةِ، يهتدون بالفطرةِ، ويستنيرونَ بنورِ المتين

إليكم أهبُ هذا الكتابَ

قبسًا من فكرٍ طيّبٍ، ونبضًا من قلبٍ مُجاب

لعلّ فيه للباحثِ عونٌ، وللساعي سُلوانٌ

وللفؤادِ المُحبِّ بُرهانٌ واطمئنان

الفهرس

أبواب العرفان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نَبْتَدِي عَلَى خَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ إِنَّهُ جَوَّادٌ كَرِيمٌ عَلِيٌّ عَظِيمٌ مُحِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، مَوْلَانَا الْحَنَّانِ الْمَنَّانِ بِنَسْخِ **(رِسَالَةِ أَبْوَابِ الْعِرْفَانِ فِي مَسَائِلِ الرَّشَادِ وَالْبَيَانِ)**، تَأْلِيفُ الشَّيْخِ الْعَالِمِ الْعَارِفِ الْبَارِعِ وَالسَّيْفِ الْمُهَنَّدِ الْقَاطِعِ، فَعَدَّ لَكَ الْعُلُومَ الْخَفِيَّةَ مِنْ جَوَاهِرِ الْكُتُبِ الْحَقِيقِيَّةِ وَمِنْ جَوْهَرِ الْقِرَانِ الْمَجِيدِ، الَّذِي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1]، مُوْضِعُ سَرَائِرِهَا وَمُجْلِي جَوَاهِرِهَا الشَّيْخُ عِيسَى بْنُ الشَّيْخِ رَمَضَانَ الْمُلَقَّبُ النُّمَيْلِيَّ الْمُخَوَّلُ فِي الكلبي، أناله الرضا وبلوغ الإرادة والمنى، إنّه سَمِيعُ الدُّعَاءِ رَؤُوفٌ بِمَنْ يَشَاءُ، قَالَ الْمُؤَلِّفُ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَالْمُوَضِّحُ لِهَذِهِ الدَّلَالَةِ: لِيَعْلَمَ الْوَاقِفُونَ عَلَى رِسَالَتِنَا هَذِهِ فِي حَيَاتِنَا وَبَعْدَ وَفَاتِنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ أُصُولَ الْحَقَائِقِ، السَّالِكِينَ سُبُلَ الطَّرَائِقِ، إِنِّي أَنَا الْفَقِيرُ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَلَّفْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ عَجَبًا وَلَا رِيَاسَةً وَلَا اسْتِكْبَارًا وَلَا تَفَاوُضًا عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا لِأَجْلِ رِيَاسَةٍ عِنْدَ قَلِيلِي الْفَهْمِ، بَل إِنَّمَا أَنَا الْفَقِيرُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي بَعْضِ الأَيَامِ اجْتَمَعْتُ مَعَ شَيْخِي وَسَيِّدِي وَمُذَكِّرِي الْعَالِمُ الْفَاضِلُ الْكَامِلُ الشَّيْخِ خَلِيلِ مَعْرُوف، أَنَارَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ وَرَجَّح لَهُ فِي الْبَعْثِ مِيزَانَهُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْمَنَاصِفِ، وَحَضَرَ مَعَنَا جَمَاعَةٌ مِنْ إِخْوَانِ ذَلِكَ

(1) فصلت: 42

الْجَبَلِ، وَفَقَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَجَرَى بَيْنَنَا مُحَادَثَةٌ عَنْ ظُهُورِ الْبَارِي عَزَّ شَانُهُ، وَكَيْفَ عَدَلَ فِي الْقَضِيةِ وَأَنْصَفَ بِحِكْمَتِهِ فِي الْبَرِيّةِ، وَكَيْفَ عَدَلَ لِعَالَمِ النُّورِ بِالصُّوْرَةِ النُّورَانِيَّهْ، وَلِعَالَمِ الْأَبْشَارِ بِالصُّورَةِ الظِّلِّيَّةِ الْخَيَالِيَّةِ وَكَيْفَ تَنْزِيهِهِ عَنْ الصُّورَتَيْنِ، وَتَعْظِيمِهِ عَنْ الْهَيْئَتَيْنِ فَكَانَ جُمْلَةُ أَقْوَالِهِمْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَانُ الْمُدَّعُونَ بِمَعْرِفَةِ مَحْضِ الإِيمَانِ، فَلَيْسَ بَلَغتُم قَرَارُ التَّوْحِيدِ، وَلَا بِمَا تَعَمَّدْتُمْ عَلَيْهِ مِن أَخْبَارِ الْقُرَآنِ الْمَجِيدِ، وَإِنَّمَا إِقْرَارُكُمْ بِهَذِهِ الصُّورَةِ النُّورَانِيَّهْ بِنَوْعِ التَّيهِ وَالْحَيْرَةِ وَقِلَّةِ الْفَهْمِ وَالْبَصِيرَةْ وَبِهَذَا بَدَّلْتُمْ قَوْلَ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَ بِهِ أُوْلُو الأَلْبَابِ، بِأَنَّ الْبَارِي عَزَّتْ لَاهُوَتِيَّتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤهُ غَيْبٌ مَنِيعٌ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، لَا يُصَوَّرُ بِالْفَهْمِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ بِأَمْثِلَةٍ، وَإِنَّهُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ وَحُلْمِهِ وَلُطْفِهِ ظَهَرَ لِعَالَمِ الْبَشَرِ بِالصُّورَةِ الْبَشَرِيةِ الْهَابِلِيَّةِ إِلَى تَمَامِ السَّبْعِ قِبَابٍ، وَهِيَ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ عَدْلًا وَإِنْصَافًا لِلْعَوَالِمِ الْبَشَرِيَّةِ، لِكَيْ يَفْهَمَ كُلُّ جِنْسٍ عَنْ جِنْسِهِ فَقُلْتُ لَهُمْ كُلُّ هَذَا حَقٌّ وَإِقْرَارُكُمْ صِدْقٌ، فَكَيْفَ عِنْدَكُمْ إِنَّهُ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ عَدَلَ عَلَى الْعَالَمِ الْكَثِيفِ الْجُسْمَانِيِّ؟ وَمَا قَوْلُكُمْ بِعَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ لِعَالِمِ النُّورِ الشَّرِيفِ الرُّوحَانِيِّ؟ فَكَانَ جَوَابُهُمْ أَنّ هَذَا شَيْءٌ لَمْ نَحْتَجْ إِلَيْهِ، وَلَا نَحْنُ مُسْؤَلُونَ عَنْهُ لِنَسْتَدِلَّ عَلَيْهِ، وَهَذَا شَيءٌ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ أَصْحَابَ الْقِدَمِ وَلَا تَحَدَّثَتْ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ، فَقُلْنَا لَهُمْ: يَا أَيُّهَا الإِخْوَانُ الْفُضَلَاءُ وَالسَّادَةُ النُّبَلَاءُ بِكِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ، وَمَا قَوْلُكُمْ بِكُتُبِ مَوَالِينَا الْمُتَقَادِمِينَ وَرَسَائِلِ سَادَاتِنَا الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى كُلِّ تُحْفَةٍ وَأَوْرَدُوا لَنَا كُلَّ طَرْفَةٍ، وَكُتُبُهُمْ مَوْجُودَةٌ، ودَلَائلهم مَشْهُورَةٌ! فَقَالُوا لَنَا:

هَذَا عِلْمُ قِيَاسٍ، مَا لَهُ فِي الْقِدَمِ أَسَاسٌ، وَإِنْ كَانَ الْبَارِي عَزَّ شَأْنُهُ عَدَلَ عَلَى عَالَمِ النُّورِ بِصُورَةٍ نُورَانِيَّةٍ، عِلْمُهَا عِنْدَ عَالَمِ النُّورِ، وَنَحْنُ عِلْمُنَا بِمَعْرِفَتِهَا غَيْرُ جَائِزٍ، وَلَا أَقْرَرْنَا لَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَدْرَكَتْنِي الْغَيْرَةُ بِتَأْلِيفِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَإِنِّي أُوَضِّحُ فِيهَا الشَّوَاهِدَ الْحَقِيقِيَّةَ مِنْ جَوَاهِرِ الْكُتُبِ الْأَصْلِيَّةِ، وَأَجْعَلُهَا أَبْوَابَ تَهْدِي إِلَى مَعْرِفَةِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، وَسَمَّيْتُهَا (رِسَالَةَ أَبْوَابِ الْعِرْفَانِ فِي سُبُلِ الْبَيَانِ)، وَهَذَا بَيَانُ أَبْوَابِهَا الْمَذْكُورَةِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْمُسْتَعَانُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ آمِين.

الْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي مَعْرِفَةِ اخْتِلَافِ الشِّيعَةِ.

اَلْبَابُ الثَّانِي: فِي تَنْزِيهِ الْمَعْنَى وَانْفِرَادِهِ عَنْ التَّكْيِيفِ، وَإِنَّهُ وَاحِدٌ.

الْبَابُ الثَّالِثُ: فِي الْاحْتِجَاجِ عَلَى إِثْبَاتِ ظُهُورِ الْبَارِي فِي الصُّورَتَيْنِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ: فِي أَسَامِي الْبَارِي فِي صُورَةِ الْكَمَالِ، وَبَدْوِهِ فِي الْأَسَامِي الْبَشَرِيَّةِ.

الْبَابُ الْخَامِسُ: فِي مَعْرِفَةِ الْبَارِي فِي الصِّفَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَانْفِرَادِهِ عَنْهَا.

الْبَابُ السَّادِسُ: فِي مَعْرِفَةِ صُورَةِ الْوُجُودِ الَّتِي بَدَتْ مِنَ الذَّاتِ.

الْبَابُ السَّابِعُ: فِي مَعْرِفَةِ بُدُوِّ النَّفْسِ.

الْبَابُ الثَّامِنُ: فِي مَعْرِفَةِ الْأَكْوَانِ السَّبْعَةِ، وَتَرْكِيبِ طَبَائِعِ الْخَلْقِ وَامْتِدَادِهِمْ مِنْ عَنَاصِرِهَا.

الْبَابُ التَّاسِعُ: فِي مَعْرِفَةِ حَدَثِ ظُهُورِ الْأَزَلِ وَالْاسْمِ فِي الْأَكْوَانِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ وَبُدُوِّهِمْ لِلْأَكْوَانِ.

الْبَابُ الْعَاشِرُ: فِي الْاحْتِجَاجِ بِالصُّورَتَيْنِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، وَإِنَّهُمْ وَاحِدٌ بِلَا خِلَافٍ وَلَا فَرْقٍ.

الْبَابُ الْحَادِيَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ الظُّهُورِ الْخَفِيِّ عَنْ أَعْيُنِ الْمَمْزُوجِينَ.

الْبَابُ الثَّانِيَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ كَشْفِ الظُّهُورِ الْخَفِيِّ، وَبَيَانِهِ إِلَى الْخَلْقِ.

الْبَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ: فِي نَسَبِ الظُّهُورَيْنِ.

الْبَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ غَيْبَةِ الْمَعْنَى، وَالْأَشْخَاصِ الَّذِينَ غَابُوا مَعَهُ عَنْ الصِّفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَبَيَانِ مَعْرِفَتِهِمْ فِي الْأَجْرَامِ النُّورَانِيَّةِ.

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ: بِمَعْرِفَةِ نِدَاءِ الْبَارِي لِلْخَلْقِ، وَمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْإِجَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِنْكَارِ.

الْبَابُ السَّادِسَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ اسْمَيْ نَوْفَلِ ابْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ فِي الْأَسَامِي الْوَاقِعَةِ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَسَامِي النَّيْرَيْنِ وَمَعْرِفَةِ حَدِّهِ مِنْ حَدَّيْهِمَا.

الْبَابُ السَّابِعَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ الْأَسَامِي الْوَاقِعَةِ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَسَامِي النَّيْرَيْنِ، وَفَرْقُ حَدِّهِ مِنْ حَدَّيْهِمَا.

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمَا التَّسْخِيرُ فِي أَسَامِي النَّيْرَيْنِ، وَفَرْقُ حَدَّيْهِمَا عَنْ حَدَّي النَّيْرَيْنِ.

الْبَابُ التَّاسِعَ عَشَرَ: فِي مَعْرِفَةِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ فِي أَسَامِي النَّيْرَيْنِ، وَمَعْرِفَةِ حَدَّيِهِمَا مِنْ حَدَّيِهِمَا.

الْبَابُ الْعِشْرُونَ: فِي مَعْرِفَةِ الرُّوحِ الْعَاقِلَةِ مِنْ الرُّوحِ الْمُسَوِّلَةِ، وَتَدْبِيرِ الْأَكْوَانِ الَّتِي فِي طَبَائِعِ الْخَلْقِ.

الْبَابُ الْوَاحِدُ وَعِشْرُونَ: فِي مَعْرِفَةِ صُورَةِ الْوُجُودِ وَامْتِدَادِهَا مِنْ الذَّاتِ.

مُقَدِّمَةٌ

بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ بِأَزَلِيَّتِهِ، الْقَدِيمِ بِلَاهَوتِيَّتِهِ، الْمُتَفَرِّدِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، السَّرْمَدَانِيِّ بِدَيْمُومَتِهِ، جَلَّتْ ذَاتُهُ عَنْ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالنُّعُوتِ الْمُحَدَّثَاتِ، فَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْطَارُ، وَلَا تُنْعِشُهُ الْأَفْكَارُ، وَلَا تَبْلُغُهُ الظُّنُونُ، وَلَا تَصِفُ كَمَالُهُ الْوَاصِفُونَ، وَلَا لِقِدَمِهِ اسْتِدْلَالٌ، وَلَا حَدٌّ تُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ، قِدَمُهُ لَيْسَ بِمَحْدُودٍ، وَلَا انْتِهَاءَ لِحُكْمِهِ وَلَا نُفُودٍ، وَانْفِرَادُهُ غَيْرُ مَعْدُودٍ، مُكَوِّرُ الْأَكْوَارِ وَمُدَوِّرُ الْأَدْوَارِ وَمُبْدِي الْأَطْوَارِ، وَيُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَمُجْرِي الْفُلْكَ الدَّوَّارِ وَمُفْنِي الدُّهُورِ وَالْأَعْصَارِ، عُنْصُرُ الْعَنَاصِرِ وَجَوْهَرُ الْجَوَاهِرِ وَسِرُّ السَّرَائِرِ وَعَالِمُ مَا فِي الضَّمَائِرِ، الْبَاطِنِ الظَّاهِرِ صَاحِبُ الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَالذَّاتِ الْعَالِيَةِ وَالْبَدْءِ وَالْمَشِيئَةِ، الظَّاهِرِ بِالصُّورَةِ الْجَلِيَّةِ، الَّذِي خَلَقَ الشَّيء فَقَضَاهُ وَقَدَّرَهُ وَهَدَاهُ وَأَظْهَرَهُ لِخَلْقِهِ بِالصُّورَةِ الْمَرْئِيَّةِ، بِغَيْرِ مُجَانَسَةٍ لِنُورِ الذَّاتِ الْعَالِيَةِ فَهُوَ مَوْقِعُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِغَيْرِ مِثْلِ مِثْلِهِ، وَلَا فِكْرٍ افْتَكَرَهُ، بَلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ ﴿كُن فَيَكُون﴾[1] مِنْ غَيْرِ زَوَالٍ وَلَا انْتِقَالٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، ظَهَرَتْ قُدْرَتُهُ وَبَانَتْ حِكْمَتُهُ وَأَبْدَا حِجَابُهُ الرَّفِيعُ وَنُورُهُ الْبَدِيعُ اخْتَرَعَهُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وَجَعَلَهُ غَايَةَ مُتَجَلِّيَاتِهِ

(1) البقرة: 117

وَمَعْدِنَ إِشَارَاتِهِ وَمَوْقِعَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَجَعَلَهُ حِجَابَهُ الْأَعْلَى وَالْحُجَّةَ الْمُيَسِّرَةَ وَالنَّفْسَ الْمُحْذِرَةَ، وَقَلَّدَهُ جَمِيعَ مُلْكِهِ وَخَزَائِنَ وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَنَسَبَ إِلَيْهِ عَدْلَهُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ فَعَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَعْنَاهُ الَّذِي اخْتَرَعَهُ وَأَبْدَاهُ سَلَامًا لَا يَنْتَهِي عَدَدُهُ وَلَا يَنْفُذُ أَمَدُهُ بِدَوَامِ بَقَاهُ مُخَلَّدًا بِخُلُودِ مَعْنَاهُ، وَسَلَامٌ مِنْ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ وَاسْمِهِ الْمِيمِ الْعَظِيمِ عَلَى بَابِ رَحْمَتِهِ وَمُشرِّعِ دِيَانَتِهِ وَسَبِيلِ رُشْدِهِ وغَايَةِ قَصْدِهِ، الَّذِي لَا دُخُولَ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا مَعْرِفَةَ إِلَّا بِقَصْدِهِ، كَمَا أَخْبَرَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ عَلَى لِسَانِ الْحِجَابِ الْعَظِيمِ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾[1] وَعَلَى الْخَمْسَةِ الْأَيْتَامِ الْكِرَامِ، مَصَابِيحَ الظَّلَامِ، الَّذِينَ أَتَمُّوا بِمَعْرِفَةِ مَوْلَاهُم، وَسَارَعُوا بِطَاعَةِ مَعْنَاهُم، أَهْلُ الشَّرَفِ الْعَالِي وَالنُّورِ الْمِتْلَالِي، وَعَلَى الْخَمْسَةِ الْآلَافِ الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ، وَالْأَجْرَامِ النُّورَانِيَّةُ، الَّذِينَ أَمَدَّهُمُ اللَّهُ مِنْ سَنْحِ النُّورِ وَجَعَلَهُمْ مَعَهُ فِي كُلِّ ظُهُورٍ، وَأَشْرَقَ مِنْ نُورِهِمْ الْفَرْعَ الْبَاسِقَ، وَامْتَدَّ مِنْ نُورِهِمْ اللَّاحِقِ، وَعَلَى مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ الْعَالَمِ الشَّرِيفِ الرُّوحَانِيِّ الَّذِي خَلُصَ مِنْ الْكَثِيفِ الْجُسْمَانِيِّ، أَنَالَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ الرِّضَا وَبُلُوغَ الْإِرَادَةِ وَالْمُنَى حَسْبَ تَفَضُّلِهِمْ عَلَيْنَا وَإِحْسَانِهِمْ إِلَيْنَا.

أَمَّا بَعْدُ اعْلَمْ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحِقِّينَ وَالْعُلَمَاءِ الرَّاشِدِينَ أَنِّي لَا أُرِيدُ بِتَأْلِيفِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَجَبًا وَلَا افْتِخَارًا وَلَا

(1) البقرة: 189

رِيَاسَةً وَلَا اسْتِكْبَارًا، وَلَا لِأَجْلِ حَرْثِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَلَا امْتِحَانًا لِلْعَالِمِ مِنْ الشِّيعَةِ الْخَصِيبِيَّةِ، وَلَا لِلْمَكَاسِبِ وَمَرَامِهَا، وَلَا لِلَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَآثَامِهَا، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ اخْتِلَافِ الظُّنُونِ الْفَاسِدَةِ وَمِنْ كُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ النَّفْسُ الْجَاحِدَةُ، وَلَكِنْ ارْتَجِي أَنْ يَكُونَ لِي بِهَا بُلُوغُ الْمَرَامِ وَالنَّجَاةُ مِنْ ضَنَكِ دَارِ الْحُطَامِ وَقَدْ قَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**مَا مَاتَ مَنْ أَحْيَا عِلْمًا، وَلَا افْتَقَرَ مَنْ مَلَكَ فَهَمًا**». وَقَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**الْعِلْمُ هُوَ الْكَنْزُ الْعَظِيمُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**». وَقَالَ عَزَّ عِزّهُ: «**أُطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ كَانَ بِالصِّينِ**». وَقَالَ عَزَّ عِزّهُ: «**خُذُوا الْعِلْمَ وَلَوْ كَانَ عَلَى الْمَزَابِلِ**». وَقَالَ الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعِبَادِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**». وَقَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**صَاحِبُ الْعُلُومِ الْبَاطِنَةِ، الْعَارِفُ بِهَا، وَالْعَامِلُ بِمَا أُمِرَ بِهِ، يَرَى مَوْلَاهُ بِالنُّورَانِيَّةِ**».

وَقَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**مَنْ عَلَّمَ بَابَ هُدًى، فَلَهُ أَجْرُهُ وَأَجْرُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ عَلَّمَ بَابَ ضَلَالِةٍ، فَلَهُ إِثْمُهُ وَإِثْمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

فَلَمَّا أنْ تَحَقَّقْنَا هَذَا الْجَوَابَ الْمُحْكَمَ وَالشَّاهِدَ الْمُبِينَ، اجْتَهَدْنَا فِي بَيَانِ الْحَقِّ وَدَفْعِ الْبَاطِلِ، إِجَابَةً إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ شَأْنُهُ مِنْ قَائِلٍ قَوْله

تَعَالَى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾[١].

وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقَ عَزَّ عِزّهُ: «**قُلْ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ فِيهِ هَلَاكِكُ**».

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «رَاحَةُ الْعُلَمَاءِ بِوُجُودِ الْحَقِّ، وَرَاحَةُ السُّفَهَاءِ بِوُجُودِ الْبَاطِلِ، وَالْعَدْلِ مِيزَانِ الْبَارِي، مَا فِيهِ زَيْغٌ وَلَامِيلٌ».

وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**إِذَا كَثُرَتْ الْبِدَعُ فِي الدِّينِ، وَكَتَمَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ، جَازَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُ اللَّهِ**». وَقَالَ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ: «أَصْدَعُ بِالْحَقِّ لَا أُبَالِي مَنْ لَامَنِي فِيهِ أَوْ لَحَانِي».

(1) الكهف: 29

الْبَابُ الْأَوَّلُ
فِي مَعْرِفَةِ اخْتِلَافِ الشِّيعَةِ

أَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ لَمَّا رَأَيْتُ بَعْضَ الشِّيعَةِ الْخَصِيبِيَّةِ وَالْفُرْقَةَ النُّمَيْرِيَّةِ وَقَعَ بَيْنَهُمْ الِاخْتِلَافُ وَالِافْتِرَاقُ، وَتَشَعَّبُوا طَرَائِقَ، وَتَفَرَّقُوا شَرَائِعَ وَكَثُرَ بَيْنَهُمْ الْجِدَالُ وَالْمُقَارَفَةُ وَالْحِقْدُ وَالْمُخَالِفَةُ، وَكَثُرَتْ بَيْنَهُمُ النَّمِيمَةُ وَالْغِيبَةُ وَالتَّهِيمَةُ، وَتَجَاهُرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْغِيبَةِ وَالْقَرْضِ وَالْمِذَمَةِ وَالْبُغْضِ، تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ فِي رَأْيِهِ مَبْتُولٌ، وَفِي ظَنِّهِ مَشْغُولٌ ظُنُونُهُم فَاسِدَةٌ وَقُلُوبُهُم جَاحِدَةٌ، يَجْعَلُ أَحَدُهُمْ ظَنَّهُ مَوضِعَ سَبِيلَهِ كَيْفَ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَضَاهُ، وَرَأَيْتُ كَثِيرًا بِعَصْرِنَا مِمَّنْ يَدَّعِي بِالْعُلُومِ الشَّافِيَةِ وَالْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ، وَيُوْسِمُ مَا تَضَمَّنَتْ نَفْسُهُ فِي كِتَابٍ، وَيَجْعَلُهُ طَرِيقًا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الطُّلَّابِ.

وَيُضِيفُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الْمُزَخْرَفَاتِ مَا يُزِيغُ بِهِ قُلُوبَ الضُّعَفَاءِ، وَيُقَوِّي بِهِ عُنْصُرَ السُّفَهَاءِ، فَكَانَ إِذَا وَقَعَ أَوْ وَقَفَ بَعْضُهُمْ عَلَى كِتَابٍ يَقْرَأُهُ، يَتَمَسَّكُ مِنْهُ بِمَا يَهْوَاهُ وَلَوْ كَانَ بِهِ مَا يُزِيحُهُ عَنْ سَبِيلِ رُشْدِهِ وَهُدَاهُ، وَيُحَرِّفُونَ الْعُلُومَ بِرَأْيِهِمْ وَيَقِيسُونَهَا بِهَوَاهُمْ، وَقَدِ اقْتَصَرْتُ عَنْ بَعْضِ أَفْعَالِهِمْ وَمَا تَضَمَّنَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَنَرْجِعُ إِلَى مَا عَلَيْهِ اِعْتِمَادُنَا مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْأَقْوَالِ بِالصِّدْقِ مِمَّا جَاءَتْ بِهِ مَوَالِينَا الْأَئِمَّةُ الطَّاهِرِينَ عَزَّ عِزّهمُ وَمَا أَرْشَدُونَا إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، تَعْرِيفًا لِمَنْ يُقِرُّ وَيَشْهَدُ بِظُهُورِ الْبَارِي عَزَّتْ آلَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ

بِالصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ الظَّاهِرَةِ الْمَرْئِيَّةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ يُشِيرُونَ إِلَى دَلَائِلِهِ بِهَا لِلْعَالَمِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَيُنْكِرُونَ ظُهُورَهُ بِالنُّورِ لِلْعَالَمِ الشَّرِيفِ النُّورَانِيِّ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ مُحْتَجِبٌ فِي الْغَيْبِ الْمَنِيعِ، وَلَا يُشَاهِدُهُ بَعْدَ أَنْ أَوْرَى الْغَيْبَةَ مِنَ الصُّورَةِ الظِّلِيَّةِ أَحَدٌ مِنْ عَالَمِ الْبَشَرِ، وَنَفَوْا مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُبِينُ، الْفَارِقُ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، مِنَ الْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ وَاعْتَقَدُوا الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ الَّتِي ذُكِرَ فِيهَا التَّسْخِيرُ وَالتَّصْغِيرُ وَاخْتَصَرُوا مِنْهَا مَا اقْتَدَى فِيهِ رَأْيُهُمْ وَاسْتَخَارُوهُ بِهَوَائِهِمْ، وَجَعَلُوا مِنْهَا أَجْزَاءً مُخْتَصَرَةً يَتْلُونَهَا فِي مَجَالِسِهِمْ وَيَضَعُونَهَا فِي مَدَارِسِهِمْ، وَإِذَا حَضَرَ فِي بَعْضِ جُمُوعِهِمْ أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ مِنَ الْجَمَاعَةِ الْمُقْرِينَ بِظُهُورِ الْبَارِي فِي الْحَالَيْنِ، وَنَزَّهَهُ عَنْ الْهَيْئَتَيْنِ يِسَتَسْخِرُونَ بِهِ وَيُصَغِّرُونَ مَقَامَهُ كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ الشِّيعَةِ الْخَصِيبِيَّةِ، وَلَا هُوَ عَلَى الْمَقَالَةِ الشَّعِيبِيَّةِ، وَيُفْلِجُونَ حُجَّتَهُ، وَيُصَغِّرُونَ دَرَجَتَهُ بِالْأَقْوَالِ الْمُزَخْرَفَةِ وَالْأَجْوِبَةِ الْمُحرّفَةِ وَيَبْتَغُونَ بِانْتِصَارِهِمْ عَلَيْهِ بُلُوغَ الْمُنَى فِي دَارِ الْبَقَاءِ، وَهَذَا شَيءُ غَيْرُ جَائِزٍ بَيْنَ الشِّيعَةِ الْخَصِيبِيَّةِ الْمُقْرِينَ بِمَعْرِفَةِ عَيْنِ الْعُيُونِ، وَبِمِثْلِ هَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[1] مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّ نُورَ اللَّهِ تَامٌّ وَفَضْلُهُ عَامٌّ، وَقَدْ مَضَتْ أَكْوَارٌ وَأَدْوَارٌ وَدُهُورٌ وَأَعْصَارٌ وَسِنِينَ غَابِرَاتٍ وَتَحَوَّلَ آكَامٌ وَآجَامٌ وَتَفْنَى قُرُونٌ وَتَظْهَرُ قُرُونٌ، وَحُجَّةُ الْبَارِي وَاضِحَةٌ، وَدَلَائِلُهُ لَائِحَةٌ وَقِسْطَاسُهُ قَائِمٌ وَعَدْلُهُ حَاكِمٌ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن

(1) الصف: 8

نُورٍ﴾[1].

وَقَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ الْأُسُوسِ لِلسَّائِلِ: «**إِنَّ الْمِيزَانَ مِنْ كِيَانِهِ فِيهِ كَفَّتَانِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُوزَنُ فِيهِ، فَإِذَا قَطَعَهُ قَاطِعٌ أَوْ كَسَرَهُ كَاسِرٌ فَإِنَّمَا ضُرُّهُ عَلَى الَّذِي كَسَرَهُ، وَجَوْهَرُهُ جَوْهَرُهُ، وَوَزْنُ الْوَزْنِ فِيهِ قَائِمٌ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ، يَزِنُونَ وَهُوَ مَكْسُورٌ**» وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الظُّهُورَ الظِّلِّيَّ وَيَنْفُونَ الظُّهُورَ النُّورَانِيَّ وَيَحْتَجُّونَ عَلَيْنَا بِآيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ شَيْءٍ وَفَرْعُهُ وَبَيَانُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، فَنَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: لَا اعْتِرَاضَ لِقَوْلِ اللهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ، أَمَّا الْقُرْآنُ أُنْزِلَ وَعْدًا وَوَعِيدًا وَمُتَحَاكِمًا وَمُتَشَابِهًا، وَلَهُ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ، وَحَقِيقَةٌ وَطَرِيقَةٌ وَنَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2]، فَإِذَا كَانَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَقَدْ نَرَى فِيهِ مَا مِنْ نَبِيٍّ أَوْ رَسُولٍ فِي الْأَدْوَارِ الْمَاضِيَةِ وَالْأَزْمَانِ الْخَالِيَةِ إِلَّا وَلَهُ ذِكْرٌ فِي الْقُرْآنِ وَمُخْبَرٌ عَنْهُ مِنْ حَسَبٍ وَنَسَبٍ وَأَبَاءٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَزْوَاجٍ وَأَوْلَادٍ بِهَذَا كَانَ اعْتِقَادُ أَهْلِ الظَّاهِرِ بِأَسْرِهِمْ، وَلَا رَأَيْنَا وَلَا جَاءَنَا خَبَرٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ جَمِيعِ الْفِرَقِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الإِسْلَامِ إِلَّا وَهَذَا اعْتِقَادُهُمْ، وَيَنْسُبُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ، وَلَهُمْ طَرِيقٌ مِنَ الْقُرْآنِ يُؤَيِّدُ طَرَائِقَهُمْ وَقَدْ

---

(1) النور: 40

(2) آل عمران: 7

تَحقَّقَ عِنْدَ الشِّيعَةِ الْخُصَيْبِيَّةِ إنَّ ذَلِكَ تَخْيِيلٌ وَتَلْبِيسٌ عَلَيْهِمْ وَمَكْرٌ كَمَا أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾(١)، فَكَانَ مَكْرُهُمْ حِينَ دَعَاهُمْ فِي ذَرْوِ الْأَظِلَّةِ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ فِي سَائِرِ الظُّهُورَاتِ، فَيَظْهَرُ لَهُمْ وَيُرِيهِمُ الْقُدَرَ وَالْبَيِّنَاتَ وَالْمَعَاجِزَ وَالدَّلَالَاتَ الَّتِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْ عَالَمِ النُّورِ وَلَا مِنْ عَالَمِ الْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِجُزْءٍ مِنْهَا وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِجَابَةِ وَالْإِقْرَارِ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ فَأجَابَتْهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ: ﴿بَلَىٰ﴾(٢) بِحَقٍّ وَيَقِينٍ، وَأَجَابَ أَهْلُ الْجَحْدِ وَالْأَنْكَارِ "بَلَى" بِقَوْلِهِمْ يُوْمُونَ بِرُؤُوسِهِمْ، وَيَنْسُبُونَ أَفْعَالَهُ وَمَعَاجِزَهُ لِلسِّحْرِ وَالْخِدَاعِ، فَكَانَ هَذَا مَكْرُهُمْ، وَكَانَ مَكْرُهُ، عَزَّتْ قُدْرَتُهُ إِنَّهُ عَلِمَ مَا تَعَمَّدَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ الْجَاحِدَةُ وَظُنُونَهُمْ الْفَاسِدَةَ، وَأَرَاهُمْ عَلَى نَفْسِهِ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتَ وَالْأُخُوَّةَ وَالْأَخَوَاتَ وَالْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ، لِيَتِمَّ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ رُشْدُهُمْ وَإِقرَارُهُمْ، وَيَتِمَّ لِأَهْلِ الشَّكِّ جَحْدُهُمْ وَإِنْكَارُهُمْ، فَإِذَا احْتَجَّ عَلَيْنَا مُحْتَجٌّ وَقَالَ: إِنَّهُ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾(٣) فَنَقُولُ لَهُ: وَكَذَلِكَ قَوْلُ يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾(٤) وَذَلِكَ إِنَّهُ كَانَ لَا يَعْلَمُ وَمُحْتَاجٌ إِلَى مَعَلِّمٍ يُعَلِّمُهُ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ حَيْثُ قَالَ يُوسُفُ: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ

(1) آل عمران: 54
(2) الأعراف: 172
(3) يوسف: 4
(4) يوسف: 5-6

وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١)، فَدَلَّ إِنَّهُ مُفْتَقِرٌ لِنِعَمِ مَوْلَاهُ وَشَاكِرُهُ عَلَى نِعَمَاهُ، وَمُتْرَجِّيٌ تَمَامَ النِّعْمَةِ أنْ يَتَوَفَّيهِ عَلَى الإِسْلَامِ، كَأَنَّهُ كَانَ لَمْ يَبْلُغْ دَرَجَةَ الإِسْلَامِ، وَأنْ يُلْحِقْهُ بِالصَّالِحِينَ، كَأَنَّهُ مُقْتَصِرٌ عَنْ دَرَجِ الصَّالِحِينَ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أنْ يُلْحِقْهُ بِهِمْ، فَإِذَا أَقَمْنَا أَنَّ هَذَا مُحْكَمٌ غَيْرُ مُتَشَابِهٍ لَهُ الْعَظَمَةُ وَالْجَلَالَةُ وَكَذَلِكَ سُجُودُ النَّيِّرِينَ، إِذَا أَقَمْنَا أَنَّهُ مُحْكَمٌ غَيْرُ مُتَشَابِهٍ فَنَكُونُ أَثْبَتْنَا الْعَجْزَ عَلَى الظُّهُورِ النُّورَانِيِّ وَالظُّهُورِ الظِّلِّيِّ، وَنَكُونُ نَحْنُ وَجَمِيعُ أَهْلِ الظَّاهِرِ فِي الْقَوْلِ سَوَاءً، وَلَكِنَّ هَذَا شَيءٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ أَنْ نُغَيِّرَ مَا شَرَّعَهُ مَوَالِينَا وَسَادَاتُنَا الْمُتَقَادِمُونَ الْمُكَرَّمُونَ الَّذِينَ سَبَقُونَا لِلْعُلُومِ الشَّافِيَةِ وَلِمَحْضِ غَوَامِضِ الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَكُونَ لِأَثَرِهِمْ مُقْتَفِينَ وَعَلَى طَرِيقِهِمْ سَالِكِينَ مِثْلَ قَوْلِ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ وَالسَّيِّدِ أَبِي شُعَيْبٍ وَمُحَمَّدِ ابْنِ سِنَانٍ الزَّاهِرِيِّ وَسَيِّدِنَا الْخَصِيبِيِّ وَالْجَلِيِّ وَأَبِي سَعِيدٍ - منهم السلام - وَمَنْ تَقَدَّمَهُمْ وَمَنْ أَتَى بَعْدَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ، الَّذِينَ أَوْضَحُوا الطُّرُقَ وَالدَّلَائِلَ، وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ مَوْجُودَةٌ، وَدَلَائِلِهِمُ مَشْهُودَةٌ، فَمَا وَجَدْنَا وَلَا مَنْ أَخْبَرَنَا عَنْهُمْ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَمَا كَانَ لَهُمْ فِقْهٌ بِمَعَارِفِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ فِي أَيَّامِهِمْ غَيْرَ مَوْجُودٍ، أَمْ هُمْ كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْ إِيضَاحِ مَشَاكِلِهِ، فَالْجَوَابُ يَنْقَسِمُ عَلَى نَوْعَيْنِ:

---

(1) يوسف: 101

أَوَّلُهَا: إِنْ كَانُوا وَقَفُوا عَلَيْهِ وَمَا قَدَرُوا عَلَى تَدْبِيرِ إِصْلَاحِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلَكُوا الشِّيعَةَ، لِأَنَّهُمْ دَعَوْا النَّاسَ إِلَى مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، وَكَانَتْ حُجَّتُهُمْ غَيْرَ ثَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: إِنْ أَقَمْنَا عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَارِفِينَ مَسَالِكَ طُرُقِهِ وَبَالِغِينَ غَوَامِضَ حَقَائِقِهِ وَبَدَّلُوهُ تَلْبِيسًا وَأَنْكَرُوْا ظُهُورَهُ تَجْنِيسًا فَنَكُونُ نَسَبْنَاهُمْ لِلْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، كَمَا قَالَ فِيهِمُ الْهَمَجُ الرُّعَاعُ. وَإِذْ كَانُوا مَوَالِينَا الْمُتَقَادِمُونَ وَسَادَاتِنَا الْمُحِقُّونَ أَوْضَحُوا لَنَا الْقَوَاعِدَ الْأَصْلِيَّةَ وَالدَّلَائِلَ الشَّافِيَةَ بِغَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَصْنِيفٍ، فَيَجِبُ أَنْ نَكُونَ لِطَرِيقِهِمْ سَالِكِينَ، وَفِي حَقَائِقِهِمْ وَاثِقِينَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ الحكيم عَزَّ عِزّهُ: «**الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، كَالسَّالِكِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ**».

وَقَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**مَا عَذَّبَ اللَّهُ أُمَّةً عَادِلَةً بِإِمَامٍ ضَالٍ وَلَكِنْ عَذَّبَ اللَّهُ إِمَامًا ضَالُ الْمَكْنُونِ بِأُمَّةٍ عَادِلَةٍ**».

فَيَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعُلُومِ الْغَائِصِينَ فِي مَعْرِفَةِ السِّرِّ الْمَكْنُونِ الْمَكْتُومِ أَنْ يَقُولُوا الْحَقَّ وَلَا يُخْفُوهُ عَنْ الطَّالِبِ الْمُسْتَفِيدِ، وَلَا يَكْتُمُوهُ عَنْ الرَّاغِبِ الرَّشِيدِ، إِذَا أَنِسُوا مِنْهُ رُشْدًا، وَحَقَّقُوا مِنْهُ جَهْدًا، وَأَنْ يَكْتُمُوهُ عَنْ الْمُبَذِّرِينَ الَّذِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ.

وَإِنْ احْتَجَّ عَلَيْنَا مُحْتَجٌّ وَقَالَ: كُلُّ عَصْرٍ لَهُ طَرِيقٌ.

فَنَقُولُ لَهُ: قَدْ جَاءَ بِهَذَا الْجَوَابِ السَّيِّدُ حَمْزَةُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وأَنَارَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ فِي كِتَابِ "حُجَّةِ الْعَارِفِ" قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا أَتَى مُوسَى غَيَّرَ وبَدَّلَ شَرِيعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ الصَّابِئَةِ وَالإِبْرَاهِيمِيَّةِ، وَلَمَّا أَتَى عِيسَى غَيَّرَ وَبَدَّلَ شريعة مُوسَى، وَلَمَّا أَتَى مُحَمَّدٌ غَيَّرَ وَبَدَّلَ شَرِيعَةَ مُوسَى وَعِيسَى ومَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ الشَّرَائِعِ»، وَقَالَ السَّيِّدُ حَمْزَهُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ: مَا السَّبَبُ فِي هَذَا؟ فَإِنْ قُلْنَا إِنَّ مُحَمَّدًا عَزَّ عِزّهُ أَتَى بِالْحَقِّ وَقَالَ الصِّدْقَ، وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ كَانَتْ شَرَائِعُهُمْ بَاطِلَةً، فَنَكُونُ نَسَبْنَا الْبَارِي عَزّ شَأْنُهُ لِلْجَوْرِ عَزَّ مَنْ لَا يَجُورُ وَكَانَ اللَّهُ مُرَائِيًا فِي عِبَادِهِ يَبْعَثُ رَسُولًا يَأْتِي بِالْبَاطِلِ، ثُمَّ يَبْعَثُ رَسُولًا بَعْدَهُ يَأْتِي بِالْحَقِّ يُكَذِّبُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَهَذَا شَيءٌ لَا يَجوزُ عِنْدَ أَهْلِ الإِيمَانِ. وَإِنْ قُلْنَا كُلُّهُمْ أَتَوْا بِالْحَقِّ، فَمَا بَالُهُمْ يُغَيِّرُونَ وَيُبَدِّلُونَ شَرَائِعَ بَعْضِهِمْ وَيَنْقُضُونَهَا، فَمَا السَّبَبُ بِهَذَا؟ فَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلَا تَبْدِيلٌ، وَإِنَّ الَّذِي أَتَى بِهِ مُوسَى هُوَ الَّذِي أَتَى بِهِ إِبْرَاهِيمُ، وَالَّذِي أَتَى بِهِ عِيسَى هُوَ الَّذِي أَتَى بِهِ مُوسَى، وَالَّذِي أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الَّذِي أَتَى بِهِ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ وَالرُّسُلُ الَّذِينَ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَأَمَّا التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ وَالِاخْتِبَاطُ مِنْ فِعْلِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَزَّ شَأْنُهُ ظَهَرَ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَدَعَاهُمْ لِلْإِقْرَارِ لِنَفْسِهِ، وَالسُّجُودِ لِاسْمِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ، لِقَوْلِ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الصِّرَاطِ" قَالَ: «**اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ مَوْلَانَا عَزَّ شَأْنُهُ لَمَّا أَثْبَتَ عَلَى أَهْلِ الإِقْرَارِ إِقْرَارَهُمْ وَلَزِمَ أَهْلُ الْجَحْدِ جُحُودَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمْ، فَغَابَ**

لِوَقْتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ الْعُهُودَ وَيُقِيمُ عَلَيْهِمْ الشُّرُوطَ وَيُوَضِّحُ لَهُمْ الْحُجَجَ الصَّادِقَةَ، وَالْعُهُودَ الْوَاثِقَةَ، وَيَغِيبُ جَلَّ مَنْ لَا يَغِيبُ، تَعُوْدُ الْخَلْقُ لِلتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، فَحَلَّلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَحَرَّمُوا مَا حَلَّلَ اللَّهُ، فَاحْتَاجَ الْخَلْقُ إِلَى ظُهُورٍ ثَانِي، فَيَظْهَرُ لَهُمْ الْمَعْنَى فَيَرَى جَمِيعُ الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِطَ وَعُهُودٍ غَيَّرُوهَا وَبَدَّلُوهَا وَأَتَوْا بِغَيْرِهَا، فَيَعُودُ الْمَعْنَى يُغَيِّرُ الشَّرِيعَةَ الَّتِي مُتَعَمَّدِينَ عَلَيْهَا، وَيَأْتِي بِشَرِيعَةٍ غَيْرِهَا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، وَإِنَّ التَّغْيِيرَ وَالتَّبْدِيلَ مِنْ فِعْلِ الْخَلِيقَةِ لَيْسَ مِنْ فِعْلِ الْخَالِقِ».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ الْبَارِي يُثَبِّتُهُمْ عَلَى شَرَائِعِهِمْ أَوْ يُجَدِّدُ إِيمَانَهُمْ الَّذِي كَانُوا بِهِ؟ أَوْ دَعَا بِشَيءٍ خِلَافِهِ؟

فَنَقُولُ لَهُ: "نَسَبْتَ الْبَارِيَ لِلْعَجْزِ - تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ - وَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ خَالِقًا رَازِقًا مُكَوِّنًا فَاعِلًا وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

الْبَابُ الثَّانِي
فِي مَعْرِفَةِ تَنْزِيهِ الْمَعْنَى وَانْفِرَادِهِ

اِعْلَمْ ذَلِكَ إِنَّهُ أَحَدٌ لَا شَيء مَعَهُ وَفَّقَكَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مُبَلِّغًا لِيُفْرِدَ ذَاتَهُ عَنْ الْأَشْيَاءِ إِنَّهُ لَا شَيءَ مَعَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[١] وَقَوْلُهُ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾[٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[٣].

وَقَوْلُهُ عَلَى لِسَانِ الْحِجَابِ: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾[٥] الْآيَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ﴾[٦] الْآيَةِ، وَقَولُهُ:

---

(1) النحل: 51
(2) الجن: 20
(3) النساء: 116
(4) المائدة: 72
(5) النحل: 35
(6) الأعراف: 173

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾(١) وَقَوْلُهِ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾(٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(٣) وَقَوْلُهُ عَنْ الشَّيْطَانِ: ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾(٤).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾(٥).

وَقَوْلُهُ عَنْ حِجَابِهِ: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(٦).

وَمِثْلُ هَذَا فِي الْكِتَابِ كَثِيرٌ، فَلَوْ أَطَلْنَا الْكَلَامَ لَاتَّسَعَ الْكِتَابَ وَطَالَ الْخِطَابُ.

وَقَالَ الْحَكِيمُ: «فِي النَّاسِ ذَنْبَانِ مَا لَهُمْ غَفَّارَةٌ، قِيلَ مَا هُمْ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِضْرَارُ لِلنَّاسِ».

وَمِمَّا رَوَاهُ أَبُو الطَّاهِرِ سَابُورٌ فِي كِتَابِ الْجَوْهَرَةِ قَالَ: «إِنَّ الْمُوَحِّدَ

(1) التوبة: 28
(2) يونس: 66
(3) الحجر: 94
(4) النحل: 100
(5) الفرقان: 2
(6) الأنعام: 79

الْمُخْلِصَ الَّذِي لَا يُشَاوِبُهُ فِي التَّوْحِيدِ شَكٌّ وَلَا شِرْكٌ، فَهُوَ مَنْ عَرَفَ الِاسْمَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَيُشِيرُ لِلْمَعْنَى وَيُثَبِّتُهُ وَيُفْرِدُهُ عَنْ أسْمَائِهِ، وَيَعْبُدُهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ وَيُوَحِّدُهُ».

وَسُئِلَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزّهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] قَالَ: «**أيْ وَأكْثَرُهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الِاسْمَ وَالْمَعْنَى**» أَلَا تَرَى مَا رُوِيَ عَنْ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ أَنَّهُ: «**كُلُّ مَنْ زَعَمَ أنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ مِنْ جِهَةِ الْاِسْمِ، فَقَدْ جَهِلَ أكْثَرَ مِمَّا عَلِمَ، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى وَالْإِسْمَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَجَهِلَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى وَجَهِلَ الِاسْمَ فَقَدْ ضَلَّ، وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ فَقَدْ حَالَ عَلَى عَدَمٍ وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ يَنْظُرُهُ فَقَدْ شَبَّهَهُ فِي خَلْقِهِ، وَمَنْ قَالَ: إنّهُ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ أَحْوَجَهُ إِلَى مَكَانٍ، وَمَنْ قَالَ إنَّهُ خَارِجٌ عَنْ خَلْقِهِ فَقَدْ نَفَى وُجُودَهُ، وَمَنْ عَرَفَهُ بِدَلَائِلِهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ ظُهُورَاتُهُ وَعَلَامَاتُهُ وَآمَنَ بِمَا شَاهَدَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا**»، وَنَحْنُ نُوَضِّحُ ذَلِكَ بَيَانًا بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَأَمَّا قَوْلُ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ: «**مَنْ زَعَمَ أنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ مِنْ جِهَةِ الِاسْمِ فَقَدْ جَهِلَ أكْثَرَ مِمَّا عَلِمَ**» فَهَذَا تَعْرِيفٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَرَدٌّ عَلَى الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أنّهُمْ عَارِفُونَ وَيَقُولُونَ رَبُّنَا اللَّهُ وَهُوَ اسْمٌ

(1) يوسف: 106

مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى الَّتِي هِيَ لِلْمَعْنَى خَاصَّةً، وَوَاهِبُهَا لِلْمِيمِ، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى هَذَا الِاسْمِ وَلَا يَعْرِفُونَ الْوَاهِبَ مِنَ الْمَوْهُوبِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْعَابِدَ مِنَ الْمَعْبُودِ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] فَالسَّمُوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ خَلْقِ الْمِيمِ إِلَيْهِ التَّسْلِيمُ بِأَمْرِ مَعْنَاهُ، "وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ": أَيْ لَمْ يَعْلَمُوا الْإِسْمَ مِنْ مُسَمِّيهِ، وَلَا الْآمِرَ مِنَ الْمَأْمُورِ.

وَقَدْ سُئِلَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزَّهُ عَنْ الْمِيمِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنْ بَارِيهِ فَأَجَابَ: «**إِنَّهُ بِغَيْرِ نِهَايَةٍ مَحْدُودَةٍ، وَشَيْءٌ لَا يَعْرِفُهَا الْمِيمُ، وَلَا يُحِيطُ بِهَا إِجْلَالًا وَإِعْظَامًا**»، وَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْإِسْمِ وَعِلْمَهُ فِي جَنْبِ عِلْمِ الْبَارِي، بِمَنْزِلَةِ الْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ، مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَصْغِيرٍ لِلسَّيِّدِ الْمِيمِ، إِنْ كَانَ بُدُوُّهُ مِنْ نُورٍ ذَاتُ مَعْنَاهُ، بَاقِي بِبَقَائِهَا، وَدَائِمٌ بِدَوَامِهَا، عَالِمٌ بِعِلْمِهَا، مُحِيطٌ بِإِحَاطَتِهَا لَا يُقَدِّمُهُ شَيءٌ إِلَّا مَعْنَاهُ الَّذِي بِدْؤهُ مِنْهُ وَمُعَادَهُ إِلَيْهِ، وَاعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ إِنَّ الْمَادَّةَ جَرَتْ مِنْ الْمَعْنَى لِلِاسْمِ بِمَنْزِلَةِ النَّظَرِ مِنْ النَّاظِرِ وَالنُّطْقِ مِنْ النَّاطِقِ.

قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ فِي رِسَالَتِهِ "الرُّسْتُبَاشِيَّةِ": «إِنَّ الْمَعْنَى جَلَّتْ لَاهُوتِيَّتُهُ لَمَا اخْتَرَعَ الْاسمَ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وَهُوَ أَوَّلُ مُبْتَدَعَاتِهِ، فَسَبَّحَ الْأَزَلُ نَفْسَهُ، فَسَبَّحَهَا الْمِيمُ، وَكَبَّرَ

---

(1) لقمان: 25

الْمَعْنَى نَفْسَهُ، فَكَبَّرَهَا الْمِيمَ، وَمَجَّدَهَا فَمَجَدَهَا، وَعَظَّمَهَا فَعَظَّمَهَا وَكَرَّمَهَا فَكَرَّمَهَا».

فَانْظُرْ يَا أَخِي مَا قَالَهُ الْخُصَيْبِيُّ إِنَّ الْأَزَلَ سَبَّحَ نَفْسَهُ فَسَبَّحَهَا الْمِيمُ لِأَنَّ الْمَادَّةَ جَرَتْ مِنْ الْمَعْنَى إِلَى الْاِسْمِ، لِأَنَّهُ مُكَوِّنُهُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ وَإِنَّهُ مِنْهُ بِدْؤهُ وَمَعَادُهُ إِلَيْهِ، وَاخْتَصَرْنَا الْكَلَامَ لِكَيْ لَا يَطُولَ الشَّرْحُ وَسَوْفَ نُوَضِّحُ بِمَوْضِعِ احْتِيَاجِنَا إِلَيْهِ لِنَضَعَ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**مَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى وَالْاِسْمَ فَقَدْ أَشْرَكَ**» وَاشْتَمَلَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾(١)، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**مَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَجهِلَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ**» فَهَذَا الْجَوَابُ يَقَعُ عَلَى الْجَمِّ الْغَفِيرِ، لِأَنَّهُ مَا بَلَغَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ غَيْرَ اسْمه، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٢).

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**مَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى وَجَهِلَ الِاسْمَ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**» فَاعْلَمْ: إِنَّهُ قَدْ أُتَى الْقَوْلُ مِنَ الْمَوْلَى عَزَّ عِزّه عَنْ هَذَا الْجَوَابِ: «**إِنَّ السُّجُودَ لِلِاسْمِ وَالْعِبَادَةَ لِلْمَعْنَى، لِأَنَّ السُّجُودَ لِلْاِسْمِ طَاعَةٌ وَالطَّاعَةَ عِبَادَةٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

(1) النحل: 51
(2) لقمان: 25

ٱلرَّسُولَ﴾[1]»، وَقَوْلِهِ: «**وَمَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**»، فَقَرَنَ طَاعَةَ الْإِسْمِ بِطَاعَةِ الْمَعْنَى. «**وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، فَقَدْ حَالَ عَلَى عَدَمٍ، وَمَنْ قَالَ أَنَّ الْأَبْصَارَ تُدْرِكُهُ، فَقَدْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ**»، وَنَحْنُ بِحَوْلِهِ نُوَضِّحُ مَوْضِعَ الْخِطَابَيْنِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ مِمَّا قَالَهُ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزَّهُ: «**إِنّ الصُّورَةَ الْمَرْئِيَّةَ لَيْسَتْ كلية الْبَارِي وَلَا الْبَارِي سِوَاهَا**».

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ أَحْوَجَهُ إِلَى مَكَانٍ، وَمَنْ قَالَ إِنَّهُ غَائِبٌ عَنْ خَلْقِهِ فَقَدْ نَفَى وُجُودَهُ**»، ونَحْنُ نُوَضِّحُ بَيَانَ ذَلِكَ بِحَوْلِهِ وَمَنِّهِ وَجَزِيلُ نِعَمِهِ بِأَنَّهُ: لَمْ يَغِبْ عَنْ أَرْضِهِ بِمُشَاهَدَةِ سَمَائِهِ وَلَا عَنْ سَمَائِهِ بِمُشَاهَدَةِ أَرْضِهِ، بِالْأَجْوِبَةِ الشَّافِيَةِ، وَهِيَ مِمَّا أَوْضَحَ شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيُّ منه السلام وَقَوْلُهُ:

يَا ظَاهِرًا لَا تَغِيبُ عَنَّا   وَبَاطِنًا لَا تَزَالُ فَرْدًا

وَقُولُهُ: «وَمَنْ عَرَفَهُ بِدَلَائِلِهِ وَعَلَامَاتِهِ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ ظُهُورِهُ بِدَلَائِلِهِ وَعَلَامَاتِهِ، وَنَفَى مَا رَأَى مِنْهُ مِنْ الْهَيْئَةِ الْجِسْمِيَّةِ، وَآمَنَ بِمَا عَلِمَ مِنْ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْمَعَاجِزِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزَّهُ حَقًّا».

وَرُوِيَّ عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزَّهُ: «**إِنَّ النَّاسَ فِي التَّوْحِيدِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مُثْبِتٍ، وَنَافٍ، وَمُشَبِّهٍ، فَأَمَا الْمُشَبِّهُ مُشْرِكٌ، وَهُوَ الَّذِي شَبَّهَ**

(1) النساء: 59

الْبَارِيَ بِالْأَجْسَامِ اللَّحْمِيَّةِ الدَّمَوِيَّةِ، وَهَوَى إِلَى الْعَجْزِ وَالْأَضْرَارِ وَالنَّافِي مُبْطِلٌ، وَهُوَ النَّاكِرُ وُجُودَهُ، وَنَافِي مَعَاجِزَهُ، وَالْمُثْبِتُ مُوَحِّدٌ وَهُوَ الَّذِي شَهِدَ لَهُ بِظُهُورَاتِهِ، وَآمَنَ بِمُعْجِزَاتِهِ، وَنَفَى مَا رَآهُ مِنْ الْهَيْئَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْخَيَالَاتِ الْفَانِيَةِ، وَآمَنَ بِمَا عَلِمَ مِنَ الْقَدَرِةِ، وَشَهِدَ أَنَّ الْبَارِئَ عَزَّ شَأْنُهُ بِعَدْلِهِ وإِنِّصَافِهِ آنَسَ عَالَمَ النُّورِ بِصُورَةٍ نُورَانِيَّةٍ عَلَى هَيْئَتِهِمْ وَمِثَالِهِمْ، لِيَفْهَمَ كُلُّ جِنْسٍ عَنْ جِنْسِهِ، لِاحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ لَا لِاحْتِيَاجِهِ إِلَيهِمْ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُ الْجِنْسُ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ».

الْبَابُ الثَّالِثُ
فِي مَعْرِفَةِ احْتِجَاجِ الْبَارِي عَزَّتْ قُدْرَتُهُ بِظُهُورِهِ فِي الصُّورَتَيْنِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ

اِعْلَمْ أَيُّهَا الطَّالِبُ سَبِيلَ هِدَايَتِهِ، الرَّاغِبُ فِي حَقِيقَةِ مَعْرِفَتِهِ، إِنَّهُ قَدْ دَلَّتْ كُتُبُ مَوَالِينَا الْمُتَقَادِمِينَ وَالشُّيُوخِ الْمُحِقِّينَ إِنَّ الْبَارِيَ عَزَّ شَأْنُهُ ظُهُورَاتُهُ سَمَاوِيةٌ وَأَرْضِيَّةٌ، فَإِذَا قَالَ لَنَا قَائِلٌ: بِمَ اسْتَدْلَلْتُمْ عَلَيْهِ مِمَّا تَقُولُونَ؟

فَنَقُولُ لَهُ مَا قَالَ الْعَالِمُ فِي كِتَابِ الْأَسْوَسِ حَيْثُ قَالَ السَّائِلُ: فَمَا هَذَا التَّنَاتُجُ؟ قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزَّهُ: «**إِنَّ هَذَا التَّنَاتُجَ فِي الْمَلَائِكَةِ وَالْأَدَمِيِّينَ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ظَهَرَ فِي الْمَلَائِكَةِ حَتَّى ظَنَّت أَنَّهُ مِنْهَا فَقَالُوا تَعَالَوْا نَطْلُبُ رَبَّنَا فَنَعبِدَهُ وَنَمِيلُ إِلَيْهِ بِطَاعَتِنَا، فَقَالَ لَهُمْ وَهُوَ ظَاهِرٌ بَيْنَهُمْ كَهُمْ، مُشِيرًا إِلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ: يَا هُوَ يَا هُوَ، إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَيْهِمِ إِنِّي أَنَا رَبُّكُمْ، فَلَمْ يَقُولُوا لَا وَلَا نَعَمْ، حَتَّى أَظْهَرَ عِلْمَهُ وَسُلْطَانَهُ وَكِبْرِيَائَهُ، فَمَنْ بَادَرَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ وَلَمْ يَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ الْأَوَّلِ جَعَلَهُ الرَّئِيسَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَهُمْ الْأَشْخَاصُ الْأَرْبَعَةُ الَّذِينَ جَعَلَ فِي أَيْدِيهِمُ التَّدْبِيرَ وَهُمْ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلَ وَعِزْرَائِيلَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ آيَاتَهُ وَعِلْمَهُ لِلْمَلَائِكَةِ، فَعَرَفَتْ أَنَّهُ رَبُّهَا بِإِظْهَارِهِ الْقُدْرَةَ وَالْعِلْمَ فَصَارَتْ لَهَا الرِّئَاسَةُ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَتِلْكَ الصُّورَةُ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ**

الْمَلَائِكَةِ، يُقَالُ أَنَّهَا صُورَةُ الرِّئَاسَةِ، وَيُقَالُ لَهَا صُورَةُ الْقَهْرِ، وَكَذَلِكَ ظَهَرَ لِلْآدَامِ وَالْأَرْوَاحِ بِصُورَةٍ تُشْبِهُهُمْ فَظَنُّوا أَنّهُ مِنْهُمْ، فَقَالُوا تَعَالَوْا نَطْلُبُ رَبَّنَا، فَطَلَبُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ أَنَا هُوَ، فَأَجَابَ مِنْ بَيْنِ الْأَدْمِيِّينَ سَبْعَةٌ، فَلِهَذَا جَعَلَهُمْ الرُّسُلَ، ثُمَّ أَظْهَرَ آيَاتَهُ وَعِلْمَهُ لِوِلْدِ آدَمَ فَعَرَفَهُ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ فَوَاثَقَهُمْ، وَأَنْكَرَهُ الْجُهَّالُ الشَّاكُونَ».

وَمِمَّا قَالَهُ السَّيِّدُ أَبُو سَعِيدٍ قَدَّسَهُ اللَّهُ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ فِي رِسَالَتِهِ "الْمُرْشِدَةِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ": «أَنَّ الْأَزَلَ سُبْحَانَهُ وَعَظُمَ شَأْنَهُ ظَهَرَ لِخَلْقِهِ كَخَلْقِهِ بِالنُّورَانِيَّةِ، وَأَظْهَرَهُمْ بِهَا وَأَوْجَدَهُمْ نَفْسَهُ، وَدَلَّهُمْ عَلَى ذَاتِهِ فَنَادَاهُمْ خِطَابًا وَاضِحًا وَنُطْقًا بَيِّنًا وَإِعلَانًا وَوُجُودًا، فَدَعَاهُمْ لِقُدْرَتِهِ وَالِإقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، فَأَقَرَّ مَنْ أَقَرَّ بِاخْتِيَارِهِ، وَأَنْكَرَ مَنْ أَنْكَرَ بِاخْتِيَارِهِ، وَقَدْ عَلِمَ جَلَّ شَأْنُهُ مِنْ قَبْلُ ظُهُورِهُ لَهُمْ بِالنُّورَانِيَّةِ، وَظَهَرَ بِهَا لِلْمُقِرِّ وَالْمُنْكِرِ وَالطَّائِعِ وَالْعَاصِي، وَدَعَاهُمْ إِلَى مَعْنَوِيَّتِهِ لِتَمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَأَقَامَ الْعَدْلَ فِيهِمْ، ثُمَّ إِنَّهُ ظَهَرَ لِلْمُقِرِّينَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صُوَرٍ شَتَّى مُخْتَلِفَاتٍ مُتَبَائِنَاتٍ أَلْوَانِهَا، وَإِذَا اخْتَلَفَتِ الصِّفَاتُ فِي الْعِيَانِ فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُخْتَلِفَةٍ».

فَذَلِكَ قَوْلُ الْعَالِمِ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الْأَسْوَسِ": **«إِنَّ الْبَارِئَ جَلَّ شَأْنُهُ لَمَّا أَرَادَ امْتِحَانَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ، ظَهَرَ لَهُمْ بِصُورَةِ طِفْلٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ، ثُمَّ فِي صُورَةِ شَابٍّ مُؤَنَّقٍ مَفْتُولِ السِّبَالِ، رَاكِبٍ عَلَى أَسَدٍ مِنْ نُورٍ بِصُورَةِ الْغَضَبِ. فَقَالَ الْعَالَمُ**

الَّذِينَ مَا تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِمْ صِفَاتٌ وَلَا خَفِيَتْ عَلَيْهِمْ الْحَقِيقَةُ وَلَا قُلِبَتْ عُقُولُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ: اِظْهَرْ بِمَا شِئْت، كَيْفَ شِئْتَ، أَنْتَ أَنْتَ رَبُّنَا وَذَلِكَ بِتَوْفِيقِهِ لَهُمْ، حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي سَأَظْهَرُ رَحْمَةً وَرِفْقًا بِكُمْ وَتَأْنِيسًا لَكُمْ، فَقَالُوا: اِظْهَرْ بِمَا شِئْتَ كَيْفَ شِئْتَ».

فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِ أَبِي سَعِيدٍ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ فِي قَوْلِ الْعَالِمِ مِنْ حِينِ ظَهَرَ الْبَارِئُ لِلْمَلَائِكَةِ بِالثَّلَاثِ صُوَرٍ فِي النُّورَانِيَّةِ، وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ لَهُمْ بِالْبَشَرِيَّةِ، فَدَلَّ الْقَوْلُ أَنْ الْبَارِيَ عَزَّ شَأْنُهُ شَاكَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَدَمِيِّينَ فِي الْحَالَيْنِ، وَبَايَنَهُمْ فِي الظُّهُورَيْنِ، وَهُوَ فِي قِدَمِهِ لَمْ يَتَجَزَّأْ وَلَمْ يَتَبَعَّضْ وَلَمْ يَجْرِ عَلَيْهِ كَوْنٌ وَلَا حُدُوثٌ، وَلَكِنّ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ ظَهَرَ لِعَالَمِ النُّورِ بِصُورَةٍ نُورَانِيَّةٍ، وَظَهَرَ لِعَالَمِ الْبَشَرِ بِصُورَةٍ ظِلِّيَّةٍ بَشَرِيَّةٍ، لِكَيْ يَفْهَمَ كُلًّا مِنْهُمْ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْ مَعْرِفَةِ مَوْلَاهُ، لِأَنَّ الْجِنْسَ لَا يَفْهَمُ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ، وَهُوَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ لَمْ يَزَلْ عَنْ كِيَانِهِ وَإِنْ ظَهَرَ لِعِيَانِهِ وَبَيَّنَ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَبُو سَعِيدٍ قَدَّسَهُ الْمَلِكُ الْمَجِيدُ فِي كِتَابِ "الدَّلَائِلِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَسَائِلِ" قَوْلُهُ: «إِذَا كَانَ الْبَارِئُ عَزَّ شَأْنُهُ لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِذَاتِهِ فَهَلْ كَانَتْ الصُّورَةُ النُّورَانِيَّةُ الَّتِي دَعَاهُمْ بِهَا وَهُمْ أَنْوَارٌ هِيَ الصُّورَةُ الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي دَعَاهُمْ بِهَا وَهُمْ أَبْشَارٌ؟ **الْجَوَابُ**: إِنَّ الَّذِي دَعَاهُمْ بِالصُّورَتَيْنِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ هُوَ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ، وَلَا يَتَجَسَّمُ وَلَا يَتَصَوَّرُ، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ وَأَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ، وَلَوْ أَنَّ الصُّورَةَ الْبَشَرِيَّةَ غَيْرَ الصُّورَةِ النُّورَانِيَّةِ، لَسَقَطَ

عَنْ مُنْكِرِيهَا الْعَذَابُ، وَكَانَ لَهُمْ فِي إِنْكَارِهَا جَزِيلُ الثَّوَابِ، لَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا غَيْرَ اللَّهِ وَجَحَدُوا سِوَاهُ، وَاللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُعَاقِبَ إِلَّا مَنْ جَحَدَهُ».

ثُمَّ قَالَ: «مِنْ أَيْنَ قُلْتَ إِنَّ الصُّورَةَ الْبَشَرِيَّةَ هِيَ الْحَقُّ وَهِيَ الصُّورَةُ النُّورَانِيَّةُ، وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا جِنْسَ؟ **الْجَوَابِ:** إِنَّ الْمَعْنَى لَا يَزُولُ عَنْ كِيَانِهِ وَإِنْ ظَهَرَ لِعَيَانِهِ، وَإِنَّ الصُّورَةَ الْأُولَى النُّورَانِيَّةَ هِيَ الصُّورَةُ الْأُخْرَى الْبَشَرِيَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْجَوْهَرُ، لَا فِي الْجِنْسِ وَالْمَنْظَرِ».

وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزَّهُ: «**مَنْ عَرَفَ مَوَاقِعَ الصِّفَّةِ، بَلَغَ قَرَارَ الْمَعْرِفَةِ**».

<u>الْجَوَابُ يَنْقَسِمُ عَلَى وَجْهَيْنِ:</u>

أَحَدُهُمَا الصِّفَةُ وَهِيَ السَّيِّدُ الْمِيمُ عَزَّ عِزَّهُ.

وَالثَّانِي الْمَوْصُوفُ هُوَ الْبَابُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ، وَقَرَارُ الْمَعْرِفَةِ الْعَيْنُ الْمَعْبُودُ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: مَوَاقِعُ الصِّفَةِ هِيَ الَّتِي ظَهَرَ بِهَا الْقَدِيمُ وَشَاكَلَ بِهَا خَلْقَهُ، وَعَدَلَ بِهَا عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْآدَمِيِّينَ، فَمَنْ عَرَفَهُ وَأَقَرَّ لَهُ فِي الظُّهُورَيْنِ، وَنَزَّهَهُ عَنْ الْحَالَيْنِ، فَقَدْ بَلَغَ قَرَارَ الْمَعْرِفَةِ.

وَقَالَ فِي كِتَابِ "الْحُجُبِ وَالْأَنْوَارِ": «**لَوْ ظَهَرَتْ الرُّوحُ النُّورَانِيَّةُ بِغَيْرِ حِجَابٍ، لَأَطْفَأَ نُورُهَا كُلَّ نُورٍ غَيْرِهِ**». مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَا يَسْتَطِيعُونَ النَّظَرَ إِلَى كَمَالِ نُورِ اللَّاهُوتِ. وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾[1] تُبصِرُونَ الصُّورَةَ، وَمَا لَا تُبصِرُونَ غَيْبَهَا الْمَعْدُومَ الْإِحَاطَةَ وَالإِدْرَاكَ، وَهُوَ قِدَمُ الْبَارِئِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ أَتَى فِي هَذَا الْجَوَابِ السَّيِّدُ حَمْزَةُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ.

وَقَالَ مَوْلَانَا جَعْفَرٌ الصَّادِقُ عَزَّ عِزَّهُ: «**إِنَّ وَرَائِي غَيْرِي، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ الْغَيْرِ**» يَعْنِي قِدَمَ الْبَارِئِ، مَمْنُوعَةٌ مَعْرِفَتُهُ أَنْ يُحِيطَ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَدَمِيِّينَ.

فَإِذَا قَالَ لَنَا قَائِلٌ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ وُجُودَ الْبَارِي عَزَّ شَأْنُهُ، وَأَرَادَ بِنَا الْمِحْنَةَ وَقَالَ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ وَتُقِرُّونَ أَنَّ الْبَارِئَ عَزَّ شَأْنُهُ ظَهَرَ لِلْمَلَائِكَةِ بِصُورَةٍ نُورَانِيَّةٍ، وَظَهَرَ لِلْأَدَمِيِّينَ بِصُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ وتَنْفُونَ عَنْهُ جَمِيعَ الْأَعْرَاضِ وَالْهَيْئَاتِ، وَنَحْنُ نُنَزِّهُ الْبَارِيَ وَلَا نُطْلِقُ عَلَيْهِ الْعَجْزَ، وَتَعُودُونَ بَعْدَ إِقْرَارِكُمْ إِلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيهِ، فَكَيْفَ إِنكَارُكُمْ بَعْدَ إِقْرَارِكُمْ؟

فَنَقُولُ لَهُ مَا قَالَ مَوْلَانَا جَعْفَرٌ الصَّادِقُ عَزَّ عِزَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الْمُصَلِّيَ كَالْمُنَاجِي رَبِّهِ، فَلَا يَجُوزُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْرِفَةٍ**» مَثَلًا إِنَّ الرَّجُلَ

(1) الحاقة: 38-39

الْمُصَلِّيَ إِذَا خَاطَبَ رَجُلًا وَكَانَ أَحَدُهُمَا مَشْغُولًا فِي أَدْنَى شَيءٍ مِنَ الْحَوَادِثِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَلِذُّ بِمُخَاطَبَتِهِ، وَلَا يَفْهَمُ مَا يُخَاطِبُهُ بِهِ وَكَذَلِكَ الْمُصَلِّي إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِرَبِّهِ فَكَيْفَ تَكُونُ مُنَاجَاتُهُ لِرَبِّهِ؟ وَكَيْفَ يَدْعُوهُ وَيَبْتَهِلُ إِلَيْهِ؟ وَهَذَا شَيءٌ حَائِدٌ عَنِ الْأُصُولِ، فَنَقُولُ لَهُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ، كَيْفَ تَنْفُونَ بَعْدَ إِقْرَارِكُمْ بِظُهُورَاتِ الْبَارِي الذَّاتِيَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهَا وَأَشَرْتُمْ لَهُ بِهَا وَتَتَوَسَّلُونَ بِهَا وَتَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وتَعُوْدُونَ بَعْدَ التَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ تَقُولُونَ بِخِلَافِ مَا تُشِيرُونَ بِهِ إِلَيْهِ فَمِنْ أَيْنَ تَتَّضِحُ لَكُمْ مَعْرِفَتُهُ إِذَا كَانَ ظُهُورُهُ غَيْرَ مَثْبُوتٍ، وَكَيْفَ تُثْبِتُونَ لَهُ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا، مِثْلَ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ، وَإِنْطَاقِ الْجَنِينِ، وَإبرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَالْأَجْذَمِ، وَرَدِّ الشَّمْسِ، وَطَيِّ السَّمَاءِ، وَعِلْمِ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَغَيْرِهَا مِنْ الْمَعَاجِزِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ، فَإِنْ قُلْتُمْ أنَّ الْبَارِيَ قَادِرٌ عَلَى أنْ يُظْهِرُ الْمَعَاجِزَ السَّمَاوِيَّةَ وَالْأَرْضِيَّةَ مِنْ غَيْرِ ظُهُورٍ، فَنَقُولُ لَكُمْ أَنَّ الشَّهَادَةَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَثْبُتْ لَهَا مِيزَانٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[١] لَأنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ مَسْؤُولَانِ عَنْ الشَّهَادَةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَكَيْفَ قَوْلُكُمْ فِي الْخُطَبِ الَّتِي بَدَتْ مِنْهُ مِثْلِ خُطْبَةِ الْأَقَالِيمِ وَخُطْبَةِ الطَّطْنَجِيَّةِ وَخُطْبَةِ الْكَاشِفَةِ وَغَيْرُهَا مِنْ الْخُطَبِ الَّتِي يُعْلِنُ بِهَا فَهَل هِيَ لَهُ أَمْ لِغَيْرِهِ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ أَتَى بِهَا شَخْصٌ مِنْ الْمَلَائِكَةِ، فَنَقُولُ

---

(1) الإسراء: 36

لَكُمْ: أَشَارَ بِهَا لِنَفْسِهِ أَمْ لِمَوْلَاهُ؟ فَإِنْ قُلْتُمْ لِمَوْلَاهُ، فَنَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَتَى بِهَا يَقُولُ هُوَ فَعَلَ وَهُوَ صَنَعَ، بَلْ يَقُولُ أَنَا فَعَلْتُ أَنَا صَنَعْتُ، وَإِنْ قُلْتُمْ أَشَارَ بِهَا لِنَفْسِهِ، فَنَقُولُ لَكُمْ: هَلْ كَانَ يَدَّعِي فِي الْإِلهِيَّةِ مِنْ دُونِ مَوْلَاهُ! فَإِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ، نَقُلْ لَكُمْ: فَهَلْ كَانَا إِلْهَينِ اثْنَيْنِ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[١] وَلَوْ كَانَ إِلْهَينِ اثْنَيْنِ لَفَسَدَ الْمُلْكُ وَعُدِمَتْ الْحَرَكَةُ وَاعْتَدَى أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، وَإِنْ قُلْتُمْ أَتَى بِهَا مَلِكٌ رُوحَانِيٌّ أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْ اللَّهِ "أَنَا فَعَلْتُ أَنَا صَنَعْتُ أَنَا أَنَا" فَنَقُولُ لَكُمْ مَا قَالَهُ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدَّرَجِ": «**إِنْ الْخَمْسَةَ الْآلَافِ الْعَالِمُ الْكَبِيرُ النُّورَانِيُّ يَظْهَرُونَ لِظُهُورِ الْمَعْنَى وَيَغِيبُونَ لِغَيْبَتِهِ**» فَكَيْفَ تَقُولُونَ إِنَّ شَخْصًا مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْخَاصِ مِنْ عَالَمِ النُّورِ ظَهَرَ مِنْ غَيْرِ ظُهُورِ مَعْنَاهُ وَأَتَى (.....)[٢] شَيْئًا، مَا دَلَّتْ الْكُتُبُ وَلَا أَخْبَرَتْ الرُّسُلُ إِنَّ شَخْصًا مِنْ جُمْلَةِ عَالَمِ النُّورِ يَظْهَرُ وَتَظْهَرُ عَلَى يَدِهِ الْمَعَاجِزُ وَيَنْطِقُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ إِلَّا مَعَ ظُهُورِ مَعْنَاهُ، وَإِنْ قُلْتُمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَلّفوهُ عَنْ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ الْأَفْعَالُ أَفْعَالُهُ، فَنَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ قَوْلُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[٣] وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْخُطَبُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، لَمَا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ اتَّخَذُوهَا حَقِيقَةً يَدِينُونَ للّهَ بِهَا فِي مَجَالِسِ التَّوْحِيدِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَشْخَاصِ عَالَمِ النُّورِ لَهُمْ أَسْمَاءٌ فِي النُّورَانِيَّةِ

---

(1) فصلت: 6
(2) بياض في الأصل
(3) النساء: 82

وَأَسْمَاءٌ فِي الْبَشَرِيَّةِ، غَنِينَا عَنْ إِيرَادِهَا، وَلهَذَا مَعْنَى فِي كِتَابِ "الْأَسْوَسِ" حِينَ قَالَ السَّائِلُ: فَهَلْ يَظْهَرُ الْمَعْنَى كَأَنَّهُ خَلَقَهُ أَوْ يَخْلُقَ خَلْقًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَيَتَكَلَّمُ مِنْهُ؟ قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزّهُ: «**هَذَا مَا لَا يُمْكِنُ أنْ يُحَوِّلَ نَفْسَهُ عَنْ هَيْئَتِهَا، فَمَنْ جَحَدَ الظُّهُورَ، فَكَأَنَّمَا جَحَدَ الْخُطَبَ وَالْمَعَاجِزَ**».

وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**مَنْ عَرَفَنِي مِنْ مَوْضِعٍ وَانْكَرْنِي مِنْ مَوْضِعٍ، كَانَ إِنْكَارُهُ خَيْرًا مِنْ إِقْرَارِهِ**».

وَنَحْنُ نَرَى جَمِيعَ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الشَّرَائِعِ يَدَّعُونَ أنَّ لَهُمْ رَبًّا خَالِقًا مُكَوِّنًا لِكَوْنِهِمْ، وَإِنَهُمْ يَصِفُونَ الْبَارِئَ وَيُعَظِّمُونَ قُدْرَتَهُ وَيَصِفُونَ الْمَلَائِكَةَ عَلَى وُجُوهٍ شَتَّى، وَمَا مِنْ أَهْلِ شَرِيعَةٍ إِلَّا تَصِفُ الْبَارِيَ بِغَيْرِ مَا تَصِفُهُ الْأُخْرَى، وَحَارَ الْجَمِيعُ عَنْ إِدْرَاكِ مَعْرِفَتِهِ، لِأَنَّهَا مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَإِنَّ سَيِّدَنَا أبَا عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيَّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ قَدْ وَزَنَ السَّمَوَاتِ، وَعَدَّ لَنَا أَشْخَاصَهَا، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهَا حُجُبٌ وَأَبْوَابٌ وَأَيْتَامٌ وَنُقَبَاءٌ وَنُجَبَاءٌ وَمُخْتَصُّونَ وَمُخْلِصُونَ وَمُمْتَحَنُونَ إِلَى آخِرِ الْمَرَاتِبِ، وَمَا مِنْ شَخْصٍ عَدَّهُ لَنَا فِي الْبَشْرِيةِ إِلَّا أَنْبَأَنَا عَنْ مَنْزِلَتِهِ فِي النُّورَانِيَّةِ، وَزْنًا بِوَزْنٍ، لَا زِيَادَةً وَلَا نُقْصَانً، وَإِنَّ سَيِّدَنَا الْخَصِيبِيَّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ بَيَّنَ فِي رِسَالَتِهِ "الرُّسْتُبَاشِيَّةِ" ظُهُورَاتِ الْبَارِي عَزَّ شَأْنُهُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْحُجَّةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا لَكُمْ بِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ أنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الشَّرَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ أَخَذُوا مَعْرِفَةَ مَوْلَاهُمْ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، لِأَنَّهُمْ شَاهَدُوا الظُّهُورَاتَ، وَسَمِعُوا النِّدَاءَ فِي الذَّرْوِ الْأَوَّلِ وَأَنْكَرُوا جَمِيعَ مَا سَمِعُوهُ

وَعَايَنُوهُ، فَطَمَسَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَحَجَبَ أَبْصَارَهُمْ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَرُمُوْا فِي التَّيهِ وَالْحَيْرَةِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ فِيهِمْ سَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ:

الْحَمْـدُ لِلَّهِ قَـدْ أعْيَـا ذَوِي الْحِيَـلِ ... تَوْحِيـدُ خَـالِقِهِمْ وَالْخَلْـقُ فِي هَمَـلِ
لَا يَعْرِفُـونَ إلَهَـا يَقْتَـدُونَ بِـهِ ... إلّا الإشَـارَةَ نَحْـوَ الْجَـوِّ وَالطَّلَـلِ
عَمُّـوا وَصَـمُّوا وَتَـاهُوا عَـنْ مَلِـيكِهِمْ ... وَرَبُّهُـم ظَـاهِرٌ بِالسّـهْلِ وَالْجَبَـلِ

إِلَى آخِرِ الأَبْيَاتِ.

مِمَّا رَوَاهُ الشَّيْخُ الثِّقَةُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَلِيُّ بِرِسَالَتِهِ "الْأَنْدِيَةِ" قَوْلَهُ فِيهَا: «أَظْهَرَ لَهُمْ الْبَارِئُ الْقُدْرَةَ الْبَاهِرَةَ وَالْحُجَّةَ الشَّاهِرَةَ، وَدَعَاهُمْ لِلْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَالسُّجُودِ لِحِجَابِهِ، فَأَجَابَ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَسْلَمَ الْعَارِفُونَ، وَأَنْكَرَ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالْكَدَرِ وَالْجَحْدِ وَالْغَيْرِ وَقَالُوا: مَا أَنْتَ ذَلِكَ الرَّبُّ الَّذِي دَعَانَا وَالْإِلَهَ الَّذِي نَادَانَا، ذَلِكَ جَوْهَرٌ صَافٍ وَنُورٌ شَعْشَعَانِي، وَأَنْتَ ذُو جِسْمٍ بَشَرِيٍّ وَهَيْكَلٍ ظُلْمِيٍّ، وَحِجَابُكَ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ لَيْسَ بِنُورٍ صَائِبٍ، لَسْنَا نُطِيعُكَ وَلَا نَسْجُدُ لِحِجَابِك وَكَانَ امْتِنَاعُهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَعَنْ السُّجُودِ لِحِجَابِهِ إِتْمَامًا لِكُفْرِهِمْ وَهَلَاكًا لِجَمْعِهِمْ»، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَجَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِفْكِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ وَجَحْدِهِمْ وَإِنْكَارِهِمْ. وَلَا أَقُولُ بِكُمْ كَمَا أَقُولُ بِهِمْ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ مَعَكُمْ ثَابِتَةٌ، أَسْئَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ تَمَامَ نِعْمَتِهِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ
فِي مَعْرِفَةِ أَسَامِي الْبَارِي عَزَّ شَأْنُهُ
بِصُورَةِ الْكَمَالِ وَبَدْوِهِ فِي الْكَوْنِ النُّورَانِيِّ وَأَسَامِي الْبَشَرِيَّةِ

وَنَرْجِعُ إِلَى الْبَدْوِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَتَيْنَا بِهِ عَنْ صُورَةِ الْكَمَالِ، اِعْلَمْ يَا أَخِي أَيَّدَكَ اللَّهُ أنّ صُورَةَ الْكَمَالِ الَّتِي بَدَا بِهَا الْبَارِي فِي الْقِدَمِ فِي كَوْنِ النُّورِ لَهُ سَبْعُ أَسْمَاءٍ، لَا يَجْرِي عَلَيْهَا كَوْنٌ وَلَا يَقْدُمُهَا حُدُوثٌ، وَهِيَ قَبْلَ الْأَكْوَانِ السِّتَّةِ، وَقَبْلَ مَا شَاكَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْآدَمِيِّينَ، وَهِيَ: **الْمَعْنَى الْأَزَلُ الْفَرْدُ الْقَدِيمُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الْعَلِيُّ مَعْنَى الْمعَانِي رَبُّ الْمَثَانِي.**

وَأَمَّا صِفَتُهُ وَقِيلَ اسْمُهُ فِي النُّورِ: **الْهَيُولَى الْغَوْثِ سُرَادِقُ الْأَنْوَارِ وَعِمَادُ الْجِنَانِ وَصَفِيُّ الْأَنْوَارِ وَمُنَى السَّائِلِينَ وَعَيْنُ الْعُيُونِ.**

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ فِي عَالَمِ النُّورِ: **غَايَةُ الْغَايَاتِ نِهَايَةُ النِّهَايَاتِ مُؤَزِّلُ الْأَزَلِ مُؤَبِّدُ الْأَبَدِ حَيٌّ دُرِّيٌّ حَيٌّ دَارٍ الْحَيِّ الْقَيُومِ.**

وَأَمَّا أَسَامِيهِ فِي الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ: **هَابِيلُ شِيثُ يُوسُفُ يُوشَعُ آصِفُ شَمعُونِ الصَّفَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.**

وَأَمَّا صِفَتُهُ: **الْأَصْلَعُ ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ رَحبُ الْمَبْلَجِ أَخْدَرُ الْعَيْنَيْنِ عَبْلُ الذِّرَاعَيْنِ بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ أَخْمَشَ السَّاقَيْنِ** تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

الْبَابُ الْخَامِسُ
فِي مَعْرِفَةِ حُلُولِ الْبَارِي فِي الصِّفَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَانْفِرَادِهِ عَنْهَا

اِعْلَمْ يَا أَخِي أَيَّدَكَ اللَّهُ لَمَّا اقْتَصَصْنَا عَلَيْهِ وَاسْتَدْلَلْنَا بِمَعْرِفَتِهِ وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيِّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ قَالَ: «مَا الدَّلِيلُ عَلَى ظُهُورِهِ بِالنَّاسُوتِيةِ؟ وَكَيْفَ ظَهَرَ بِهَا؟ وَبِمَ ظَهَرَ؟ وَبِمَا احْتَجَبَ؟

قُلْنَا لَهُ: احْتَجَبَ بِخَمْسَةٍ وَظَهَرَ بِخَمْسَةٍ وَأَظْهَرَ خَمْسَةً.

فَقَالَ: بَيِّنْ لِي هَذِهِ الثَّلَاثَ خَمْسَاتٍ الَّتِي احْتَجَبَ بِهَا وَظَهَرَ بِهَا وَأَظْهَرَهَا.

قُلْنَا لَهُ: الْخَمْسَةَ الَّتِي احْتَجَبَ بِهَا: الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْأَزْوَاجُ وَالْأَوْلَادُ وَالْأُخُوَّةُ، وَظَهَرَ بِخَمْسٍ: فِي النَّاسُوتِيةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالنَّوْمِ وَالْمَوْتِ وَأَظْهَرَ خَمْسًا وَهِيَ: الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْغَائِطُ وَالْبَوْلُ وَالْجَنَابَةُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ».

فَيَجِبُ أَنْ نُؤْتِيَ بَيَانَ مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ عَنْ ظُهُورِ الْبَارِي عَزَّتْ قُدْرَتُهُ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ خَمْسَاتٍ، وَكَيْفَ انْفِرَادُهُ عَنْهَا، وَنَعْرِفَ مَعْنَى حُلُولِهِ بِالصِّفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَيْفَ انْفِرَادُهُ عَنْهَا، مِمَّا قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزُّهُ فِي

كِتَابِ "الْأَسْوَسِ" حِينَ قَالَ السَّائِلُ لِلْعَالِمِ: «أَخْبِرْنِي أَيُّهَا الْعَالِمُ عَمَّا يَجُوزُ فِي اللَّهِ وَمَا لَا يَجُوزُ فِيهِ؟ وَمَا هُوَ؟ وَأَينَ هُوَ؟ وَفِي أيِّ شَيءٍ هُوَ؟ هَلْ هُوَ خَارِجٌ عَنْ خَلْقِهِ أَمْ دَاخِلٌ بِهِمْ أَمْ لَا دَاخِلٌ وَلَا خَارِجٌ؟ وَهَلْ هُوَ مُمَازِجٌ لِخَلْقِهِ أَمْ مُبَايِنٌ لَهُمْ أَمْ لَا مُمَازِجَ وَلَا مُبَايِنَ؟».

قَالَ الْعَالِمُ عَزَّ عِزّهُ: **«لَوْ كَانَ اللَّهُ مُمَازِجًا لِلْأَشْيَاءِ لَكَانَ مُشَاكِلَ لَهَا، وَلَوْ كَانَ مُبَايِنًا لَكَانَ لَهَا ضِدًّا، وَلَوْ كَانَ لَا مُمَازِجًا وَلَا مُبَايِنًا فَهُوَ عَدَمٌ، لِأَنَّ مَا بَعْدَ هَذَيْنِ الْقِسْمَيْنِ إِلَا الْعَدَمُ، بَلْ أَقُولُ أنَّه مُبَايِنٌ لَهَا فِي جَوْهَرِ الْإِلهِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَهْرِ، وَلَا أَقُولُ أنّهُ مُبَايِنٌ لَهَا مُضَادِدٌ، بَلْ أَقُولُ أنّهُ خَارِجٌ عَنْهَا، لَا أُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا، بَلْ أُرِيدُ أَنَّ جَوْهَرَهُ مُفَارِقٌ لِجَوْهَرِهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا، وَلَا أَقُولُ أنَّ جَوْهَرَهُ مُخْتَلِطٌ بِهَا لِأَنَّهَا مُحَدِّثَةٌ وَهُوَ قَدِيمٌ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ وَهُوَ خَالِقٌ»**.

بَيَانُ مَا قَالَهُ الْعَالِمُ لِلسَّائِلِ

أَقُولُ: إِنَّهُ مُبَايِنٌ لَهَا فِي جَوْهَرِ الْإِلْهِيَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَهْرِ.

اِعْلَمْ أيَّدَكَ اللَّهُ: إنَّ الصُّورَةَ الَّتِي ظَهَرَ مِنْهَا الْعِلْمُ وَالْقَهْرُ هِيَ صُورَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ، ظَهَرَ بِهَا حِينَ أَظْهَرَ الْمُعْجِزَ الْمُبْهِرَ الَّذِي رَأَوْهُ مِنَ الصُّورَةِ وَعَايَنُوهُ، مِثْلَ إِحْيَائِهِ أَصْحَابَ النَّوَاوِيسِ فِي بِلَادِ الْفُرْسِ يَوْمَ رِحْلَتِهِ عَنْ سُوقِ الْعَقِيقِ، وَقَوْلِ الْمَوْلَى عَزَّ عِزّهُ لِأَهْلِ الْفُرْسِ: **«نَادَوْا**

أَهْلَ النَّوَاوِيسِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ، وَقُولُوا لَهُمْ عَلِيٌّ يَدْعُوكُمْ» فَدَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ: "لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أَيُّهَا الدَّاعِي، حَانَ عَفْوُكَ وَغُفْرَانُكَ" وَالْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُوهُمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِصِنْعَتِهِ فِي زَمَانِهِ وَحَالِ ثَرْوَتِهِ وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمْ إِلَّا يَقُولُ: نَعَمْ يَا مَوْلَانَا، وَهُمْ مُقْبِلُونَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَةٍ عَظِيمَةٍ وَجُثَثٍ مَهُولَةٍ، وَقَدْ عَظُمَ ضَجِيجُهُمْ.

وَمِثْلُ إِحْيَائِهِ الْأَرْبَعِينَ أَحْبَارُ الْيَهُودِ الَّذِينَ أَتَوْا وَنَاظَرُوا فِي ظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ عَزَّ عِزَّهُ.

وَمِثْلُ خِطَابِ الشَّمْسِ لَهُ يَوْمَ بَقِيعِ الْفَرْقَدِ حِينَ قَالَ لَهَا: **«السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيُّهَا الْخَلْقُ الْجَدِيدُ»** وَقَوْلُهَا لَهُ: **«وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أَوَّلُ يَا آخِرُ يَا بَاطِنُ يَا ظَاهِرُ يَا مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»**. فَهَذَا مِمَّا دَلَّ الْعَالِمَ عَلَى ظُهُورَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلهِيَّةِ عِنْدَ الْمُشَاكَلَةِ بِالصُّورَةِ، إِنَّهُ شَاكَلَهُمْ بِالصُّورَةِ وَالْمَنْظَرِ وَبَايَنَهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالْمعجِزِ الْبَهِيرِ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يُحْصَى، اقْتَصَرْنَا عَنْ الْإِطَالَةِ لِكَيْ لَا يَطُولَ الشَّرْحُ.

وَأَمَّا الْعِلْمُ الَّذِي بَدَا مَعَ الْقُدَرِ سَنَذْكُرُ مِنْهُ شَيْئًا، لِيَتِمَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِقْرَارُهُمْ وَلِأَهْلِ الْجُحُودِ إِنكَارُهُمْ، فَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ عِصْمَةُ الدَّوْلَةِ فِي رِسَالَتِهِ "الْمِصْرِيَّةِ" فَقَالَ: "حَدَّثَنِي سَيِّدِي وَشَيْخِي أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَغْدَادِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رِجَالِهِ، أَنَّ أَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَّاحِ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَقَدْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ عَزَّ

عِزّهُ، وَقَدْ تَزَوَّجَ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ سَافَرَ عَنْ أَهْلِهِ، فَغَابَ أَرْبَعَ سِنِينَ وَكَانَ سَيِّدُنَا رَسُولَ اللَّهِ عَزَّ عِزّهُ يَتَفَقَّدُ حَالَ مُخَلَّفِيهِ، وَأَنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى زَوْجَتِهِ وَجَدَهَا حَامِلًا وَهِيَ قُرْبَ وِلَادَتِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنْ غَدِهِ أَخَذَ بِيَدِهَا وَأَتَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَزَّ عِزّهُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ جَالِسٌ مَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَالْمَحْفَلُ مُنْغَصٌّ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: «يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ زَوْجَتِي هَذِهِ سَافَرْتُ عَنْهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعْلَمُ، وَخَلَّيْتُهَا عَلَى حَالِ السَّلَامَةِ فِي نَفْسِهَا، فَلَمَّا وَصَلْتُ الْبَارِحَةَ وَجَدْتُهَا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ عَزَّ عِزّهُ لِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ: «**يَا عَلِيُّ، أَخْبِرْهُمْ بِحَالِهَا، فَإِنَّكَ أَنْتَ بِهَا خَبِيرٌ**»، فَأَدْنَاهَا إِلَيْهِ وَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ: «**إِذَا سَأَلْتُكِ عَنْ شَيْءٍ فَاصْدِقِينِي عَنْهُ لِأَنَّ نَجَاتَكِ بِصِدْقِكِ**»، فَقَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» فَقَالَ: «**أَلَسْتِ تَذْكُرِينَ إِنَّكِ فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا كُنْتِ تَمْشِينَ فِي شَارِعِ الْمَدِينَةِ فَاجَأَكِ الْحَيْضُ، فَاسْتَحْيَيْتِ مِنْ النَّاسِ وَجَلَسْتِ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ، وَإِذَا بِصُوفَةٍ فَأَخَذْتِهَا وَطَرَحْتِهَا فِي مَوْضِعِ الْغَرَضِ لِأَجْلِ حَبْسِ الدَّمِ؟**» قَالَتْ: «قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا مَوْلَايَ» فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ: «**إِنَّ تِلْكَ الصُّوفَةُ كَانَ رَجُلٌ قَدْ مَسَحَ بِهَا إِحْلِيلَهُ مِنْ وَطْءٍ وَطِئَهُ فَعَلِقَتْ الْمَنِيُ فِي الصُّوفَةِ، فَلَمَّا تَحَمَّلَتِ بِهَا كَانَ الْمَوْضِعُ حَارًّا فَتَحَلَّلَتِ النُّطْفَةُ فِي الْحَالِ وَاخْتَلَطَتْ فِي الدَّمِ الْحَارِّ، فَكَانَ مِنْهَا هَذَا الْجَنِينُ، وَهُوَ ذَكَرٌ، وَسَيَكُونُ أَبْيَضًا أَشْقَرَ اللَّوْنِ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ، وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَضَعِينَهُ**»، فَأَخَذَ الرَّجُلُ فِي يَدِ زَوْجَتِهِ وَمَضَى، فَلَمَّا جَنَّ

اللَّيْلُ، ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ وَوَضَعَتْ الْحَمْلَ ذَكَرًا كَمَا وَصَفَهُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ".

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ شَيْخِي وَسَيِّدِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَشْيَاخِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إنّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَبَأٍ أَتَى هُوَ وَإِخْوَتِهِ إِلَى مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ وَمَعَهُمْ أُخْتُهُمْ، فَقَالُوا: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذِهِ أَخْتُنَا أَيِّمٌ لَا بَعْلَ لَهَا، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ اسْتَقْضَيْنَاهَا حَاجَةً فَقَامَتْ وَهِيَ فِي الْعَجْزِ مِنْ ثِقَلِ مَا فِي جَوْفِهَا، فَاسْتَرَبنَا حَالُهَا، وَأَدْخَلْنَا عَلَيْهَا امْرَأَةً قَابِلَةً، فَكَشَفَتْ عَنْ جَوْفِهَا لِتَنْظُرَ مَوْضِعَ الْأَلَمِ، فَلَمَّا شَاهَدَتْهَا ذَكَرَتْ لَنَا أَنَّهَا حَامِلٌ، وَقَدْ سَلَّمْنَاهَا إِلَيْكَ لِتَحْكُمَ بِهَا بِحُكْمِكَ الَّذِي هُوَ حُكْمُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، فَقَالَ لَهُمْ مَوْلَانَا عَزَّ عِزّهُ: «**صَدَقَتِ الْقَابِلَةُ فِي قَوْلِهَا لَكُمْ إِنَّهَا حَامِلٌ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْلَمْ الْحَمْلَ مَا هُوَ وَمَا سَبَبُهُ**»، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «**أَقْبِلِي**» فَأَقْبَلَتْ ثُمَّ قَالَ لَهَا: «**أَدْبِرِي**» فَأَدْبَرَتِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ: «**إِنَّ أُخْتَكُمْ هَذِهِ قَدْ اغْتَسَلَتْ فِي مَاءٍ وَفِيهِ عَلَقٌ، فَدَخَلَتْ مِنْهُ عَلَقَةٌ فِي الرَّحِمِ فَحَدَثَ مِنْهَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَرَوْنَهُ مِنْ هَيْئَةِ الْحَمْلِ، وَلَكِنْ اجْلِسُوا فَإِنّكُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ عَيَانًا**»، فَجَلَسُوا كَمَا أَمَرَهُمْ، وَقَالَ عَلِيٌّ لِأَسْمَاءَ ابْنَةَ عُمَيسٍ فَأَتَتْ، فَقَالَ لَهَا: «**خُذِي هَذِهِ الْجَارِيَةَ إِلَيْكِ وَعَرِّيهَا وَأَجْلِسِيهَا فِي إِنَاءٍ وَاسِعٍ، وَادْلُكِي فَرْجَهَا بِالْمَاءِ الْحَارِّ، وَانْظُرِي مَا يَكُونُ مِنْهَا وَأَعْلَمِينِي بِهَا**»، فَأَخَذَتْ أَسْمَاءُ بِيَدِ الْجَارِيَةِ وَمَضَتْ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهَا وَفَعَلَتْ مَا أَمَرَهَا بِهِ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ، فَمَا غَابَتْ إِلّا الْقَلِيل

حَتَّى أَقْبَلَتْ وَالْجَارِيَةُ مَعَهَا، وَجَارِيَةُ أَسْمَاءَ مَعَهَا، وَعَلَى رَأْسِهَا الْإِنَاءُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمَاءُ، فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَّا وَإِخْوَتُهُ جُلُوسٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بِالطِّشْتِ مَمْلُوءٌ دَمًا عَبِيطًا وَفِيهِ عُلْقَةٌ كَمَا الْقِثَّاةِ(١)، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: «يَا مَوْلَايَ أَخَذْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَأَجْلَسْتُهَا فِي هَذَا الطَّشْتِ وَدَلَّكْتُ فَرْجَهَا بِالْمَاءِ الْحَارِّ كَمَا أَمَرْتَنِي، فَإِذَا بِهَذِهِ الْعَلَقَةَ قَدْ خَرَجَتْ وَتَبِعَهَا هَذَا الدَّمُ»، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأ وَإِخْوَتِهِ: «**خُذُوا بِيَدِ أُخْتِكُمْ وَامْضُوا، وَاسْأَلُوهَا أَنْ تَجْعَلْكُمْ فِي حِلٍّ**» فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ مَا لَوْ أَطَلْنَا بِهِ لَطَالَ الْخِطَابُ وَاتَّسَعَ الْكِتَابُ، فَاقْتَصَرْنَا عَنْ الْإِطَالَةِ.

وَأَمَّا الْقَهْرُ الَّذِي بَدَا مِنْهُ وَرَآهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ أَنْ يَأْتِيَ بِشَيٍّ وَلَا بَعْضِ شَيْءٍ مِنْهُ، مَا كَانَ يَوْمَ غُزَاةِ خَيْبَرَ وَهِيَ مُحَصَّنَةٌ بِالْخَنْدَقِ، وَرَفْعُ الْجِسْرُ عَنْهُ، وَمُحَصَّنَةٌ فِي الْبَابِ الَّذِي لَمْ يَرُدَّهُ وَيَفْتَحَهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ أُولِي الْقُوَّةِ، وَمُمَنَّعٌ بِأَقْفَالِ الْحَدِيدِ، فَمَدَّ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَيْهِ فَقَلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ كَأَنَّهُ لَا ثِقَلَ لَهُ، وَرَكَّبَهُ جِسْرًا، فَمَا جَازَ الْجَانِبَيْنِ، فَمَدَّ سَاعِدَهُ مَعَهُ عَلَى شَفِيرِ الْخَنْدَقِ وَكَمَّلَهُ جِسْرًا، وَعَبَرَ الْجَيْشُ إِلَى الْحِصْنِ، وَفَعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَهُ. وَمِثْلُهُ مَا كَانَ مِنْهُ يَوْمَ الأحزَابِ حِينَ أَتَوْا لِمُبَارَزَتِهِ، وَكَانَتْ عِدَّةُ الْأَحْزَابِ تِسْعِينَ أَلْفَ مُبَارِزٍ، فَبَرَزُوا كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ أَوْ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَكَانَ مَعَ أَمِيرِ

(1) بالفصحة القثّاءة وهو نوع من الخضراوات يشبه الخيار.

الْمُؤْمِنِينَ رَسُولِ اللَّهِ عَزَّ عِزّهمْ وَسَلْمَانَ وَالْمِقْدَادَ عليهم السلام وَالْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقِفُوا عَلَى شَفِيرِ الْخَنْدَقِ وَيَنْظُرُوا مَا يَكُونُ مِنْ قُدْرَتِهِ، فَتَشَخَّصَ عَزَّ شَأْنُهُ تِسْعِينَ أَلْفِ شَخْصٍ عَلَى عَدَدِ الْقَوْمِ، وَغَاصَ فِيهِمْ يَمِينًا وَشِمَالًا فَكَانَ لَا مَقْتُولَ مِنْهُمْ وَلَا مَجْرُوحَ وَلَا مَهْزُومَ إِلَّا وَيَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَقِمَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْفَاعِلُ بِهِ مَا هُوَ فِيهِ فَعِنْدَهَا قَالَ الْمِقْدَادُ لِسَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ عليهم السلام: «سَيِّدِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قُدْرَةِ مَوْلَايَ وَمَوْلَاكَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ!» فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَيْفَ رَأَيْتَهُ يَا مِقْدَادُ» فَقَالَ الْمِقْدَادُ: «رَأَيْتُهُ تَشَخَّصَ أَشْخَاصًا عَلَى عَدَدِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَهُوَ مَعَهُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا وَخَلْفًا وَقُدَامًا، وَلَا مِنْهُمْ مَقْتُولٌ وَلَا مَجْرُوحٌ وَلَا مَهْزُومٌ إِلَّا وَهُوَ مُنْتَقِمٌ عَلَيْهِ وَهُوَ الْفَاعِلُ بِهِ مَا هُوَ فِيهِ»، فَقَالَ سَلْمَانُ: «صَدَقْتَ يا مِقْدَادُ، وَلَكِنْ مَا رَأَيْتَه كَمَا رَأَيْتُهُ أَنَا»، فَقَالَ الْمِقْدَادُ: «كَيْفَ رَأَيْتَهُ يَا سَيِّدِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ» فَقَالَ: «هُوَ كَمَا رَأَيْتَهُ يَا مِقْدَادُ، وَلَكِنَّهُ مَا بَرِحَ عَنْ شَفِيرِ الْخَنْدَقِ وَهَا هُوَ» وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَزَّ عِزّهُ: **«صَدَقْتَ يَا سَلْمَانُ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُ الْمِقْدَادُ، وَهُوَ عَلَى شَفِيرِ هَذَا الْخَنْدَقِ، وَكَمَا تَرَاهُ، وَلَكِنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَا بَرِحَ مِنْ عَنَانِ السَّمَاءِ، وَهَا هُوَ»** وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ السَّمَاءِ.

وَمِنْ مَعَاجِزِهِ الْقَاهِرَةِ مَا لَا تُحِيطُ بِهِ الْأَفْكَارُ وَلَا تَحْوِيهِ الْأَسْطَارُ، فَدَلَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ إِنَّهُ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ وَعَظُمَتْ مَشِيئَتُهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ أَرْضِهِ

بِمُشَاهَدَةِ سَمَائِهِ، وَلَمْ يَغِبْ عَنْ سَمَائِهِ بِمُشَاهَدَةِ أَرْضِهِ، وَإِنَّمَا ظُهُورُهُ لِعَالَمِ النُّورِ بِصُورَةٍ نُورَانِيَّةٍ عَلَى هَيْئَاتِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ، وَظَهَرَ لِعَالَمِ الْبَشَرِ بِصُورَةٍ بَشَرِيَّةٍ عَلَى صِفَاتِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ، وَإِنَّ الْاسْمَ الْعَظِيمَ وَالْحِجَابَ الْكَرِيمَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٍ يَرَاهُ بِمَا لَا يَرَاهُ بِهِ الْبَابُ سَلْمَانُ، فَكَذَلِكَ الْبَابُ يَرَاهُ بِمَا لَا يَرَاهُ بِهِ الْمِقْدَادُ، وَالْمِقْدَادُ يَرَاهُ بِمَا لَا يَرَاهُ بِهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْمَرَاتِبِ إِلَى آخِرِ دُرَجِ عَالَمِ النُّورِ، يَرَاهُ بِمَا لَا يَرَاهُ بِهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَحْدُثُ، وَيَجِلُّ عَنْ الْحَالَاتِ فِي جَمِيعِ الظُّهُورَاتِ وَأَمَّا ظُهُورُهُ فِي هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمَذْكُورَةِ، فَهُوَ عَدْلٌ مِنْهُ وَإِنْصَافٌ فِي بَرِيَّتِهِ وَعَدْلٌ فِي قَضِيَّتِهِ، لِيَفْهَمَ كُلُّ جِنْسٍ عَنْ جِنْسِهِ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِ "حُجَّةِ الْعَارِفِ" قَوْلَهُ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ: «أَنَّ الْعَرَبِيَّ لَا يَفْهَمُ عَنْ الْأَعْجَمِيِّ وَالزِّنْجِيَّ لَا يَفْهَمُ عَنْ التُّرْكِيِّ، وَلَا يَفْهَمُ كُلُّ ذِي لُغَةٍ إِلَّا بِلُغَتِهِ، وَهُمْ فِي الْإِنْسَانِ وَالْبِلَادِ وَالْخَلْقُ بِفَرْدِ جِنْسٍ، فَكَيْفَ يَفْهَمُ الْمُحْدَثُ عَنْ الْقَدِيمِ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْهَا، لَا أُرِيدُ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا، بَلْ أُرِيدُ أَنَّ جَوْهَرَهُ مُفَارِقٌ جَوْهَرَهَا وَإِنْ ظَهَرَ بِهَا**»، وَأَنَّ الْبَارِيَ عَزَّ شَأْنُهُ إِذَا شَاكَلَ الْخَلْقَ فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَنْهَا خَامِسٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ دُونَ الطَّبَائِعِ الْأَرْبَعَةِ خَارِجٌ عَنْ حَدِّهِمْ وَعَنْ كَوْنِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: «**وَلَا أَقُولُ إِنَّ جَوْهَرَهُ مُخْتَلِطٌ بِجَوْهَرِهَا**»، فَعَلِمْنَا أَنَّ الِاخْتِلَاطَ مُمَازَجَةُ الْحَدَثِ، اِعْلَمْ أَيَّدَكَ اللَّهُ يَا أَخِي أَنَّ جَمِيعَ الظُّهُورَاتِ

الَّتِي أَظْهَرَهَا الْبَارِئُ، مَا شَاكَلَ بِهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ بِمَعَاجِزِهِ الْمُحْدَثَةِ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الْهَفْتِ" فِي بَابِ الْأَرْبَعِينَ، قَالَ الْمُفَضَّلُ: «سَأَلْتُ مَوْلَايَ الصَّادِقَ عَزَّ عِزّهُ عَنْ مَوْلِدِ الْأَوْصِيَاءِ؟» قَالَ: **«يَا مُفَضَّلُ، أَوَّلُ الْعَجَبِ إِنَّ أمّهَاتِ الْأَوْصِيَاءِ ذُكُورٌ لَا إِنَاثٌ»** قُلْتُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ ذَلِكَ؟» قَالَ: **«لِأَنَّهُمْ مَلَائِكَةٌ فِي صُورَةِ النِّسَاءِ»** ثُمَّ تَلَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾[1].

وَرُوِيَ فِي كِتَابِ "الْأَسْوَسِ" عَنْ إِنْفِرَادِ الْبَارِي عَزَّتْ قُدْرَتُهُ عَنْ صِفَةِ الْخَلْقِ، لِيُعْرَفَ الرَّبُّ مِنْ الْمَرْبُوبِ وَالْخَالِقُ مِنْ الْمَخْلُوقِ، قَالَ السَّائِلُ لِلْعَالِمِ عَزَّ عِزّهُ: «أَخْبِرْنِي عَنْ الشَّيْئِ وَعَنْ الْجِسْمِ» فَأَجَابَ فِي آخِرِ كَلَامِهِ: **«إِنَّ الشَّيَّ جِسْمٌ، وَالْجِسْمُ شَيْئٌ ... إِلَى قَوْلِ الْعَالِمِ ... سَأَلْتَنِي عَنِ الْجِسْمِ وَعَنِ الشَّيْءِ، فَالشَّيءُ يَدْخُلُ فِيهِ الضَّعْفُ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ، يَدْخُلُ فِيهِ الضَّعْفُ إِنَّهُ عَرْضٌ وَالْعَرْضُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ، وَالْحَرَكَةُ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا وَإِنَّمَا تَقُومُ بِفَاعِلِهَا، وَكَذَلِكَ اللَّوْنُ وَالطَّعْمُ وَالشَّمُّ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَإِنَمَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ، وَالْجِسْمُ يَقُومُ بِنَفْسِهِ، وَتَحْتَاجُ هَذِهِ الْأَعْرَاضُ إِلَيْهِ، وَالْأَشْيَاءُ تَحْتَاجُ إِلَى الْجِسْمِ، وَالْجِسْمُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، لِأَنَّهَا عَرْضٌ وَالْعَرْضُ مَا كَانَ لَهُ فَوْقٌ وَتَحْت وَخَلْفٌ وَقُدَامٌ وَيَمِينٌ وَشِمَالٌ، فَهُوَ عَرَضٌ، فَهَذَا الْمُحْدَثُ الَّذِي لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ وَإِنَّمَا يَقُومُ بِغَيْرِهِ»**.

(1) الزخرف: 19

وَقَالَ الْعَالِمُ أَيْضًا: «**إِذَا كَانَ الْخَالِقُ لَيْسَ هُوَ لَوْنًا وَلَا رَائِحَةً وَلَا صَوْتًا وَلَا طَعْمًا، وَلَكِنَّهُ جِسْمٌ آخَرُ مُنْفَرِدٌ خَامِسٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الْأَزَلِيَّةِ**».

مَعْنَى قَوْلِ الْعَالِمِ: «**إِنَّ اللَّوْنَ وَالرَّائِحَةَ وَالصَّوْتَ وَالطَّعْمَ وَمَا شَاكَلَهَا مِنْ الْأَعْرَاضِ مَوْجُودَةٌ فِي الْإِنْسَانِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا تَحِلُّ فِي الْبَارِئِ، وَهِيَ مِنْ سِنْخِ الْخَلِيقَةِ، وَإِنَّ الْبَارِئَ مُكَوِّنُ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ، وَمُنْشِئُ الْخَلْقِ مِنْ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، كَيْفَ يَحِلُّ بِهَا دَائِمًا!**» مُرَادُ الْعَالِمِ فِي هَذَا الْقَوْلِ إِلَّا لِيُفْرِدَ الْبَارِئُ عَنْ هَذِهِ الْأَعْرَاضِ، لِأَنَّهَا عَمَّتْ جَمِيعَ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ سِنْخِ الْخَلِيقَةِ لِقَوْلِهِ: «**إِنَّ الْبَارِئَ يَظْهَرُ فِي جِسْمٍ مُنْفَرِدٍ خَاصٍّ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، ظَاهِرٌ بِالْأَرْبَعَةِ عَنَاصِرَ، وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ مُنَزَّهٌ عَنْ الْأَعْرَاضِ وَعَنْ الْأَجْسَامِ**» مَعْنَى ذَلِكَ إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَظْهَرْ بِالْأَجْسَامِ لَكَانَ عَدَمًا.

بَيَانُ قَوْلِهِ: الْخَالِقِ لَا يُدْرَكُ شَمًّا فَيَكُونُ رَائِحَةً، وَلَا يُدْرَكُ بِالذَّوْقِ فَيَكُونُ طَعْمًا، وَلَا يُدْرَكُ بِالْحِسِّ فَيَكُونُ خُشُونَةً وَلِينًا، وَلَكِنْ هُوَ جِسْمٌ آخَرُ مُنْفَرِدٌ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الرَّسُولُ الْهَاشِمِيُّ عَزَّ عِزُّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَيَالٌ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَلَا فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، وَلَا أَثَرَ عَلَيْهِ غُبَارٌ، وَلَا بَدَا مِنْهُ نَجْوٌ، وَلَوْ أَنَّهُ جِسْمٌ كَهَيْئَةِ الْأَجْسَامِ لَأَثَّرَ عَلَيْهِ الذُّبَابُ، وَبَانَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ، لِأَنَّ الذُّبَابَ وَالْغُبَارَ لَمْ يَثْبُتْ إِلَّا عَلَى جِسْمٍ، وَإِنَّ سَائِرَ الْأَجْنَاسِ وَالشَّرَائِعِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي الْإِسْلَامِيَّةِ، تَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ عَزَّ عِزُّهُ إِنَّهُ عَرَجَ إِلَى

السَّمَاءِ، وَخَاطَبَ الرَّبَّ عَزَّ عِزّهُ حَتَّى مَا بَقِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَارِئِ إِلَّا كَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، وَقَابُ الْقَوْسَيْنِ يَعْنِي مِثْلُ مَا بَيْنَ الْحُمْرَةِ وَالْخُضْرَةِ فَهَلْ يَنْبَغِي لِذِي جَسَدٍ نَاسُوتِيٍّ مُرَكَّبٍ مِنْ أَرْبَعِ طَبَائِعَ أَنْ يَعْرُجَ إِلَى السَّمَاءِ وَيُخَاطِبَ الْبَارِئَ عَزَّ عِزّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونُ لَاهُوتِيًّا مُنَزَّهًا عَنْ جِنْسِ الْبَشَرِيةِ وَمِثْلُهُ مَا أَوْرَاهُ مِنْ زَوَاجِ عَائِشَةَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ عَزَّ عِزّهُ وَقَامَ مَعَهَا، وَحِينَمَا تُرِيدُ مُبَاشَرَةً تَمُدُّ يَدَهَا إِلَيْهِ فَلَمْ تَجِدَ شَيْئًا، وَتَمُدُّ يَدَهَا عَلَى الْأَرْضِ فَإِذَا لَمَّتْ يَدَهَا تَجِدُ قُبَالَهَا صُورَةً فَتَقُولُ لَهُ «يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ لَا تُوَاطِئْنِي؟ وَإِنَّ زَوْجَتَكَ خَدِيجَةَ ابْنَةَ خُوَيْلِدٍ لَهَا أَوْلَادٌ، عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَاسِمُ وَالطَّاهِرُ وَزَيْنَبُ وَرُقَيَّةُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ وَفَاطِمَةُ، وَمَارِيَّةَ لَهَا إِبْرَاهِيمُ فَكَيْفَ تَحْرِمُنِي النَّسْلَ مِنْ سُلَالَةِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ؟ فَيَقُولُ لَهَا: «**أَنْتِ حَائِضٌ**» فَتُعَامِلُ نَفْسَهَا فَتَجِدُ الطَّمْسَ عَلَيْهَا.

وَمِثْلُهُ مَا رُوِيَ عَنْ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ إِنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَتَاهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَزَّ عِزّهمُ فَقَالَ لَهُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ: «يَا مَوْلَانَا نُرِيدُ أَنْ تَرَيَنَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» فَقَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَائِمًا وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى قَبَضَ مِنْهَا سَحَابَتَيْنِ وَجَذَبَهُمَا بِيَدِهِ إِلَى أَنْ مَثَلَتَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ «**ارْكَبُوا فِي هَاتَيْنِ السَّحَابَتَيْنِ حَتَّى أُرِيكُمْ مَا أَنْتُمْ بِقَصْدِهِ**» فَرَكِبَ مَوْلَانَا عَزَّ عِزّهُ هُوَ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَزَّ عِزّهمُ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ، وَكَانَ الْوَقْتُ الَّذِي سَارُوا فِيهِ وَقْتَ الْعَصْرِ، فَأَتَى بِهِمْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَأَرَاهُمُ السَّدَّ

الَّذِي صَنَعَهُ الإِسْكَنْدَرُ، وَكَانَ وَقْتُ مَجِيئِهِمْ الْمَغْرِبَ.

فَتَأَمَّلْ يَا أَخِي بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ، فَهَلْ يُمْكِنُ صَاحِبُ جَسَدٍ نَاسُوتِيٍّ مُرَكَّبٍ مِنْ أَرْبَعِ طَبَائِعَ أَنْ تَحمِلَهُ السَّحَابَةُ، وَمِمَّا رَوَاهُ الْأَمِيرُ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ الْقَطَيْعِيِّ فِي الرِّسَالَةِ "الْمِصْرِيَّةِ": «إِنَّ الرَّسُولَ عَزَّ عِزّهُ أَتَى إِلَى الْحِصْنِ، وَحَطَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِفَّةِ الْمَنْجَنِيقِ، وَضَرَبَ بِهِ إِلَى فَوْقٍ حَتَّى غَابَ فِي الْجَوِّ مِنْ رِفْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَزَّ عِزّهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا فَتَخَطَّى عَلَى الْهَوَاءِ حَتَّى عَلَا عَلَى الْحِصْنِ». وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾(1).

وَمَثَلُ هَذِهِ الْآيَاتِ لَا تُحْصَى وَبِهَذَا وَمِثَالُهُ ظُهُورُ الْبَارِئِ فِي التَّخَيُّلِ، وَبِهَذَا ضَرَبَ الْبَغْدَادِيُّ مَثَلًا فَقَالَ: «أَلسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ غَدِيرَ الْمَاءِ الصَّافِي تُرَى بِهِ هَيْئَةُ السَّمَاءِ وَالْكَوَاكِبِ حَتَّى كُلُّ النَّاسِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ إِنَّهُمْ فِي الْمَاءِ، وَلَوْلَا عُقُولُهُمْ تَنْفِيهِ لَكَانُوا يُحَقِّقُونَ إِنَّهُمْ فِي الْمَاءِ، وَالْعِلَّةُ فِي النَّاظِرِ لَا فِي الْمَنْظُورِ».

وَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ فِي كِتَابِ "حُجَّةِ الْعَارِفِ" قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي هَذَا قَالَ: «أَنَّنَا نَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً وَهِيَ بِخِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ

(1) الحشر: 2

كَالسُّرَابِ فِي الْبَرِّ بِالْبِقَاعِ الْوَاطِئَةِ، فَلَا نَشُكُّ إِنَّهُ مَاءٌ، فَإِذَا جِئْنَاهُ لَمْ نَجِدْهُ شَيْئًا، وَنَرَى فِي الْبَحْرِ أَيْضًا إِذَا أَبْعَدْنَا النَّظَرَ كَأَنَّ آخِرَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ النَّظَرُ كَأَنَّهُ مُلْتَصِقٌ فِي السَّمَاءِ قَرِيبٌ مِنْهَا، وَهُوَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَنَرَى الْجِبَالَ إِذَا كُنَّا فِي أَرْضٍ فَسِيحَةٍ كَأَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنَ السَّمَاءِ وَهِيَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ فِي الْمَوْجُودَاتِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ نُشَاهِدُهَا وَهِيَ بِخِلَافِ مَا فِي نَظَرِنَا»، فَدَلَّ الْقَوْلُ فِي هَذَا أَنَّ الْمَعْنَى لَهُ صُورَةٌ فِي النَّظَرِ وَالْعِيَانِ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ، بَلْ إِنَّمَا رُؤْيَتُهُ فِي النَّظَرِ أَدَقُّ مِنَ الْخَيَالِ، وَلَكِنْ دَلَّتْ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَأَفعَالِ قُدْرَتِهِ.

وَبِمِثْلِ هَذَا قَالَ سَيِّدُنَا يَسُوعُ فِي الْإِنْجِيلِ: «**نَزَلْتُ إِلَيكُمْ مُتَجَلِّيًا بِالْحِجَابِ، فَأَرَيْتُكُمْ نَفْسِي بِالْبِشْرِ وَالْوِلَادَةِ، ثُمَّ عَمِلْتُ عَمَلَ اللَّاهُوتِ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكُمْ مَا تَمَيَّزُونَ بِهِ بَيْنَ مَنْ يَفْعَلُ فِعْلَ الْإِلَهِيَّةِ وَمَنْ يَفْعَلُ فِعْلَ الْإِنْسَانِيَّةِ**»، لِأَنَّ فِعْلَ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي أَظْهَرَهُ لَهُمْ، بِهَا أَقَامَ الْأَزْمَنَ، وَأَحْيَا الْمَيِّتَ، وَأَبْصَرَ الْأَعْمَى، وَكَلَّمَ الْأَبْكَمَ، وَبَعْدَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ مَا فَرَّقُوهُ عَنْ أَحَدِهِمْ، وَأَجْرَوا عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ وَكَذَلِكَ مَوْلَانَا الْعَيْنَ مِمَّا قَدَّمْنَا عَلَيْهِ النَّصَّ فِي الْمَعَاجِزِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ الَّتِي تُعْجِزُ جَمِيعَ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ بَعْضِهَا، وَأَهْلُ الْوَقْفِ وَالْحَيْرَةِ يَنْسُبُونَ مُعَاجِزَهُ وَقُدْرَتَهُ لِلسِّحْرِ وَالْكِهَانَةِ، تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الضَّالُّونَ.

الْبَابُ السَّادِسُ
فِي مَعْرِفَةِ صُورَةِ الْوُجُودِ الَّتِي بَدَتْ مِنَ الذَّاتِ

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ مِمَّا قَرَأْنَا وَأَطْلَعَنَا عَلَى سِرِّهِ، وَاتَّضَحَ لَنَا مَعْنَاهُ عَنْ صُورَةِ الْوُجُودِ الَّتِي بَدَتْ مِنَ الذَّاتِ الَّتِي تَوَالَتْ لَهَا أَهْلُ الْبَصَائِرِ وَشَهِدَتْ لَهَا الْجَوَارِحُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا مِمَّا رَوَاهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ عَنْ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فِي "الرِّسَالَةِ الْمُفَضَّلِيَّهْ" مِمَّا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَلِيُّ عَنْ سَيِّدِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَالِكٍ الْغَزَارِيُّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ صَدَقَةَ الْعَنْبَرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الزَّاهِرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ الْمَوْصِلِيِّ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحِيى عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ الْمُفَضَّلُ:

«إِنِّي قَدْ خَلَوْتُ بِمَوْلَايَ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فَوَجَدْتُ لِي مِنْهُ فُرْصَةً وَكُنْتُ أَبْغِيهَا، فَأَنِسْتُ مِنْهُ بَشَاشَةً وَاسْتَسْرَيْتُ بِهِ وَاسْتَقْرَيْتُ نَفْسِي لِلْمَسْئَلَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ أَسْأَلُكَ عَمَّا جَرَى فِي خَاطِرِي مِنْ ظُهُورِ الْمَعْنَى بِالصُّورَةِ الْمَرْئِيَّةِ، فَهَلْ هِيَ الذَّاتُ أَمْ لَا؟ وَهَلِ الذَّاتُ تُتَصَوَّرُ وَتَتَجَزَّئُ وَتَتَبَعَّضُ أَوْ تُحَوْلُ عَنْ كِيَانِهَا أَوْ تُتَوَهَّمُ؟ وَكَيْفَ يَظْهَرُ الْبَارِئُ لِلْخَلْقِ فِيهَا بِحَرَكَةٍ أَوْ سُكُونٍ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الظُّهُورُ وَالْغَيْبَةُ لِلْخَلْقِ الضَّعِيفِ؟ وَكَيْفَ يُطِيقُ الْمَخْلُوقُ النَّظَرَ إِلَى الْخَالِقِ؟ وَكَيْفَ يَفْهَمُ الْخَلْقُ وُجُودَهُ؟».

فَقَالَ لَهُ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ ظُهُورَ مَوْلَاكَ فِيمَا بَيْنَ خَلْقِهِ عَجِيبٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عَالِمٌ خَبِيرٌ، وَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الصَّعْبُ الْمُسْتَصْعَبُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّاتَ لَا يُقَالُ لَهَا نُورٌ، لِأَنَّهَا مُنِيرَةُ كُلِّ نُورٍ، وَإِنَّ مَوْلَاكَ الْأَزَلَ أَقَامَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ بِهِ وَلَا وَهْمٍ وَذَلِكَ لِحَاجَةِ الْمَخْلُوقِينَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، لَا لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُمْ وَهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ**».

وَهُوَ كَمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ أَنَّ ذَاتَ الْبَارِي لَا يُقَالُ لَهَا نُورٌ لِأَنَّهَا مُنِيرَةُ كُلِّ نُورٍ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهَا وَصْفٌ وَلَا قِيَاسٌ وَلَا مَثَلٌ تَتَمَثَّلُ بِهِ، لِأَنَّهَا شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ وَآلَةٌ لَا كَالْآلَاتِ وَحَرَكَةٌ لَا كَالْحَرَكَاتِ، وَهِيَ الْغَيْبُ الْمَنِيعُ الَّذِي مَا فِيهِ لِلْقَائِلِ مَقَالٌ، وَلَا لَهُ حَدٌّ فَتُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ، أَشْرَقَ مِنْ ذَاتِهِ نُورٌ شَعْشَعَانِيٌّ لَا تَثْبُتُ لَهُ الْأَنْوَارُ، وَأَبْدَى مِنْ ذَلِكَ النُّورِ السَّيِّدَ مُحَمَّدٍ عَزَّ عِزّهُ، فَكَانَ بُدُوُّهُ مِنْ نُورِ الذَّاتِ، يَعْنِي ظَاهِرُ الذَّاتِ، وَأَشْرَقَ مِنْ ذَلِكَ صُورَةَ الضِّيَاءِ وَهِيَ الصُّورَةُ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِأَهْلِ النُّورِ، وَحَجَبَ بِهَا نُورَ الذَّاتِ عَنْهُ، كَمَا أَنَّ صُورَةَ النُّورِ حَجَبَ بِهَا الذَّاتَ، وَأَقَامَ مِنْ ذَلِكَ الضِّيَاءِ صُورَةَ الظِّلِّ وَهِيَ صُورَةُ الْوُجُودِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِعَالَمِ الْأَبْشَارِ فِي الْقِبَابِ السَّبْعِ، مِنْ هَابِيلَ إِلَى مَوْلَانَا الْعَيْنِ عَزَّ عِزّهُ، وَهِيَ حِجَابُ الضِّيَاءِ، كَمَا أَنَّ الضِّيَاءَ حِجَابُ النُّورِ، وَالنُّورَ حِجَابُ الذَّاتِ، وَلِهَذَا قِيلَ أَنَّ السَّيِّدَ الْمِيمَ عَزَّ عِزّهُ يَرَى مَوْلَاهُ بِمَا لَا يَرَاهُ بِهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِنْ عَالَمِ النُّورِ، لِأَنَّهُ يَرَاهُ بِالصُّورَةِ الَّتِي هِيَ حِجَابُ الذَّاتِ، وَلِهَذَا قِيلَ إِنَّ الْبَارِئَ

عَزَّتْ لَاهُوتِيَّتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ حَجَبَ ذَاتَهِ بِالنُّورِ، وَحَجَبَ النُّورَ بِالضِّيَاءِ، وَحَجَبَ الضِّيَاءَ بِالظِّلِّ مِنْ غَيْرِ تجزيئ وَلَا انْفِصَامٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾[1] يَعْنِي لَوْلَا حَاجَةُ مَخْلُوقَاتِهِ لِمَعْرِفَتِهِ، لَجَعَلَهُ سَاكِنًا، يَعْنِي غَيْبًا لَا يُدْرَكُ وَلَكِنْ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنْصَافِهِ فِي الْبَرِيَّةِ وَأَحْكَامِهِ فِي الْقَضِيَّةِ، ظَهَرَ لِأَهْلِ النُّورِ عَلَى هَيْئَاتِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ، لِيَفْهَمَ كُلُّ جِنْسٍ عَنْ جِنْسِهِ، وَهُوَ لَا يَزُولُ عَنْ كِيَانِهِ وَإِنْ ظَهَرَ لِعِيَانِهِ، وَ بِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ السُّلْطَانُ ابْنُ الْأَدْهَمِ الْعَجَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

شَاهَدْتُ ظَبْيًا غَرِيرًا عِنْدَ التَّجَلِّي ... بِكَفِّ شَمْسِ الضُّحَى وَالأَمْرُ هَوِن
مُشَاهِدًا مِنْ ضِيَاءِ ظِلِّ نُورٍ ... ثَلَاثَةٌ تَسْقِينَا خَمْرَ الدُّنُونِ
ثَلَاثَةٌ تُسْقِنَا خَمْرًا عَتِيقًا ... مِنْ بَاطِنِ الْغُلْفِ جَوْهَرٌ مَكْنُونِ
جَوْهَرٌ ظَاهِرٌ بِضِيَاً مُنِيرٍ ... بَطْرَفِينِ مَعَ وَسَطِ الْحُمُونِ
زَيْتُونَةُ الْوُسْطَى خَلْفَهَا نُورُ يَا ضَيٍّ ... مِنْ جَوْهَرِ غَامِضٍ غَرِيبِ الْفُنُونِ
كَالْبَدَرِ تَحْتَ الْخُسُوفِ يَا ضَيٍّ عَلَيْنَا ... بِغُلُفِ دَجْنِ السَّمَا وَالأَمْرُ هَوْنِ
إِنْ كُنْتُ حُرًّا لَبِيبًا أُنْبِيكَ عَنْهَا ... ظَاهِرُ الذَّاتِ قُمْصُ قَدٍّ مَصُونِ

فَكَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ حُجَبٍ وَهُمْ: نُورٌ وَضِيَاءٌ وَظِلٌّ وَبَدْوُهُمْ مِنْ ذَاتِ الْقَدِيمِ الْغَيْبِ الْمَنِيعِ، لِقَوْلِهِ:

---

(1) الفرقان: 45

ثَلَاثَـــةٌ تُســـقِنَا خَمْـــرًا عَتِيقَّـــا مِـنْ بَـاطِنِ الْغُلُـفِ جَـوْهَرٌ مَكْنُـونِ

فَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي تُسقِنَا الْخَمْرَ هُوَ **النُّورُ** الَّذِي بَدَا مِنَ الذَّاتِ **وَالضِّيَاءُ** الَّذِي بَدَا مِنَ النُّورِ، **وَالظِّلُّ** الَّذِي بَدَا مِنَ الضِّيَاءِ.

وَبِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ الْحَكِيمُ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الزَّاهِرِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ عَنْ الْمَوْلَى الْبَاقِرِ عَزَّ عِزّهُ قَوْلُهُ: «**يَا جَابِرُ لَا يَصْلُحُ الرُّوحُ الْأَزَلُ الْعُلْوِيُّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ غِلَافًا عُلْوِيًّا فِي جَوْفِ غِلَافٍ سُفْلِيٍّ وَهُوَ الْحِجَابُ الظِّلِّيُّ، وَهُوَ دُونُ الْحِجَابِ الْعُلْوِيِّ، وَلَوْ ظَهَرَتْ الرُّوحُ النُّورَانِيَّةُ بِغَيْرِ حِجَابٍ لَأَطْفَأَ نُورَهَا كُلَّ نُورٍ غَيْرَهُ، وَهَذِهِ الْحُجُبُ يَنْزِلُ فِيهَا الرَّبُّ** عَزّ عِزّه، **وَيَظْهَرُ بِهَا مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ وَلَا إِزَالَةٍ عَنْ جَوْهَرِيَّتِهِ**».

فَأَنْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِ الْمَوْلَى أَنَّ الرُّوحَ فِي النُّورَانِيَّةِ تَظْهَرُ بِهَذِهِ الْحُجُبِ مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ وَلَا إِزَالَةٍ عَنْ جَوْهَرِيَّتِهَا، وَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِهِ: «**لَوْ ظَهَرَتِ الرُّوحُ الْعُلْوِيُّ بِغَيْرِ حِجَابٍ لَأَطْفَأَ نُورُهَا كُلُّ نُورٍ غَيْرَهُ وَدَكَّتِ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا**».

وَقَالَ **شَيْخُنَا** وَسَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ بِرِسَالَتِهِ "الرُّسْتُبَاشِيَّةِ": «إِنَّ نُورَ اللَّاهُوتِ لَا تَثْبُتُ لَهُ الْأَنْوَارُ ... إِلَى قَوْلِهِ ... ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[1] وَالْجَبَلُ: هُوَ جِسْمُ مُوسَى، وَالصُّورَةُ الَّتِي ظَهَرَ بِهَا فِي الْبَشَرِيَةِ جَعَلَهَا دَكًّا

(1) الأعراف: 143

لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ لِرُؤْيَةِ نُورِ اللَّاهُوتِ لَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، وَقَامَ مُوسَى بِالنُّورَانِيَّةِ دُونَ الْجُسْمَانِيَّةِ نُورًا مُجَرَّدًا مِنْ هَيْكَلِهِ، وَلَا أَقُولُ أَنَّ مُوسَى الَّذِي هُوَ الِاسْمُ الْمُعَظَّمُ وَالْحِجَابُ الْمُكَرَّمُ لَهُ جِسْمٌ نَاسُوتِيٌّ كَمَا يَظُنُّ بِهِ أَهْلُ التِّيهِ وَالْحَيْرَةِ، وَلَكِنْ أَقُولُ إِنَّ الْجِسْمَ الَّذِي رَأَوْهُ بِهِ هُوَ تَلَبُّسٌ وَتَخَيُّلٌ، كَمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ إِنَّهُ لَا يَفْهَمُ كُلَّ جِنْسٍ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ فَلَمَّا تَجَلَّى لَهُ بِالنُّورَانِيَّةِ انْعَدَمَ الْجِسْمُ وَظَهَرَ النُّورُ لِلنُّورِ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ».

وَرَوَى الْمُفَضَّلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رِسَالَتِهِ "الْمُفَضَّلِيَّةِ" بِرِوَايَتِهِ عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزُّهُ أَنَّهُ قَالَ: **«يَا مُفَضَّلُ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾(١)، اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ إِنَّ الْمِشْكَاةَ هِيَ الصُّورَةُ الْمَرْئِيَّةُ الْأَنْزَعِيَّةُ، وَالْمِصْبَاحُ هُوَ مَا بَطَنَ مِنْهَا وَهُوَ الضِّيَاءُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكَ وَالزُّجَاجَةُ الَّتِي كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ هِيَ النُّورُ الَّذِي بَدَا مِنْ الذَّاتِ وَالشَّجَرَةُ الَّتِي يُوقَدُ مِنْهَا هِيَ الذَّاتُ الَّتِي لَا تُحَدُّ وَلَا تُوصَفُ، وَهِيَ زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ، مَعْنَى لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ أَيْ أَنَّهَا لَا**

(1) النور: 35

تُوصَفُ بِأَيْنَ، وَلَا بِحَيْثُ، وَلَا فِي الْمَشْرِقِ فَيَخْلُو الْمَغْرِبُ مِنْهَا، وَلَا فِي الْمَغْرِبِ فَيَخْلُو الْمَشْرِقُ مِنْهَا، بَلْ هِيَ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، وَهِيَ نَارُ الْإِنْكَارِ مِنْ أَهْلِ الْجُحْدِ وَالْإِصْرَارِ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

وَقَالَ بِهَذَا الْمَعْنَى عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ الصُّوَيْرِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي (مِثْلِهِ) هَذِهِ الْأَبْيَاتِ:

لَوْ لَمْ يَمَسَّ الزَّيْتَ مِنْهَا نَارٌ ... مِنْ عَالَمِ الْجَحْدِ مَعَ الْإِنْكَارُ
بَدَا لَنَا ضِيَاؤُهَا جِهَارٌ ... لَوْ كُشِفَتْ لَأَغْشَتِ الْأَبْصَارُ
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْوَرَى شَقِيّا

دَلَّ بِهَا الْبَارِي عَلَى وُجُودِهِ ... كَيْ يَهْتَدِي بِنُورِهَا عَبِيدُهُ
وَيَعْرِفُوا الْأَوْصَافَ مَعَ حُدُودِهِ ... ثُمَّ يُوفُوا رَبَّهُمْ عُقُودَهْ
وَيَعرِفُوا الشَّرِيفَ وَالدَّنِيَّا

لِلهِ مِنْ سِرٍّ بِهَا عَظِيمًا ... وَهِيَ الصِّرَاطُ الْوَاضِحُ الْقَوِيمَا
نُورٌ لِأَهْلِ الصَّفْوِ وَالتَّسْلِيمَا ... وَهِيَ دَمَارٌ لِذَوِي التَّجْسِيمَا
إِذْ جَعَلُوهُ رَابِعًا جُزْوِيّا

يَعْنِي صُورَةُ الْوُجُودِ الَّتِي ظَنُّوا أَنَّهَا جِسْمٌ نَاسُوتِيٌّ، وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ

الْحَقِيقَةِ الصُّورَةُ الظِّلِّيَّةُ الَّتِي هِيَ حِجَابُ الضِّيَاءِ، وَمِنْ وَرَاءِ الضِّيَاءِ نُورُ الذَّاتِ وَمَعْدِنُ الإِشَارَاتِ وَهُيُولِيُّ الْهَيُولَاتِ وَأَصْلٌ لِكُلِّ الظُّهُورَاتِ، ظَهَرَ لِلْخَلْقِ بِصِفَتِهِمْ حَيْثُ دَلَّهُمْ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَالإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَعَادَ إِلَى حَالِهِ الْقَدِيمِ نُورًا، خَرَجَ مِنْ مَعْدِنِهِ وَعَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ، وَإِنَّ مَوْلَانَا عَزَّتْ آلَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، سُمِّيَ أَنْزَعَا بِطِينًا لِأَنَّهُ أَنْزَعُ مِنَ النَّاسُوتِ قَدِيمٌ بِاللَّاهُوتِ، وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الصِّرَاطِ": «**اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ النُّجُومَ فِي اللَّيْلِ تَسِيرُ لِسَيْرِ الْقَمَرِ، وَتُضِيءُ دُونَهُ إِذْ حَلَّ مَعَهَا، فَإِذَا غَابَ الْقَمَرُ أَضَاءَتِ الضَّوْءَ الَّذِي يُبْهِرُ مَنْ يَرَاهُ، فَذَلِكَ ضَوْئُهَا فِي ذَاتِهَا، فَإِذَا ظَهَرَ الْقَمَرُ مَعَهَا كَانَتْ دُونَهُ، لِأَنَّ لَهَا مَنْزِلَةً فِي خِدْمَتِهِ لَا يَحِلُّهَا سِوَاهُ، وَظُهُورُهُ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ هِلَالًا ثُمَّ يَزِيدُ إِلَى أَنْ يَتَكَامَلَ بِالْأَرْبَعَةَ عَشَرَ، وَإِنَّمَا هُوَ إِشَارَةُ الْعَالِمِ إِلَى مَوْلَاهُ عَزَّ عِزّهُ لَمَّا ظَهَرَ بِالْبَشَرِيَّةِ بِالطُّفُولِيَّةِ وَالصِّغَرِ وَالْكِبْرِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، إِلَى أَنْ يَتَكَامَلَ، وَكُلُّ هَذَا امْتِحَانٌ لِلْعَالَمِ جَمِيعًا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّهَارَ الظُّهُورَ وَاللَّيْلَ الْغِيبَةَ**».

فَانْظُرْ إِلَى مَقَالَةِ الْمَوْلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ أَنّ الْهِلَالَ فِي زِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ كَهَيْئَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ... إِلَى قَوْلِهِ ... أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظَهَرَ بِالطُّفُولِيَّةِ فِي الصِّغَرِ وَالْكِبَرِ، وَأَنَهُ أَشَارَ الْعَالِمُ إِلَى مَوْلَاكَ فَدَلَّ أَنَّ ظُهُورَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ تَعْرِيفٌ لِظُهُورِهِ فِي النُّورَانِيَّةِ.

الْبَابُ السَّابِعُ فِي مَعْرِفَةِ بَدْوُ النَّفْسِ

اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنَّنَا رَأَيْنَا الْمَوَالِيَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَالشُّيُوخَ الثُّقَاتِ قَدْ بَيَّنُوا وَأَسَّسُوا وَحَقَّقُوا عَلَى ظُهُورَاتِ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ وَالْبَابِ، وَبَدْؤ الْخَلْقِ وَتَكْوِينِهَا، وَرَأَيْنَا دَلَائِلَهُمْ الَّتِي اقْتَفَيْنَاهَا، لَهَا مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ بِاللَّفْظِ وَلَكِنْ بِالْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُخْتَلِفَةٍ، لِقَوْلِ السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ عَنْ ظُهُورَاتِ الْبَارِي عَزَّتْ قُدْرَتُهُ إذَا اخْتَلَفَتْ فِي الصِّفَاتِ وَالْعِيَانِ، فَإِنَّهَا بِالْحَقِيقَةِ غَيْرُ مُخْتَلِفَةٍ، لَأنَّ كُلَّ مَعَانِيهَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَكُلٌّ يُؤَدِّي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمَّا عَلِمْنَا ذَلِكَ قَصَّرْنَا لِئَلَّا يَطُولَ الشَّرْحُ، لِأَنَّ أَفْضَلَ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَجَلَّ وَعَلَى الْحَقِّ دَلَّ، وَلَا يَطُولُ فَيُمَلُّ، وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**لَا خَيْرَ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ تُغْنِي عَنْهُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ**» وَنَحْنُ بِحَوْلِهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ نُوَضِّحُ الْأَسَانِيدَ بِمَوَاضِعِهَا لِيَسْهُلَ مَعْنَاهَا عَلَى كُلِّ طَالِبٍ، وَيَفُوزَ بِهَا كُلُّ رَاغِبٍ، فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِمَعْرِفَةِ بَدْوُ النَّفْسِ لِقَوْلِ السَّيِّدِ الرَّسُولِ عَزَّ عِزّهُ: «**أَعْرَفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرَفُكُمْ بِرَبِّهِ**» فَالْجَوَابُ يَنْقَسِمُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَوَّلُهَا: السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، مَعْنَاهَا: أَعْرَفُكُمْ بِالْمِيمِ أَعْرَفُكُمْ بِالْعَيْنِ، لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ الِاسْمَ فِي حَقِيقَتِهِ فَقَدْ عَرَفَ الْمَعْنَى وَصَحَّتْ لَهُ عِبَادَتُهُ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: مَعْرِفَةُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ الْقَائِمَةِ بِهِ لَأَنَّهُ يَجِبُ لِلْمَرْءِ أَنْ

يَعْرِفُ مَنْ بَدَا صَنْعَتَهَا، لِأَنَّ مَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَلَهَا صَانِعٌ، وَمَعْنَى كَيْفَ رُوحُهُ تَرَكَّبَتْ مِنْ أَرْبَعَةِ عَنَاصِرَ؟ وَمَعْنَى كَيْفَ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْعَنَاصِرُ طَبِيعَةً؟ وَمِنْ أَيْنَ بَدْؤُهَا؟ وَكَيْفَ تَقْدِيرُهَا؟

الْجَوَابُ مِمَّا رَوَاهُ حَمْزَةُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ فِي كِتَابِ "حُجَّةِ الْعَارِفِ" حَيْثُ يَقُولُ: «إِنَّ جَمِيعَ مَا تَحْتَ فَلَكِ الْقَمَرِ مَصْنُوعٌ مُرَكَّبٌ لِأَنَّهَا أَجْسَامٌ تَظْهَرُ بِإِرَادَةٍ اسْتِطَاعِيَّةٍ، كُلُّ جِسْمٍ مِنْ جِسْمٍ، إِلَى أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الطَّبِيعَةِ»، أَمَّا قَوْلُ حَمْزَةَ بْنِ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيِّ بِهَذَا الْمَعْنَى فَهُوَ رَمْزٌ بِالْإِشَارَةِ وَالتَّلْوِيحِ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا بَيَانُهُ وَبَيَانُ مِنْ أَيْنَ بَدْوُ كَوْنِهَا.

بَيَانُ قَوْلِهِ: «إِنّ مَا تَحتَ فَلَكِ الْقَمَرِ الْأَجْسَامُ مُرَكَّبَهُ» فَهُمْ الْأَجْرَامُ النُّورِيَّةُ وَالْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ، وَمِمَّا يَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ رِوَايَةُ السَّيِّدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيِّ فِي كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" بِرِوَايَتِهِ عَنْ الْمَوْلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَزَّ عِزَّهُ فَقَالَ: «**أَمَّا الْخَمْسَةُ كَوَاكِبَ الَّتِي هِيَ زُحَلُ وَالْمُشْتَرِي وَالْمِرِّيخُ وَالزُّهْرَةُ وَعُطَارِدُ، فَإِنَّهَا تَقْتَبِسُ مِنَ الْقَمَرِ وَتُؤَدِّيَهُ لِمَنْ هُوَ دُونَهَا، وَالْقَمَرُ يَقْتَبِسُ مِنْ الشَّمْسِ، وَالشَّمْسُ تَقْتَبِسُ مِنْ نُورِ الْأَزَلِ الْقَدِيمِ**»، وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الِاقْتِبَاسَ جَارٍ عَلَى أَعْيُنِ الْبَشَرِ فِي الظَّاهِرِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نَأْتِي بَيَانَهُ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ، وَنَرْجِعُ إِلَى سِيَاقَةِ الشَّرْحِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «إِنَّهَا أَجْسَامٌ تَظْهَرُ بِإِرَادَةٍ إِسْتِطَاعِيَّةٍ، كُلُّ جِسْمٍ مِنْ جِسْمٍ»، مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ كُلُّ كَوْكَبٍ يَقْتَبِسُ مِنَ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الضِّيَاءِ، إِلَى أَنْ تَرْجِعَ

لِلطَّبِيعَةِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ مُرَكَّبَةٌ طَبِيعَتُهُ مِنَ الْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ النَّارِيَّةِ وَالتُّرَابِيَّةِ وَالرِّيَاحِيَّةِ وَالْمَائِيَّةِ، فَهَذِهِ الْعَنَاصِرُ الْأَرْبَعَةُ امْتِدَادُهُمْ مِنَ الْبُرُوجِ وَالْمَنَازِلِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا، وَتَمُدُّ عَنَاصِرَهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ.

وَقَالَ أَيْضًا: «وَمَا فَوْقَ فَلَكِ الْقَمَرِ مِنَ الْأَجْرَامِ لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ الطَّبِيعَةِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَتَحَلَّلُ، وَالطَّبِيعَةُ أَصْلُ الْمُرَكَّبَاتِ وَهِيَ تَتَحَلَّلُ إِلَيْهَا، هَكَذَا أَبَدًا لَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَسَادٌ لِأَنَّهَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ»، مَعْنَى الْقَوْلِ أَنَّ الْأَجْرَامَ الْعُلْوِيَّةَ لَيْسَتْ مُرَكَّبَةً كَهَيْئَةِ الْعَنَاصِرِ الطَّبِيعِيّةِ بِهَيْئَةِ الْخَلْقِ، بَلِ إِنَّهَا بَسِيطَةٌ، فَلَيْسَ يَنْحَلُّ كَوْنُهَا وَلَا يَتَغَيَّرُ ضَوْئُهَا، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا فَسَادُ الطَّبِيعَةِ، وَمَا كَانَ أَصْلُهَا مِنَ التَّرَاكِيبِ وَالْعَنَاصِرِ الطَّبِيعِيَّةِ فَإِنَّهَا تَنْحَلُّ عَنْ كَوْنِهَا وَتَتَلَاشَى، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَبُو مَعْشَرٍ الْبَلْخِيُّ أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ بَطْلَيْمُوسْ الْحَكِيمِ مِنْ كِتَابِ "يُونَانَ الْكَبِيرِ" وَتَرْجَمَهُ أَبُو مَعْشَرٍ مِنَ الْيُونَانِيِّ الْمَغْرِبِيِّ عَنْ تَنَاهِي الْأَبْعَادِ، وَمَا مُقَارَبَةُ الأَقْدَارِ حُجَّةٌ مَشْهُورَةٌ، قَالَ بَطْلَيْمُوسُ: «يَجِبُ عَلَى الْحَكِيمِ الْحَاذِقِ مَعْرِفَةُ الصَّانِعِ لِتَكُونَ الْحِكْمَةُ مَعَهُ تَامَّةً، لِأَنَّ كُلَّ صَنْعَةٍ لَهَا صَانِعٌ، وَكُلَّ كِتَابٍ لَهُ كَاتِبٌ وَكُلَّ بِنَاءٍ لَهُ بَانٍ».

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الصَّانِعَ فَعَلَ الْعَنَاصِرَ الْأَرْبَعَةَ النَّارَ والتُّرَابَ وَالْهَوَاءَ وَالْمَاءَ مِنْهَا تَوَلَّدَتْ الْخَلِيقَةُ، لِأَنَّهَا كَامِنَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ.

نَقُلَ لَهُ: هَذِهِ الْعَنَاصِرَ جَوَاهِلَ، لَا عَقْلَ لَهَا، وَلَا تَفْعَلُ بِغَيْرِ فَاعِلٍ

يَفْعَلُهَا، وَمُدَبِّرٍ يُدَبِّرُهَا، وَإِشْرَاقُ آلَةٍ مِنْ الْآلَاتِ عَلَيْهَا، الَّتِي هِيَ أَصْلُ جَوَاهِرِهَا، وَامْتِدَادِهَا مِنْهَا وَمِنْ بُخَارِهَا.

فَإِذَا قَالَ لَنَا قَائِلٌ: إِنَّ عَالَمَ الإِنْسَانِ يُدَبِّرُهَا.

نَقُولُ لَهُ: إِنَّ جَمِيعَ جَوَارِحِ الإِنْسَانِ لَا تَقُومُ بِذَاتِهَا، ألا تَرَى إِلَى النَّظَرِ أَنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ عَنْهُ الضِّيَاءُ بَطُلَتْ حَرَكَتُهُ وَفِعْلُهُ وَرَجَعَ عَدَمًا، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ إِذَا انْقَطَعَ عَنْ الْهَوَاءِ بَطُلَتْ حَرَكَتُهُ وَفِعْلُهُ وَرَجَعَ عَدَمًا، وَكَذَلِكَ الشَّمُّ وَالذَّوْقُ وَاللَّمْسُ، إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهَا الْحَرَكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ الَّتِي أَصْلُهَا مِنْهَا بِكُلِّ كَوْنِهَا، وَهَذِهِ الْعَنَاصِرُ الْأَرْبَعَةُ الْمَشْرُوحَةُ كُلُّ حَاسَّةٍ مُحْدَثَةِ الطَّبِيعَةِ، وَالطَّبِيعَةُ أَقَامَتْهَا مِنْ غَيْرِهَا مِنْ الْعَنَاصِرِ النَّفْسِيَّةِ الْعُلْوِيَّةِ، وَالِاسْتِقْصَّاتِ الْفَلَكِيَّةِ وَالْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ، لِأَنَّ الْعَنَاصِرَ السُّفْلِيَّةَ الْحَاسِّيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ مُشَاكِلَةٌ لِلْعَنَاصِرِ الْعُلْوِيَّةِ بِالْجِنْسِ وَالْمَنْظَرُ، لَيْسَ مُشَاكَلَتَهَا بِالْحَقِيقَةِ وَالْجَوْهَرِ، لَأَنَّ هَذِهِ الْعَنَاصِرَ السُّفْلِيَّةَ الْحَاسِّيَّةَ الطَّبِيعِيَّةَ جَمِيعُ مَا يَتَوَلَّدُ مِنْ كَوْنِهَا وَبُخَارِهَا يَفْسِدُ وَيَتَلَاشَى وَيَضْمَحِلُّ وَيُعْدَمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالْعَنَاصِرُ الْعُلْوِيَّةُ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَلَاشَى وَلَا تُعْدَمُ وَلَا يَتَغَيَّرُ كَوْنُهَا.

وَقَالَ أَيْضًا: «أَنَّ الْكَوَاكِبَ الْخَمْسَةَ السَّيَّارَةَ تَقْتَبِسُ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَرِ، وَتَكْسَبُ مِنْ نُورِهِ، وَالْخَمْسَةُ السَّيَّارَةُ تُضَافُ إِلَى الْمَنَازِلِ وَالْمَنَازِلُ تُضَافُ إِلَى الدُّرَجِ وَالدَّقَائِقِ حَتَّى تَكْتَسِيَ السَّمَوَاتُ مِنْ نُورِهِمُ

ثُمَّ تَمُدُّ عَنَاصِرَهَا لِلْعَنَاصِرِ السُّفْلِيَّةِ الْحَاسِّيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الطِّينِيَّةِ، فَيُبْدِيهَا وَيُثَبِّتُهَا، وَلَوْ أَنَّ الْقَمَرَ أَخْفَى ظُهُورَهَا لَتَلَاشَتْ النُّجُومُ وَتَعُودَ عَدَمًا وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَةُ الطِّينِيَّةُ لَوِ انْقَطَعَتْ عَنْهَا الْعَنَاصِرُ النَّفْسِيَّةُ لَعَادَتْ عَدَمًا، يَجْرِي عَلَيْهَا هَذَا الْمَجْرَى».

فَانْظُرْ يَا أَخِي لِمَا قَالَهُ حَمْزَةُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ: «إِنَّ جَمِيعَ مَا تَحْتَ فَلَكِ الْقَمَرِ أَجْسَامٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ غَيْرِ فَلَكِ الْقَمَرِ، وَالْقَمَرُ لَيْسَ مُرَكَّبًا» وَلِقَوْلِهِ: «كُلُّ جِسْمٍ يَظْهَرُ مِنْ جِسْمٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُ إِلَى الطَّبِيعَةِ» وَلِقَوْلِ بَطْلَيْمُوسَ الْحَكِيمِ عَنْ الطَّبِيعَةِ وَامْتِدَادِ عَنَاصِرِهَا، وَمِنْ أَيْنَ نَشْأَتُهَا، وَكَيْفَ اتَّفَقَ قَوْلُهُمْ إِلَى مَعْنَى بَدْوِ الْخَلْقِ، وَتَرْكِيبِ طَبَائِعِهَا مِنْ عَنَاصِرِ الْأَكْوَانِ السَّبْعَةِ (تَمَّ الْبَابُ).

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي مَعْرِفَةِ الْأَكْوَانِ السَّبْعَةِ

اِعْلَمِ أَنَّنَا قَدْ اسْتَدْلَلْنَا مِنْ حُجَجِ الْمَوَالِي وَالشُّيُوخِ الثِّقَاتِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَبَيَانِ امْتِدَادِهَا، فَاتَّضَحَ لَنَا إِقَامَةُ النَّفْسِ وَبَيَانُ امْتِدَادِهَا مِنَ الْعَنَاصِرِ الْعُلْوِيَّةِ وَالْكَوَاكِبِ الدُّرِّيَّةِ، وَكُلَّمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا فَيَجِبُ أَنْ نُبَيِّنَ مَعْرِفَةَ بَدْءِ الْخَلْقِ، وَتَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ، لِيَصِحَّ بَيَانُهُ عَلَى الطَّالِبِينَ.

اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ: إِنَّ الْخَمْسَةَ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ الَّتِي بَدَتْ الْخَلْقَ مِنْ عَنَاصِرِهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَأَتَى بَيَانُ مَعْرِفَتِهَا مِنْ كُتُبِ الْمَوَالِي وَالشُّيُوخِ الثِّقَاتِ، أَنَّ الْخَمْسَةَ الْأَيْتَامَ هُمْ: **الْمِقْدَادُ وَأَبُو ذَرٍّ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعُثْمَانُ وَقَنْبَرُ بْنُ كَادَانَ**، وَهَذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي كَوْنِ الْبَشَرِيةِ، وَلَهُمْ أَسَامِي مُخْتَلِفَةً فِي الظُّهُورَاتِ، لَأَنَّ كُلَّمَا ظَهَرَ الْمَعْنَى فِي قُبَّةٍ مِنَ الْقِبَابِ السَّبْعَةِ الذَّاتِيَّةِ، يَظْهَرُ مَعَهُ الِاسْمُ وَالْبَابُ وَمَا يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ الْمَرَاتِبِ، وَتَظْهَرُ أَسْمَاؤُهُمْ بِغَيْرِ الأَسْمَاءِ الَّتِي كَانُوا بِهَا فِي الظُّهُورَاتِ الَّتِي كَانُوا قَبْلَهَا اقْتَصَرْنَا عَنْ شَرْحِهَا لِكَيْ لَا يَطُولَ الشَّرْحُ، وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نُبَيِّنَ أَسَامِيهُمْ فِي الْأَكْوَانِ النُّورَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ قَبْلَ كَوْنِ الْبَشَرِ، لِقَوْلِ سَيِّدِنَا **أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيِّ** قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي رِسَالَتِهِ "الرُّسْتَبَاشِيَّةِ": «بَقِيَ أَنَّنَا نَعْلَمُ ظُهُورَاتِهِ فِي الْأَكْوَانِ السِّتَّةِ، حَتَّى نَجِدَهُ وَلَا نَعْدِمَهُ، وَيَثْبُتَ فَلَا يَزُولَ وَنَرَاهُ فَلَا نَفْقِدُهُ، وَنَتَيَقَّنُهُ فَلَا نَشُكُّ فِيهِ، أَوَّلُهُمْ الْكَوْنُ النُّورَانِيُّ، وَالْكَوْنُ الْجَوْهَرِيُّ، وَالْكَوْنُ الْهَوَائِيُّ، وَالْكَوْنُ الْمَائِيُّ، وَالْكَوْنُ النَّارِيُّ، وَالْكَوْنُ التُّرَابِيُّ.

أَمَّا الْكَوْنُ النُّورَانِيُّ **سَلْمَانُ**، وَالْكَوْنُ الْجَوْهَرِيُّ **الْمِقْدَادُ**، وَالْكَوْنُ الْهَوَائِيُّ **أَبُو الذَّرِّ**، وَالْكَوْنُ الْمَائِيُّ **عَبْدُ اللَّهِ**، وَالْكَوْنُ النَّارِيُّ **عُثْمَانُ** وَالْكَوْنُ التُّرَابِيُّ **قَنْبَرٌ**، وَالْكَوْنُ السَّابِعُ قُدْسُ الْمَعْرِفَةَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ السِّتَّةِ لِأَنَّهُ مِنْ السَّيِّدِ الْمِيمِ».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لِمَ لَا تَذْكُرْ السَّيِّدَ سَلْمَانَ مَعَ جُمْلَةِ النُّجُومِ؟

فَنَقُولُ لَهُ: السَّيِّدُ سَلْمَانُ تَسَمَّى سَمَاءً، لِأَنَّهُ رَوَى سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ بِرِوَايَتِهِ عَنْ السَّيِّدِ أَبِي شُعَيْبٍ أَنْهُ قَالَ لِيَحِيَى بْنِ مِعِينِ السَّامِرِيِّ: «يَا يَحْيَى، مَا تَقُولُ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾[1]». قَالَ يَحْيَى: «قُلْتُ يَا مَوْلَايَ لَا عِلْمَ لِي» قَالَ: «يَا يَحْيَى، كُلُّ سَمَاءٍ سَلْسَلٌ، وَالسَّبْعُ السَّمَوَاتِ الَّتِي قَضَاهُنَّ مِنْ السَّبْعِ مَرَاتِبَ الْعُلْوِيَّةِ وَهُمْ سَمَوَاتٌ مَنْ دُونِهِمْ مِنَ الْمَرَاتِبِ السُّفْلِيَّةِ».

ونَرْجِعُ إِلَى مَا كُنَّا بِهِ مِمَّا رَوَاهُ مَوْلَانَا الصَّادِقُ فِي كِتَابِ "الْهَفْتِ" فِي الْبَابِ الْخَامِسِ وَالسِّتِّينَ فِي مَعْرِفَةِ الطَّبَائِعِ وَالطَّرَائِقِ وَالْقَدَرِ، فَقَالَ عَزَّ عِزّهُ: **«إنّ اللَّهَ سَطحَ نُورًا وَقَدَّ مِنْهُ قِدَدًا، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُصَوِّرَ صُورًا وَقِدَدًا، فَقَامُوا صُوَرًا وَقِدَدًا عَلَى النُّورِ الْمَسْطُوحِ، فَعَبَدُوا اللَّهَ لَا يَعْصُونَهُ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَخْلُقَ نَارًا مَسْطُوحَةً، وَأمَرَ أَنْ يَقُدَّ مِنْهَا قِدَدًا**

(1) فصلت: 11-12

وَيُصَوِّرَ مِنْهَا صُوَرًا، فَأَقَامُوا لِلَّهِ عَابِدِينَ، فَنُهِيَتْ النُّورَانِيَّةُ أَنْ لَا تَخْتَلِطَ بِالنَّارِيَّةِ، فَاخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، فَسَطَحَ الْبَعْضَ، فَخَلَقَ مِنْهُ خَلْقَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَخْلُقَ رِيحًا فَخَلَقَ، ثُمَّ أَمَرَ فَقَدَّ مِنْهُ قِدَدًا وَصَوَّرَ مِنْهُ صُوَرًا، فَقَامُوا لِلَّهِ عَابِدِينَ، فَأَمَرَ النَّارِيَّةَ أَنْ لَا تَخْتَلِطَ بِالرِّيحِيَّةِ فَاخْتَلَطَ بَعْضُهَا، فَسَطَحَ الْبَعْضَ الَّذِي اخْتَلَطَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَخْلُقْ مَاءً فَخَلَقَ، وَصَوَّرَ مِنْهُ صُوَرًا، وَقَدَّ مِنْهُ قِدَدًا، فَأَمَرَ الرِّيحِيَّةَ أَنْ لَا تَخْتَلِطَ بِالْمَائِيَّةِ فَاخْتَلَطَ بَعْضُهَا، ثُمَّ خَلَقَ طِينًا مِنْ الْبَحْرَيْنِ الْعَذْبِ الْفُرَاتِ وَالْمَالِحِ الْأَجَاجِ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَقَدَّ مِنْهُ قِدَدًا وَصَوَّرَ مِنْهُ صُوَرًا، ثُمَّ أَمَرَ الْمَائِيَّةَ أَنْ لَا تَخْتَلِطَ بِالطِّينِيَّةِ فَاخْتَلَطَ الْبَعْضُ، ثُمَّ كَانَ بَدْؤُ الْخَلْقِ الْمَمْزُوجِ بِالْأَرْبَعَةِ: بِالنُّورِ وَالنَّارِ وَالرِّيحِ وَالْمَاءِ، وَسَطَحِ طِينَةَ آدَمَ فَخَلَقَ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا وَشَأْنِ الْآخِرَةِ، فَرَكَّبَ الأطبَاقَ، وَالشَّيءُ نِصْفُهُ خُلِقَ فَوْقَ، وَنِصْفُهُ خُلِقَ أسْفَلَ، فَاعْلَمْ إِنَّ كُلَّ كَوْنٍ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَانِ خُلِقَ مِنْهُ آدَامٌ عَدِيدَةٌ صَارَتْ مِنْهُ خَلِيقَةً، وَآدَامٌ سَبْعَةٌ، وَخُلِقَ مِنْ كُلِّ آدَمٍ ذُرِّيَّةً، وَمَكَثَ وَعَمَّرَ كُلَّ كَوْنٍ فِي ذُرِّيَّتِهِ كَوْرًا وَدَوْرًا وَرَجْعَةً وَهِيَ مِقْدَارُ إِحْدَى وَخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنِينَ الْآدَامِ، وَكُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، كُلُّ كَوْنٍ صَارَ سَبْعَةُ آدَامٍ وَسَبْعُ هَبَطَاتٍ وَسَبْعَةُ أَبَالِسَةٍ، وَصَارَ مِنْهُمْ مُؤْمِنُونَ وَكَافِرُونَ، وَظَهَرَ الرَّبُّ الْقَدِيمُ مَعَهُمْ عَلَى صِفَاتِهِمُ، فَأَقَرَّ بِهِ مَنْ أَقَرَّ وَأَنْكَرَ مَنْ أَنْكَرَ، وَكَانَ اللَّهُ يَخْلُقُ الْأَكْوَانَ، كُلُّ كَوْنٍ وَذُرِّيَّتُهُ عَلَى حَدٍّ مُنْفَرِدٍ، وَيَخْلُقُ مِنْهُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ عَلَى صِفَاتِهِمُ، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ عَلَى هَيْئَاتِهِمْ كَوْنًا بَعْدَ كَوْنٍ

إِلَى أَنْ ظَهَرَ بِالْبَشَرِيَّةِ الْجِسْمِيَّةِ».

وَدَلِيلُ ذَلِكَ شَرَحْنَاهُ مِنْ كِتَابِ "الْهَفْتِ وَالْأَظِلَّةِ". «وَكَوَّنَ مِنَ التَّكْوِينِ النُّورَانِيِّ آدَامٌ سَبْعَةٌ وَعَمَّرَ كُلُّ آدَمٍ هُوَ وَذُرِّيَّتُهُ سَبْعَةَ آلْافِ سَنَةٍ وَسَبْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَسَبْعِ سَاعَاتٍ، فَلَمَّا كَمُلَ الْكَوْرُ وَالدَّوْرُ مِقْدَارَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، خَلَقَ اللَّهُ الْكَوْنَ الْجَوْهَرِيَّ، وَصَارَ بِهِ كَمَا صَارَ بِالْأَوَّلِ».

اِعْلَمْ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذَا الشَّرْحِ أَنَّ كُلَّ كَوْنٍ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَانِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ مُفْرَدَةً، وَخَلَقَ مِنْهَا سَبْعَةَ آدَامٍ، وَصَارَ بِهِ سَبْعَةَ سُطُوحَاتٍ، وَكُلُّ كَوْنٍ دَامَ عَلَى مِقْدَارِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَهَذَا الَّذِي بَانَ لَنَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَكْوَانِ، فَبَقِيَ إِنَّنَا نَشْرَحُ مَا أَوْضَحَهُ مَوْلَانَا جَعْفَرٌ الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ عَنْ تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَقَوْلِهِ: «**إِنَّ الإِنْسَانَ بِأَرْبَعِ طَبَائِعَ وَأَرْبَعِ دَعَائِمَ وَأَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، فَأَمَّا الْأَرْبَعُ طَبَائِعُ فَهُمْ: الْمَرَّتَانِ، الدَّمُ وَالْبَلْغَمُ وَالصَّفْرَاءُ وَالسَّوْدَاءُ وَالدَّعَائِمُ، الْعَقْلُ، فَمِنْهُ الْفِطْنَةُ وَالْفَهْمُ وَالْحِفْظُ وَالْعِلْمُ، وَالْأَرْكَانُ النُّورُ وَالنَّارُ وَالرِّيحُ وَالْمَاءُ، وَهُوَ ذُو صُورَتِهِ الطِّينِيَّةِ، فَيُبْصِرُ بِالنُّورِ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِالنَّارِ وَيُجَامِعُ وَيَتَحَرَّكُ بِالرِّيحِ، وَتَجِدُ الذَّوْقَ وَالطَّعْمَ بِالْمَاءِ**» فَهَذَا بَابٌ مِنْ صُورَتِهِ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ بِالنَّفْسِ هَذِهِ الأَرْكَانُ، كَانَتْ نَسْمَةً تَسْعَى، وَمِنْهُ إِيجَادُ بَدْؤِ خَلْقِهَا بِعَقْلِهِ، وَهُوَ دَلِيلُهُ وَنَظِيرُهُ وَسَبِيلُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبِهِ يَتَكَمَّلُ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهِ، فَإِذَا كَانَ ذَا عَقْلٍ مِنَ النُّورِ مُؤَيَّدًا

كَانَ عَالِمًا حَافِظًا زَكِيًّا فَهِمًا فَطِنًا، يَعْلَمُ بِذَلِكَ مَنْ نَصَحَهُ وَمَنْ غَرَّهُ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ فِي مَعْرِفَةِ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَقَدَّ مِنَ الْقُدَدِ وَصَوَّرَ مِنَ الصُّوَرِ، وَمَعْرِفَةِ احْتِجَابِ الرُّوحِ فِي أَرْبَعِ حُجُبٍ وَهُمْ: النُّورُ وَالنَّارُ وَالْمَاءُ وَالرِّيحُ، وَكُلُّ طَبِيعَةٍ بِمَا يَحْدُثُ مِنْهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: «خَلَقَ النُّورَ ثُمَّ خَلَقَ النَّارَ، فَحَجَبَ النُّورَ بِالنَّارِ، ثُمَّ خَلَقَ الرِّيحَ فَحَجَبَ بِهِ النَّارَ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَاءَ، فَحَجَبَ بِهِ الرِّيحَ، وَخَلَقَ الطِّينَ مِنْ زُبْدِ الْبَحْرِ، فَحَجَبَ بِهِ الْمَاءَ».

وَاعْلَمْ أَنَّ النُّورَ خَلَقَ مِنْهُ الْمَلَائِكَةَ مُصَوَّرِينَ، وَالنَّارَ خَلَقَ مِنْهَا الْجَانَّ مُصَوَّرِينَ، وَالرِّيحَ خَلَقَ مِنْهُ الْجِنَّ مُصَوَّرِينَ، وَالطِّينَ صُورَةَ آدَمَ فَخَلَقَ آدَمَ مِنْ الطِّينِ وَالنَّارِ وَالرِّيحِ وَالْمَاءِ، فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْوَاقِفُ عَلَى هَذَا الشَّرْحِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ طَبِيعَةٍ مِنْ هَذِهِ الطَّبَائِعِ وَالْعَنَاصِرِ الْأَرْبَعِ عَنَاصِرَ مُفْرَدَةً، وَكُلُّ طَبِيعَةٍ تَقُومُ مُفْرَدَةً حَتَّى الْبَارِي يَخْلُقَ طَبِيعَةً أُخْرَى، فَوَقَعَ الِاخْتِلَاطُ إِلَى آخِرِهِمْ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ طَبِيعَةٍ تَخْرُجُ مِنْهَا جَارِحَةٌ خِلَافَ الْأُخْرَى، فَمِنْ جَارِحَةِ النَّظَرِ لَا يَقُومُ إِلَّا بِذَاتِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مُشْتَرَكًا لِحَرَكَةِ السَّمْعِ، وَلَا السَّمْعُ مُشْتَرَكًا لِحَرَكَةِ النَّظَرِ، وَلَا تَقُومُ مِنْ جَمِيعِ حَرَكَاتِ الْجِسْمِ حَرَكَةٌ مَقَامُ الْأُخْرَى إِذَا عَدِمَتْ، بَيَانَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ النَّظَرُ مُحْتَجِبًا فَلَمْ يُبْصِرْ بِحَرَكَةِ السَّمْعِ، وَإِذَا كَانَ مَعْدُومًا فَلَمْ يَسْمَعْ بِحَرَكَةِ النَّظَرِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ حَرَكَاتِ الْجِسْمِ عَلَى هَذَا السِّيَاقِ، مِثْلَ الشَّمِّ وَالذَّوْقِ وَاللَّمْسِ وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، لَا تَقُومُ وَاحِدَةٌ إِلَّا بِمَا خَصَّهَا اللَّهُ بِهِ

إِنَّهُ لَوْلَا النَّارُ مَا هَضَمَتْ الْمَعِدَةُ الطَّعَامَ، وَلَوْلَا الرِّيحُ لَمَا الْتَهَبَتْ نَارُ الْمَعِدَةِ، وَلَا خَرَجَ الثُّفْلُ مِنْ جَوْفِهِ، وَلَوْلَا رُطُوبَةُ الْمَاءِ لَأَحْرَقَتْ النَّارُ الْمَعِدَةَ، وَلَوْلَا النُّورُ مَا أَبْصَرَ، فَالطِّينُ صُورَتُهُ وَالْعَظْمُ فِي جَسَدِهِ بِمَنْزِلَةِ الشَّجَرِ فِي الْأَرْضِ، وَالدَّمُ فِي جَسَدِهِ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ فِي الْأَرْضِ، وَلَا قَوَامَ لِلْأَرْضِ إِلَّا بِالْمَاءِ، وَلَا قَوَامَ لِلْجَسَدِ إِلَّا بِالدَّمِ، وَالشَّعْرُ عَلَى جَسَدِهِ كَالْعُشْبِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَهَذِهِ مَعْرِفَةُ تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ.

وَأَمَّا الْأَشْخَاصُ الْمُوكَّلَةُ عَلَى الطَّبَائِعِ، وَمَعْرِفَةُ كُلِّ طَبِيعَةٍ، وَبَيَانُ شَخْصِهَا، اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنَّ الْأَشْخَاصَ الْمُوكَلَةَ عَلَى الطَّبَائِعِ هُمُ الْأَكْوَانُ السِّتَّةُ، الَّذِينَ قَدَّمْنَا ذِكْرَهُمْ وَهُمْ: **سَلْمَانُ وَالْمِقْدَادُ وَأَبُو الذَّرِّ وَعَبْدُ اللَّهِ وَعُثْمَانُ وَقَنْبَرُ بْنُ كَادَانَ**، وَأَمَّا الْكَوْنُ السَّابِعُ قُدْسُ الْمَعْرِفَةَ فَهُوَ مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ، وَهِيَ رُوحٌ مُمْتَدَّةٌ مِنْ رُوحِ الْمِيمِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٍ، وَهِيَ رُوحُ الْعَقْلِ، مُوَكَّلٌ بِهَا السَّيِّدُ الْمِيمُ، مِنْ نُورِ اللَّهِ بَدَتْ أَيْ مِنْ نُورِ الْمِيمِ بَدَتْ، وَهُوَ نُورٌ عَقْلِيٌّ، انْبَجَسَ مِنْ نُورِ الْمِيمِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٌ، وَهَذَا هُوَ الْكَوْنُ السَّابِعُ، لِأَنَّهُ أَتَى فِي الشَّرْحِ أَنَّ الْكَوْنَ النُّورَانِيَّ سَلْمَانُ، وَهُوَ أَخٌ لِكَوْنِ قُدْسِ الْمَعْرِفَةِ السَّيِّدِ الْمِيمِ، وَهَذِهِ الْأَكْوَانُ مَوْجُودَةٌ فِي ذَاتِ الْبَشَرِ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا الْخُصِيبِيَّ ذَكَرَ فِي رِسَالَتِهِ "الرُّسْتُبَاشِيَّةِ" «أَنَّ السَّمْعَ السَّيِّدَ الْمِيمُ، وَالْبَصَرَ السَّيِّدُ سَلْمَانُ، وَالْفُؤَادَ الْمِقْدَادَ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[1]».

وَنَرْجِعُ إِلَى الشَّرْحِ الَّذِي كُنَّا بِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ أَنَّ الْأَكْوَانَ السِّتَّةَ مُوَكَّلَةٌ بِإِقَامَةِ حَرَكَاتِ الْجِسْمِ، وَرُوحُ الْعَقْلِ مُمْتَدَّةٌ مِنْ السَّيِّدِ الْمِيمِ وَهُوَ مُوَكَّلٌ بِهَا وَمُمِدُّهَا وَمُقَلِّلُهَا وَمُكَبِّرُهَا بِأمْرِ بَارِيَةِ الْمَعْنَى الْأَزَلِ الْقَدِيمِ وَكَذَلِكَ السِّتَّةُ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ كُلُّ كَوْنٍ مِنْهُمْ مُوَكَّلٌ بِحَرَكَةٍ مِنْهَا السَّيِّدُ سَلْمَانُ مُوَكَّلٌ بِالْكَوْنِ النُّورَانِيِّ وَهُوَ الْبَصَرُ، وَالْمِقْدَادُ مُوَكَّلٌ فِي بَدْءِ الْكَوْنِ الْجَوْهَرِيِّ، وَأَبُو ذَرٍّ مُوَكَّلٌ بِالطَّبِيعَةِ الرِّيَاحِيَّةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مُوَكَّلٌ فِي الْكَوْنِ الْمَائِيِّ، مِثْلِ الزَّلَازِلِ وَالْأَمْطَارِ وَالسُّحَابِ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ مُوَكَّلٌ فِي الْكَوْنِ النَّارِيِّ، وَقَنْبَرُ بْنُ كَادَانَ مُوَكَّلٌ بِالْحَرَكَاتِ التُّرَابِيَّةِ الْأَرْضِيَّةِ مِثْلِ أَثْمَارِهَا وَأَزْهَارِهَا وَأَنْهَارِهَا وَحُلْوِهَا وَمُرِّهَا وَإِقبَالهَا وَإِمْحَالهَا، فَكُلٌّ مِنْ هَذِهِ السِّتَّةِ مُوَكَّلٌ بِحَرَكَةٍ كَمَا ذَكَرْنَا، وَهُوَ مُمِدُّهَا وَمُقَدِّرُهَا وَمُقَلِّلُهَا وَمُكَثِرُهَا، **وَالْكَوْنُ السَّابِعُ** أَصْلُهُ مِنْ السَّيِّدِ الْمِيمِ وَهُوَ الْعَقْلُ، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ رُوحًا عَقْلِيَّةً مُؤَيَّدَةً مِنْ اللَّهِ، تُنْهِيهِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَتَأْمُرُهُ بِإِقَامَةِ أوَامِرِ اللَّهِ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، وَهِيَ فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَمَعْدُومَةٌ مِنْ الْكَافِرِينَ.

(1) الإسراء: 36

الْبَابُ التَّاسِعُ
فِي مَعْرِفَةِ حُدُودِ ظُهُورِ الْأَزَلِ وَالِاسْمِ وَالْبَابِ فِي بَدْوِ الْأَكْوَانِ النُّورَانِيَّةِ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّنَا وَقفنَا عَلَى كُتُبِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ وَأسَانِيدِهِم الَّتِي أَوْضَحُوهَا عَنْ بَدْءِ الْأَكْوَانِ السَّبْعَةِ، الِاسْمِ وَالْبَابِ وَالْخَمْسَةِ الْأَيْتَامِ، فَمَا وَجَدْنَا بِجَمِيعِ دَلَائِلِهِمْ دَلَالَةً تَنْبِي عَنْ بَدوِ الْمَعْنَى، كَيْفَ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، بَلْ إِنَّهُ كَانَ وَلَا مَكَانَ، وَخَبَّرَتْ دَلَائِلُهُمْ عَنْ تَكْوِينِهِ كَوْنَ الِاسْمِ، وَقَالَ سَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ الْعَلِيُّ سِرَّهُ فِي رِسَالَتِهِ "الرَّشْبَاشِيَّةِ": «لَا وَاسِطَةَ وَلَا حِجَابَ وَلَا حُدُوثَ وَلَا فَرْقَ وَلَا فَاصِلَةَ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ، وَلَوْ كَانَ فَاصِلَةً أَوْ وَاسِطَةً لَكَانَ شَخْصًا غَيْرَ الِاسْمِ» وَأنَّ الْأَكْوَانَ السَّبْعَةَ أَتَى بَيَانُ مَعْرِفَتِهَا فِي السَّمَاءِ، وَأَكْوَانِهَا لِلْخَلْقِ، وَالْقَافِ مَا ثَبَتَ لَهُ كَوْنٌ فِي الْأَرْضِ، فَهَذِهِ إِشَارَةٌ وَاضِحَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ وَلَكِنْ نَقُولُ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِ "الْأَكْوَارِ النُّورَانِيَّةِ": فَكَانَتْ إِرَادَةُ الْأَزَلِ فِي الظُّهُورِ بَدَا الِاسْمُ بِالْمُبْدِرِ الْمُهِلِّ فَيَذْهَبُ فِي حَالِهِ فِي ذَهَابِ الْأَوَّلِ بِالتَّلَاشِي عَلَى مَا بَدَاهُ، حَتَّى يُعَاوِدَهُ كَالْعَرْجُونِ فِي حَالِهِ، ثُمَّ يُعَاوِدَهُ بَعْدَ تَمَامِ إِنْفَادِ أَمْرِهِ بِوُجُودِ الْمُكَوِّنِ، فَيَعُودُ إِلَى مَكَانِ بَدُوِهِ فِي التَّمَامِ، فَكَانَ كَذَلِكَ فِي الْكَرِّ وَالْعَوْدِ أَلْفِ أَلْفِ كَورٍ، فَكَرَّ ذَلِكَ خَمْسًا، وَقَدْ أَبَانَ ذَلِكَ فَقَالَ فِي النُّطْقِ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلسَّائِلِينَ، ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نُصَيْرٍ:

«يَا مُحَمَّدُ بْنَ جُنْدُبٍ تِلْكَ الْأَلْفُ أَلْفِ كَورٍ هِيَ الْخَمْسَةُ الْأَيَّامُ، كُلُّ يَوْمٍ مِنْهَا مِائَتَيْ أَلْفِ كَورٍ، أَمَدَّهَا الْأَزَلُ لِذَاتِ كَوْنِ مُكَوِّنِ الْكَائِنَاتِ»، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «وَهُوَ ذَاتُهَا الَّذِي جَرَى عَلَيْهِمُ هَذَا الْخِطَابُ مِنَ النُّطْقِ فِي سَبْقِ الْقِدَمِ النُّورَانِيِّ، إِلَى أَنْ بَدَوا فِي وُجُودِ الْكَوْنِ التُّرَابِيِّ، وَهُمْ الْخَمْسَةُ الَّذِينَ شَرَحْتهُمْ وَأَثْبَتُهُمْ أَنَّهُمُ الْأَيْتَامُ الَّذِينَ كُوِّنُوا مَعَ الْأَكْوَانِ الْخَمْسَةِ، وَسَمَتِ الْأَكْوَارُ بِهِمْ عِنْدَ إِدَارَةِ كَوْنِهِمُ، وَهُمُ السَّائِلُونَ عَنْ عِلْمِ الْمَلَكُوتِ، وَالْبَاحِثُونَ عَنْهُ، وَالرَّاغِبُونَ فِي وُجُودِ عِلْمِهِ».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: الِاسْمُ وَالْبَابُ مَا أَتَى بَيَانُ مَعْرِفَتِهِمْ؟

فَنَقُولُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمُعْتَرِضُ، اِعْلَمْ أَنَّ الْمَعْنَى وَالِاسْمَ وَالْبَابَ مَا جَرَى بَيْنَهُمُ اِنْفِصَالٌ، وَإِذَا قُلْنَا كَانَ اِنْفِصَالٌ يَكُونُ كَانَ هُنَا خِلَافًا لِصَاحِبِ "الِأَكْوَارِ النُّورَانِيَّةِ" لِقَوْلِهِ: «كَانَ إِرَادَةُ الْأَزَلِ فِي هَذَا الظُّهُورِ بِالِاسْمِ يَبْدُو لِذَلِكَ المُهِلِّ الْمُبْدِرِ، فَيَذْهَبُ فِي حَالِهِ فِي الذَّهَابِ الْأَوَّلِ وَالتَّلَاشِي عَلَى مَا أَبْدَاهُ بِهِ حَتَّى يَعُودَ كَالْعُرْجُونِ، ثُمَّ يُعَاوِدُهُ بَعْدَ تَمَامِ إِنْفَاذِ مُرَادِهِ بِوُجُودِ الْمُكَوِّنِ، فَيَعُودُ إِلَى كَوْنِ بَدْوِهِ فِي التَّمَامِ، فَكَانَ كَذَلِكَ فِي الْكَرِّ وَالْعَوْدِ، تِلْكَ أَلْفُ أَلْفِ كَورٍ يَذْهَبُ فِي مَائَةِ أَلْفِ كَورٍ، وَيَعُودُ فِي مَائَةِ أَلْفِ كَورٍ، فَأَكَرَّهُ كَذَلِكَ خَمْسًا»، وَإِذَا قُلْنَا أَنَّهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ، أَصْلٌ وَاحِدٌ، فِعْلٌ وَاحِدٌ، فَيَكُونُ شِرْكًا وَاخْتِلَاطًا، وَإِذَا قُلْنَا أَنَّ الْمَعْنَى ظَهَرَ فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ فِي الِاسْمِ وَكَوَّنَ الْخَمْسَةَ الْأَيْتَامَ، وَمَا أَتَى مِنْ بَيَانِ مَعْرِفَةِ الْبَابِ فَيَكُونُ كَوْنُ الأَيْتَامِ قَبْلَ كَوْنِ الْبَابِ، وَهَذَا مَا لَا يُمْكِنُ، بَلْ يَجِبُ

أَنْ نَسْتَدِلَّ عَلَى بَيَانِ مَعْرِفَتِهِ، كَمَا قَالَ مَوْلَانَا جَعْفَرٌ عَزَّ عِزّهُ: «**بَاطِنُ الْبَابِ ظَاهِرُ الِاسْمِ، وَبَاطِنُ الِاسْمِ ظَاهِرُ الْمَعْنَى، بِمَنْزِلَةِ النَّظَرِ مِنَ النَّاظِرِ، وَالنُّطْقُ مِنْ النَّاطِقِ، لَا هُوَ النَّظَرُ كُلُّهُ، وَلَا هُوَ النُّطْقُ كُلُّهُ**» فَإِنْ قُلْنَا أَنَّهُ النُّطْقُ كُلُّهُ نَكُنْ حَصَرْنَا الْمَعْنَى وَجَعَلْنَاهُ لَا يُنْطَقُ إِلَّا بِهِ، وَإِنْ خَلَطْنَا بِهِمُ السِّينَ فَنَكُونُ مِنْ أَهْلِ الثَّالُوثِ نَصَارَى، وَنَخْرُجُ عَنْ حَدِّ التَّوْحِيدِ، أَمَّا بَيَانُ قَوْلِ مَوْلَانَا عَزَّ عِزّهُ وَقَوْلِ صَاحِبِ الرِّسَالَةِ "النُّعْمَانِيَّةِ": «الِاسْمُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعْنَى، وَالْبَابُ مُشْتَقٌّ مِنَ الِاسْمِ وَلَيْسَ بَيْنَ أَجْرَامِهِمْ غَيْرُ الشُّعَاعِ» فَدَلَّ الْقَوْلُ إِنَّ صِفَاتِهِمْ لِحَالٍ وَاحِدٍ إِلَى حِينِ بَدْوِ الْأَكْوَانِ، وَتَمَّ الْفَصْلُ، أَرَادَ الْأَزَلَ الَّذِي هُوَ فِي غُلْفِ الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ مِنْ غَيْرِ إِحْصَارٍ، أَنْ يَظْهَرَ فِيمَا أَقْمَرَهُ وَأَبْدَرَهُ، قَدْ أَزَاحَ الْإِسْمَ عَنْ صِفَتِهِ وَأَنْحَلَهُ أَنْ يُظْهِرَهُ فِي الشَّمْسِ تَشْرِيفًا لِاسْمِهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ فِي الشِّينِ شَرَّفَ الِاسْمُ بَابَهُ فِي السِّينِ، مِثْلَ مَا شَرَّفَهُ مَعْنَاهُ، وَأَسْمَاءُ الْإِسْمِ فِي اِسْمِ الْبَابِ سَمَاءٌ، وَبَقِيَ أَسْمُ الْبَابِ شَمْسٌ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ اسْمَهُ حَيْثُ حِينَ ظَهَرَ فِيهِ الِاسْمُ سُمِّيَ شَمْسٌ، حِينَ وَقَعَ الِانْفِصَالُ عَلَى عُيُونِ الْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ انْفِصَالٍ كُلِّيٍّ، ظَهَرَ كُلٌّ بِاسْمِهِ، لَأَنَّ ظُهُورَ الِاسْمِ بِالْقَافِ مُسْتَعَارٌ وَظُهُورَ الْبَابِ فِي الشِّينِ مُسْتَعَارٌ، فَلَمَّا بَانَ الْإِنْفِصَالُ ظَهَرَ كُلٌّ بِاسْمِهِ فَالْأَزْلُ ظَهَرَ فِيمَا أَقْمَرَهُ وَأَبْدَرَهُ وَأَنْحَلَهُ، وَالْإِسْمُ شَمْسٌ وَالْبَابُ سَمَاءٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْبَابَ مَا نَعْرِفُ اسْمَهُ كَمَا نَعْرِفُ اِسْمَ الْأَزَلِ وَاسْمَ الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ حِينَ تَأْيِيدِ الأَكْوَانِ؟

فَنَقُولُ لَهُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ، اِعْلَمْ أَنَّهُ كَانَ الأَزَلُ الْمُهِلُّ الْمُبْدِرُ ظَاهِرًا بِالسَّيِّدِ الْمِيمِ، وَكَانَ الْمِيمُ ظَاهِرًا فِي الشِّينِ، لِأَنَّهُ كَانَ مُشْتَقًّا مِنْ الْأَزَلِ فِي صِفَتِهِ وَهُوَ قَوْلُ سَيِّدِنَا أَبِي شُعَيْبٍ حِينَ كَانَ الْأَزَلُ الْمُهِلُّ الْمُبْدِرُ ظَاهِرًا، إِنْ لَمْ يُذْكَرْ اِسْمُ الشِّينِ وَاِسْمُ السِّينِ فَمَا أَتَى بَيَانُ مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بَعْدَ تَأْبِيدِ الْأَكْوَانِ، وَإِنْ أَتَيْنَا بِإِسْمِ الْبَابِ قَبْلَ تَأْيِيدِ الأَكْوَانِ، فَنَكُونُ سَمَّيْنَا الْبَابَ قَبْلَ الِاسْمِ، وَهَذَا مَا لَمْ يُمْكِنْ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَأْتِيَ بَيَانَ اتِّصَالِهِمْ وَمَعْنَى انْفِصَالِهِمْ فِي وَقْتِ تَأْبِيدِ الْأَكْوَانِ، وَهُوَ قَوْلُ سَيِّدِنَا أَبِي شُعَيْبٍ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «وَكَانَ الْأَزَلُ يَبْدُو فِي ظُهُورِهِ لِلَأَكْوَانِ بِحَيْثِهَا وَهُوَ فِي أَزَلِيَّتِهِ، لَا حَائِلَ وَلَا زَائِلَ فِيمَا بَدَا فِي ظُهُورِهِ، بَلْ كَانَ يُوجَدُ مِنْ كَوْنِ الْمُبْدِرِ الْمُنِيرِ مَا يَدُلُّ تِلْكَ الْأَكْوَانَ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ وَغَايَتِهِ، فَكَانَ الِاسْمُ يَجِدُ فِي سَيْرِهِ بِتَرْتِيبِ مَا كَوَّنَ بِالشَّمْسِ لَا يَفْتَرُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ إِدْرَاكَ الْكَوْنِ الَّذِي مُبْدِيهِ فِي الظُّهُورِ، فَلَا يُدْرِكُهُ وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ وَلَا يُدَانِيهِ فِي تِمْثَالِهِ وَهُوَ دُونَ الذَّرَةِ[١]، فَأَبَانَ فِي النُّطْقِ فِي الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[٢] وَالْفَلَكُ هُوَ الْحَيْثُ الَّذِي حَدَّهُمَا لِلْوُجُودِ، وَهُمَا سَائِرَانِ فِيهِ، فَأَوْجَدَ فِي ذَلِكَ أَنّ الشَّمْسَ لَيْسَتْ بِمُسَاوِيَةٍ لِلْقَمَرِ، وَلَا كَوْنُهَا كَكَوْنِهِ، وَذَلِكَ فِي الشَّرْحِ لَيْسَ لِلْبَابِ أَنْ يُدْرِكَ الِاسْمَ إِذَا كَانَ الِاسْمُ بِظُهُورِ الْمُبْدِرِ الْمُهِلِّ وَكَذَلِكَ لَيْسَ الِاسْمُ بِمُسَاوِي الأَزَلِ عِنْدَ إِبْدَاءِ وُجُودِ ظُهُورِهِ، وَإِبْدَاءُ الِاسْمِ ذَاتُ ظُهُورٍ، وَبَيَانٌ فِي الْحَالَيْنِ الْمُكَوَّنَيْنِ».

(1) أي قبل الذرة (في هامش المخطوطة)
(2) يس: 40

إِيضَاحُ الْقَوْلِ أَنَّ الأَزَلَ الَّذِي فِيهِ غُلْفُ الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ الْمُدِيرِ يُبْدِي لِلأَكْوَانِ بِمَا أَقْمَرَهُ وَأَبْدَرَهُ، وَهُوَ فِي أَزْلِيَّتِهِ مِنْ غَيْرِ إِحَالَةٍ، وَالْمُبْدِرُ الْمُدِيرُ يَدُلُّ الأَكْوَانَ عَلَى أَزْلِيَّتِهِ وَغَايَتِهِ، لأَنَّ لَيْسَ لَهُمْ اِسْتِطَاعَةٌ أَنْ يُدْرِكَ الأَزَلَ، لأَنَّهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْ ذَلِكَ، وَالْمُبْدِرُ الْمُدِيرُ كَوَّنَهُ بِتَرْتِيبِ كَوْنِ الشَّمْسِ الْمُحَالَةِ، يُرِيدُ إِدْرَاكَ كَوْنِ الأَزَلِ الَّذِي مُبَايِنٌ لَهُ فِي الظُّهُورِ، فَلَا يُدْرِكُهُ وَلَا يُدَانِيهِ دُونَ الذُّرَةِ، كَمَا أَتَى فِي قَوْلِهِ: «لَيْسَ الِاسْمُ بِمُسَاوِي الْأَزَلِ عِنْدَ ظُهُورِهِ بِهِ» مَعْنَى التَّسَاوِي بِاتِّصَالِ الْمَزْجِ شِرْكٌ، وَإِنَّمَا الْقَوْلُ لَا مَوْصُولٌ وَلَا مَفْصُولٌ، كَمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ: «لَا مَوْصُولَ اتِّصَالَ مِزَاجٍ وَلَا مَفْصُولَ انْفِصَالَ انْقِطَاعٍ، كَهَيْئَةِ النُّطْقِ مِنَ النَّاطِقِ وَالنَّظَرِ مِنَ النَّاظِرِ، لَا هُوَ النُّطْقُ كُلُّهُ، وَلَا هُوَ النَّظَرُ كُلُّهُ» فَهَذَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ الِانْفِصَالِ مِنَ الِاتِّصَالِ، أَيْ اِتِّصَالُ الِاسْمِ مِنْ الْمَعْنَى، وَالْبَابُ مِنَ الِاسْمِ، وَنَرْجِعُ إِلَى بَيَانِ مَوْضِعِ الَّذِي وَقَعَ عَلَى الْمِيمِ اِسْمُ الشِّينِ، وَزَاحَ عَنْهُ صِفَةَ مَعْنَاهُ، وَهُوَ قَوْلُ سَيِّدِنَا أَبِي شُعَيْبٍ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «فَلَحِظَهُ لَحْظَةَ الإِنْكَارِ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَكَشَفَ عَنْ ضِيَائِهِ وَمَدَّهُ بِنُورِهِ وَلَاشَاهُ فِي ذَهَابِهِ وَسَيْرِهِ، وَأَلْبَسَهُ حُلَّةَ التَّخْلِيصِ، فَصَارَ فِي الْحَيْثِ كَالطَّيْرِ الْوَاقِعِ فِي أَشْبَاكِ صَائِدٍ يُرِيدُ هَلَاكَهُ، وَهُوَ يَجْهَدُ فِي خَلَاصِ نَفْسِهِ مِنْ أَشْبَاكِهِ لِيَنْجُوَ إِلَى حَيْثِهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ، وَلَا يُعَاوِدَ إِلَى مُدَانَاتِ الشِّبَاكِ، فَرَتَّبَ فِيهِ ذَلِكَ وَأَحَلَّهُ بِهِ وَأَنْحَلَهُ إِيَّاهُ، فَهَوَى بِهِ وَهُوَ الْكُسُوفُ فِي الشَّمْسِ، يَجْرِي عَلَيْهَا فِي كُلِّ حِينٍ، وَهُوَ أَمَدَّ مَا سَلَفَ فِي الْأَكْوَارِ هَذِهِ، فَسَابِقُهُ فِيهِ جَارِي مِنْ قَبْلِ وُقُوعِ التَّسْمِيهِ فِيهِ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ

مِائَةُ أَلْفِ كَورٍ، ثُمَّ عَادَهُ بِمُلَاحَظَةِ الْإِرَادَةِ فَخَلَّصَهُ مِنْ حَيْرَتِهِ، وَإِمَادِهِ فَرَاجَعَهُ بِمَا كَانَ أَعْدَمَهُ مِنْ نُورِهِ وَضِيَائِهِ فِي الشَّمْسِ، وَوَقَعَ بِهِ اسْمَ الشَّمْسِ وَذَهَبَ بِهِ عِنْدَ رُجُوعِهِ إِلَى حَالِهِ فِي الْكِيَانِ، وَالتَّمَامِ فِي ذَهَابِ سَيْرِهِ، وَدَوَامُ ذَلِكَ لَا يَفْتِرُ مِنْهُ وَلَا يَقْصُرُ عَنْهُ، وَعَلَيْهِ أَجْرَاه فِي بَدْوِ تَكْوِينِهِ، وَلَهُ كَوْنُهُ، فَهُوَ بِحَالِهِ مِنْ حَيْثُ وُجُودُهُ، وَقَعَ اسْمُهُ عَلَيْهِ وَأَنْحَلَهُ الْكَوْنَ الْمُسَمَّى بِالسَّمَاءِ، وَالْإِسْمُ وَاحِدٌ فِي الْوَصْفِ وَالنَّعْتِ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّمْسَ كَامِلَةٌ فِي التَّسْمِيَةِ لِلْمِيمِ، فَهَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي وَقَعَ عَلَى الِاسْمِ "اسْمُ الشِّينِ" وَزَاحَ عَنْ صِفَةِ مَعْنَاهُ، وَكَانَ احْتِجَابُهُ عَنْهُ وَلَوْلَا هَذَا الْحَدُّ مَا تَعَرَّفَ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ».

وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَقَعَ عَلَى الِاسْمِ "اسْمُ السَّمَاءِ" وَأَبْدَا الْبَابَ بِاسْمِ الشَّمْسِ، فَقَالَ فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ: «ثُمَّ بَدَتْ مَادَّةُ الْإِرَادَةِ مِنْ الْأَزَلِ بِإِيجَادِ اِسْمِهِ، وَأَنْ يَظْهَرَ بِمَا أَوْجَدَهُ بِهِ، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ وَالشِّينِ فِي التَّسْمِيَةِ، وَظَهَرَ الْأَزَلُ الْمَعْنَى بِمَا أَهَلَّهُ وَأَبْدَرَهُ وَأَقْمَرَهُ، وَأَوْجَدَ ذَاتَهُ بِتَرْتِيبِ مَا كَوَّنَ بِهِ اسْمَهُ، وَأَبْدَاهُ لِاسْمِهِ أَنْ يَظْهَرَ بِالشِّينِ الَّتِي أَنْحَلَهَا الِاسْمُ بَابَهُ، فَأَوْجَدَ فِي الْحَيْثِ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ الْمُكَوَّنَةِ مِنْ ذَاتِ الْقَدْرِ بَيْنَ الْأَزَلِ وَالِاسْمِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي مَدَى مَائَةِ أَلْفِ كَورٍ»، فَدَلَّ الْقَوْلُ أَنَّ الْأَزَلَ أَوْجَدَ ذَاتَهُ بِمَا كَوَّنَ بِهِ اسْمَهُ فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ، وَالِاسْمُ أَوْجَدَ ظُهُورَهُ فِي مَا كَوَّنَ بِهِ بَابُهُ بِالشِّينِ، وَإِبْدَاءَ ظُهُورِ بَابِهِ فِي السَّمَاءِ، فَبَدَا ظُهُورُ السِّينِ لِلْبَابِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مِنْ أَيْنَ صَحَّ أَنَّ الِاسْمَ لَيُسَمَّى بِاسْمٍ؟

نَقُلْ لَهُ: حِينَ كَانَ الْأَزَلُ ظَاهِرًا فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ وَاسْمُهُ كَانَ الْبَابُ هُوَ حَيْثُ، وَكَانَ هُوَ دَوَرَانُ السَّمَاءِ إِلَى إِنْفَادِ الْفِعْلِ، وَتَمَامُ الْحِكْمَةِ بَدَتْ مِنْ إِرَادَةِ الْأَزَلِ أَنْ يُزِيحَ الِاسْمَ عَنْ صِفَتِهِ وَيَظْهَرَ فِي اسْمِهِ بِالشِّينِ وَجَبَ لَهُ كَوْنُ السَّمَاءِ، وَدَوَرَانُهَا لَيْسَ نَسْبًا لِلْبَابِ، وَأَبْدَى الأَزَلُ لِلِاسْمِ أَنْ يَظْهَرَ الْبَابُ فِي السِّينِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مِنْ أَيْنَ صَحَّ الْقَوْلُ أَنَّ الِاسْمَ يُعْطِي الشِّينَ لِلْبَابِ؟

نَقُلْ لَهُ: سَبَقَتْ إِرَادَةُ الأَزَلِ، يُورِي الْغِيبَةَ عَنْ الْبَابِ لِيَكُونَ الْبَابُ مُدَبِّرَ الْأَكْوَانِ بَعْدَ غِيبَةِ الِاسْمِ، وَهُوَ مِمَّا شَرَحْنَاهُ، وَأَبْدَى أَنْ يَظْهَرَ بِالشِّينِ الَّتِي أَنْحَلَهَا الِاسْمُ بَابَهُ، فَأَوْجَدَ الْحَيْثَ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ الْمُكَوَّنَةِ مِنْ ذَاتِ الْقَدْرِ بَيْنَ الْأَزَلِ وَالِاسْمِ، فَكَانَ ذَلِكَ فِي مَدَى مَائَةِ كَورٍ، فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ إِذْ أَطْلَعَهُ عَلَى مَعْرِفَةِ الأَكْوَانِ الْمُكَوَّنَةِ الَّتِي بَدَتْ مِنْ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ قَبْلَ الْغِيبَةِ، وَنَرْجِعُ إِلَى بَيَانِ حِينِ أَوْرَى الْغَيْبَةَ عَنْ الْبَابِ، قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْكِتَابِ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ لِعَدَمِ الْكُسُوفِ الَّذِي أَحَلَّهُ بِهِ عِنْدَ كُلِّ مُقَارَبَةٍ، حَيْثُ بَدَا الْغِيبَةَ وَعَدَمَ النُّورَ، فَلِذَلِكَ إِذَا حَلَّ الْقَمَرُ الْمَحَلَّ الَّذِي أَعْدَمَهُ وُجُودُ النُّورِ الْخَاصِّ عِنْدَ الظُّهُورِ فِي الْحَيْثِ النُّورَانِيِّ فَانْكَشَفَ، فَرَتَّبَهُ بِذَلِكَ فِي بَدْءِ الأَكْوَانِ الْمُكَوَّنَةِ عِنْدَ كِيَانِهَا، ثُمَّ أَهْمَلَ الْمُبْدِيَ أَلْفَ أَلْفِ كَورٍ وَخَمْسَمَائَةِ أَلْفِ كَورٍ، لَا تَبْدُو

ظُهُورَاتُهُ وَلَا ظَهَرَ اسْمُهُ لِلأَكْوَانِ الْمُكَوَّنَةِ» هَذَا بَيَانُ غَيْبَةِ الْمَعْنَى وَالْإِسْمِ، فَلِأَجَلِ ذَلِكَ تَسَمَّى الْبَابُ شَمْسًا، وَقَالَ بِمَعْنَى هَذَا الشَّرْحِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَنِ الْبَابِ وَتَدْبِيرِهِ الأَكْوَانَ بَعْدَ الْغِيبَةِ، فَلَمَّا تَمَّ الْمَبْدَى أَمَرَ إِلَى اسْمِهِ إِيجَادَ الظُّهُورِ بِذَاتِ اِسْمِ كَوْنِهِ، وَهُوَ الشَّمْسُ، فَظَهَرَ فِي الْأَكْوَانِ كُلِّهَا بِإِرَادَةٍ أَزَلِيَّةٍ أَلْفِ أَلْفِ كَورٍ وَخَمْسُمَائَةِ أَلْفِ كَورٍ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذَا ظُهُورُ الاِسْمِ، لِأَنَّهُ ذَكَرَ اِسْمَ كَوْنِهِ.

نَقُلْ لَهُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ، لَيْسَ اِسْمُ الْكَوْنِ وَاقِعًا عَلَى السَّيِّدِ الْمِيمِ وَإِنَّمَا هُوَ وَاقِعٌ عَلَى كَوْنِ الْبَابِ، لِأَنَّ الْبَابَ تَكْوِينُ الاِسْمِ، كَمَا أَنَّ تَكْوِينَ الاِسْمِ تَكْوِينَ الْمَعْنَى، وَإِنْ أَثْبَتْنَا الْقَوْلَ أَنَّ هَذَا ظُهُورُ الاِسْمِ، فَيَكُونُ قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي شُعَيْبٍ وَقَعَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ مِنْ حَيْثُ قَالَ: «غِيبَةُ الْمَعْنَى وَالاِسْمِ» فَلِهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَأْتِيَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَانَ الظُّهُورُ بَعْدَ الْغِيبَةِ، وَبَانَ الاِنْفِصَالُ، وَمِمَّا أَتَى وَنَصَّ عَلَيْهِ قَوْلُ الْمَوَالِي وَأَسَانِيدُهُمْ: «غَابَ الاِسْمُ عَنْ الْبَابِ، فَضَاقَتْ بِهِ الأَسْبَابُ، فَالْتَبَسَ عَلَى السِّينِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ بِهِ ذَرعُهُ، فَثَبَّتَهُ مُوَفِّقُهُ، وَمَنَّ عَلَيْهِ مُحَقِّقُهُ، بِإِرَادَةٍ سَبَقَتْ مِنْ الْأَزَلِ مُعَلِّلُ الْعِلَلِ، ثُمَّ إِنَّ الْحِجَابَ ظَهَرَ لَهُ مِنْ عظيم جَلَالِهِ وَنُورِ كماله، فَأَوْمأ إِلَيْهِ بِالسُّجُودِ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْأَزَلُ الْمَعْبُودُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِالتَّأَلُّهِ وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِالتَّعَبُّدِ، وَقَالَ: "**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا...**" وَأَرَادَ أَنْ يُتِمَّهَا "**أَنْتَ**" فَوَقَفَ بِحَضْرَةِ الْأَزَلِ مَوْلَاهُ، وَأَرْشَدْهُ الاِسْمُ إِلَى مَثْوَاهُ، إِلَى أَنْ رَفَعَ طَرْفَهُ نَحْوَ الْعُلُوِّ، فَنَظَرَ إِلَى عَظِيمِ اللَّاهُوتِ، وَجَلَالِ الْجَبْرُوتِ وَإِلَى

الِاسْمِ دُونَهُ عَلَى عَظِيمِ شَأْنِهِ، وَكَبِيرِ بُرْهَانِهِ، فَقَصَّرَ عَنْ تَمَامِ الشَّهَادَةِ بِالتَّأَلُّهِ لِلْمِيمِ، عَلَى أَنَّهُ عَظِيمٌ كَبِيرٌ، وَأَتَمَّهَا وَجَعَلَ مَوْضِع "**إِلَّا أَنْتَ**" "**إِلَّا هُوَ**" فَتَمَّتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لِلْأَزَلِ الْمَعْبُودِ، فَهَذَا حَدُّ انْفِصَالِ الْإِسْمِ عَنْ الْمَعْنَى»، وَقَالَ أَيْضًا فِي شَرْحِ هَذَا الْكِتَابِ مِثْلُ هَذَا الْقَوْلِ، ثُمَّ أَنَّ الْأَزَلَ مَدَّ الِاسْمَ بِإِيقَاعِ الِاخْتِبَارِ لِلْبَابِ وَالظُّهُورِ لِلْبَابِ وَالظُّهُورِ لَهُ بِالْكُلِّيَّةِ بِكُلِّيَّةِ الْكَوْنِ الَّذِي كَوَّنَهُ أَزَلَهُ، فَوَقَفَ الِاسْمُ، اسْمَهُ الَّذِي كَوَّنَهُ لِذَاتِهِ وَأَنْحَلَهُ وَأَظْهَرَهُ مُتَوَاسِطًا فِي الْحَيْثِ مِنْ التَّكْوِينِ الَّذِي كَوَّنَهُ فِيهِ بِذَاتِهِ الَّتِي أَدْنَاهُ بِهَا الْأَزَلُ عِنْدَ إِيقَاعِ اسْمِهِ عَلَيْهِ، فَأَجَّلَهُ الْبَابَ وَعَظَّمَهُ، وَهَمَّ لَهُ بِالسُّجُودِ، فَغَيَّبَ الِاسْمَ عَنْ وُجُودِهِ ذَاتِهِ خَوْفًا أَنْ يَكُونَ يُشْرِكُ بِالْأَزْلِ بِالتَّعَدُّدِ، فَلَمَّا غَيَّبَ ذَاتَهُ عَنْ كَوْنِ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ اسْمُهُ وَبَابُهُ لَمَّا أَحَسَّهُ أَبْدَأَ بِالسُّجُودِ، وَإِنَّهُ كَبَّرَ أَزَلَهُ، وَقَدْ أَجَدَّ فِي ذَلِكَ النُّطْقَ فِي مَقَامِ أَقَامَهُ قَبْلَ إِظْهَارِ النُّطْقِ بِهِ فِي مَقَامِ الْمِيمِ، إِنَّهُ خَاطَبَهُ اسْمُهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِمَا نَطَقَ بَيَانَهُ، وَكَشَفَ فِي هَذَا الْمَقَامِ - أَعْنِي فِي الْقُبَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ - ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١) فَهَذَا بَيَانُ الَّذِي أَتَى فِي الشَّرْحِ حِينَ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا" وَأَرَادَ أَنْ يُتِمَّهَا "أَنْتَ" فَوَقَفَ، فَوَقَعَ خِطَابُ الْأَزَلِ لِلْإِسْمِ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٢).

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ بَدَا بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْإِسْمِ عِنْدَ

(1) المائدة: 116
(2) المائدة: 116

سُجُودِ الْبَابِ، لِأَنَّ الْأَزَلَ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ إِذْعَانِ الشَّهَادَةِ، وَإِذَا قُلْنَا أَنَّ الْخِطَابَ بَدَا مِنْ الْأَزَلِ لِلِاسْمِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ، فَيَدُلُّ أَنَّهُ أَشْرَكَهُ الْأَزَلُ فَهَذَا مَا لَا يَصِحُّ، وَلَكِنْ دَلَّ الْقَوْلَ تَأْخِيرُ الِاسْمِ فَصَلَهُ عَنْ الْمَعْنَى، حَيْثُ أَرْشَدَهُ لِلْأَزَلِ، وَإِذَا قُلْنَا أَنَّهُ انْفَصَلَ بَعْدَ الشَّهَادَةِ، فَيَكُونُ أَخَذَ مَعْرِفَةَ الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ بَابٍ، وَإِنَّمَا الْقَوْلُ حَيْثُ قَالَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا" فَكَانَ خِطَابُ الِاسْمِ لَهُ قَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرَفِ فِي إِرْشَادِهِ إِيَّاهُ لِلْأَزَلِ، فَانْفَصَلَ عَنْهُ.

وَأَمَّا ظُهورُ الْأَزَلِ لِلْأَكْوَانِ فَقَالَ فِي الشَّرْحِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ: فَبَدَا ذَاتُهُ بِغَيْرِ حَرَكَةٍ إِزَالَةٍ، وَلَا حَوَّلَ كَوْنًا، وَبَدَا فِي ظُهُورِ الْمُقْمِرِ الْمُبْدِرِ، حَتَّى أَوْجَدَ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ وُجُودَ أَزَلِيَّتِهِ وَقِدَمِهِ، فَفُرِّقَتِ الْأَكْوَانُ مِنْ حَيْثِ أَوْجَدَ الْأَزَلُ إِنَّهُ مُكَوِّنُ كِيَانِ مُكَوِّنِهَا، وَأَنْهَا هِيَ مِنْ تَكْوِينِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ ظُهورَاتِ الْأَزَلِ، وَالِاسْمُ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ وَالنَّعْتِ أَلْفِ أَلْفِ ظُهُورٍ وَخَمْسُمِائَةٍ أَلْفِ ظُهُورٍ، وَكُلِّ ظُهُورٍ أَلْفِ أَلْفِ كَورٍ عَلَى نَعْتِ مَا أَشْرَحُهُ مِنْ نُعُوتِ الْأَكْوَارِ وَالْأَدْوَارِ وَالْأَعْمَارِ وَالسِّنِينِ وَالشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ، وَأَنَّ الْيَوْمَ مِنْهَا خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنِيّكُمُ هَذِهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا ظُهورُ الْأَزَلِ فِي الِاسْمِ.

فَنَقُولُ لَهُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ، فَإِذَا قُلْنَا هَذَا ظُهُورُ الْأَزَلِ فِي الِاسْمِ فَيَكُونُ قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي شُعَيْبٍ وَقَعَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ مِنْ حَيْثِ قَوْلِهِ: «ظَهَرَ الِاسْمُ فِي الشِّينِ، وَكَوْنُ السَّمَاءِ فِي هَذَا الظُّهورِ» يَقُولُ ظَهَرَ الْأَزَلُ فِي الْمُهلِّ

الْمُبْدِرِ الْمُقْمِرِ، وَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، وَأَنَّ ظُهُورَ الْأَزَلِ فِي اسْمِهِ قَبْلَ هَذَا الظُّهُورِ كَانَ الِاسْمُ فِي تَرْتِيبِ الشَّمْسِ لَا يَتَغَيَّرُ كَمَا أَتَى فِي الشَّرْحِ، وَفِي هَذَا الظُّهُورِ يَقُولُ: «فَرَّقَتِ الْأَكْوَانُ مِنْ حَيْثُ أَوْجَدَهَا الْأَزَلُ أَنْهُ مُكَوِّنُ كِيَانِهَا، وَإِنَّهَا هِيَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ تَكْوِينِهِ»، وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ فَرَّقَ الْأَكْوَانَ الْأَزَلُ فِي هَذَا الظُّهُورِ، إِنَّهُ مُكَوِّنُ كِيَان مُكَوِّنِهَا، مِنْ طَوَافِهِ فِي الْمَنَازِلِ فِي شِدَّةِ السَّيْرِ مِمَّا كَسَاهُمْ مِنْ نُورِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ ظُهُورُ الْأَزَلِ فِي الِاسْمِ، قَبْلَ هَذَا الظُّهُورِ كَانَ يُرَى فِي الشِّينِ حِينَ انْفِصَالِ الْأَفْلَاكِ عَنْ بَعْضِهَا مِنْ غَيْرِ انْفِصَالٍ، وَظَهَرَ الْأَزَلُ عِلَّةَ الْأَكْوَانِ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي شَاهَدَتْهُ مِنْهُ، وَجَبَ عَلَى أَنَّنَا نُوَضِّحُ مَا عَلِمْنَا بِهِ مِنْ مُرَادِ الْبَارِي مِنَ الْأَكْوَانِ فِي وَقْتِ الدَّحْوَةِ، وَبَيَانِهِ لَهُمْ تَكْوِينَ أَكْوَانِهِمُ فِي ظُهُورِ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ.

وَقَالَ فِي هَذَا الشَّرْحِ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «ثُمَّ دَحَى بِهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، فَمَرَّ فِي ذَلِكَ الْهَوَاءِ فِي دَحْوَتِهِ - يَعْنِي مَرَّ بِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ غَالِبٍ وَالْخَمْسَةُ إِلَى عُلُوِّ الْهَوَاءِ، بِدَحْوَتِهِ - كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ وَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ حَتَّى طَافَ بِهِمُ الْحَيْثُ الَّذِي كَانَ يَشْرَحُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَالِبٍ لَهُمْ فِي مَحَلِّ النُّورِ، فِي الْمُكَوِّنَاتِ النُّورَانِيَّةِ، وَالتَّكْوِينِ النُّورَانِيِّ، وَجَمَعَ لَهَا كُلَّ مُفْتَرَقٍ وَمُنْفَرَجٍ، وَصَفَى لَهَا كُلَّ مُمْتَزِجٍ وَمُعْتَلِجٍ وَمُظْلِمٍ وَمُقْتِمٍ، حَتَّى أَوْجَدَهَا ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْحَيْثِ بِكَوْنِ بَدَا الْمُكَوِّنُ الْمُرِيدُ عِنْدَ تَكْوِينِ إِرَادَتِهِ وَذَهَبَ بِهِمْ فِي تَدَاوُمِ ذَلِكَ الْمَدَى مِنَ الْأَدْوَارِ وَالْأَكْوَارِ وَالْأَعْصَارِ

وَالْأَجْوَارِ، وَأَوْقَفَهَا فِي كُلِّ حَيْثٍ، وَأَوْجَدَهَا فِي بَدْوِهَا وَكَوَّنَهَا فِيهِ، وَأَبْدا لَهَا جَمِيعَ مَا أَبْدَاهُ فِي بَدْوِ الْكِيَانِ حَتَّى أَوْجَدَهَا اسْمُهُ فِي حَالَةِ التَّكْوِينِ وَأَوْجَدَهَا ذَاتَهُ الْأَزَلِيَّةَ فِي الظُّهُورِ الَّذِي ظَهَرَ لَهَا بِهِ، حَتَّى قَرَّرَ عِنْدَهَا إِنَّهُ قَدْ أَعَادَهَا إِلَى الْكَوْنِ النُّورَانِيِّ، وَإِنَّهُ قَدْ يُخَلِّصُهَا مِنْ أَهْلِ الْمِزَاجَاتِ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهَا الْإِجَابَةَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، ذَهَبَ بِهَا فِي أَحْيَاثٍ لَمْ تَعْرِفْهَا قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا كُوِّنَتْ فِيهِ، وَلَا كَوَّنَ فِيهَا كَوْنًا، وَأَوْجَدَهَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ مُكَوِّنِهَا، وَمُكَوِّنِ حَيْثِهَا».

بَيَانُ إِيضَاحِ الْقَوْلِ: بَعْدَمَا دَحَاهُمُ الْبَابُ فِي الْهَوَاءِ إِلَى جَوِّ السَّمَاءِ، أَجْمَعَهُمْ وَصَفَّى نُورَ أَجْرَامِهِمْ مِنَ الْمِزَاجَاتِ الظُّلمِيَّةِ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ فِي تَكْوِينِ أَكْوَانِهُمْ، أَعْطَاهُمْ بيانُ تَكْوِينِ أَكْوَانِهِمْ، وَوَقَّتَهَا لَهُمْ فِي الْأَحْيَاثِ الَّتِي بَدَتْ مِنْ الْأَزَلِ وَالْإِسْمِ مِنَ الْأَكْوَارِ وَالْأَدْوَارِ وَالْأَعْصَارِ وَالْأَجْوَارِ، حَتَّى أَوْجَدَهُمْ ظُهُورُ الْإِسْمِ وَظُهُورُ الْأَزَلِ بِهِ، مِنْ حِينَ كَانَ وَلَا مَكَانَ كَوْنٌ، إِلَى حِينِ تَأَبَّدَ أكوَانِهِمْ، لِمَا كَانَ مِنْ الِاسْمِ وَالْأَزَلِ فِي كَوْنِ أَكْوَانِهِمْ، لِمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي وَقْتِ الظُّهُورَاتِ، قَدْ عَلِمُوا ذَلِكَ وَوَعَوْهُ فَقَالَ فِي سِيَاقِ الشَّرْحِ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ نُطْقِ الْمُكَوِّنِ الْأَزَلَ وَالْإِسْمُ دُونَ الْأَكْوَانِ كُلِّهَا، الَّتِي أَتَى بَيَانُ شَرْحِهَا، ثُمَّ أَنْطَقَ لَهَا الْمُكَوِّنَاتِ، فَنَطَقَتْ كُلُّهَا بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، فَلَمَّا أَسْمَعَهُمْ ذَلِكَ فِي لُغَاتِ التَّكْوِينَاتِ الَّتِي تَشْهَدُ بِمَعْنَوِيَّةِ الْأَزَلِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ، وَبِاسْمِهِ الَّذِي هُوَ الْقَدِيمُ، وَبَابُهُ الَّذِي هُوَ بَدْؤ أَمْرِهِ وَكَوْنِهُ، لَا يُوجِدُهُمْ فِي تِلْكَ الْأَحْيَاثِ غَيْرَمَا أَوْجَدَهُمْ

فِي حَيْثِهِمْ، وَلَا غَايَةَ غَيْرُ غَايَتِهِمْ، وَكَانَ عَدَدُ الْأَحْيَاثِ الَّتِي أَوْجَدَهُمْ فِيهَا أَلْفَ أَلْفِ حَيْثٍ، وَأَنْطَقَهُمْ أَلْفَ أَلْفِ حَيْثٍ فِيهِ، وَأَوْجَدَهُمْ مَادَّةَ الْأَكْوَانِ، وَأَسْمَعَهُمْ نُطْقَهَا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مِنْ أَيْنَ صَحَّ أَنْ تَنْطُقَ الْأَكْوَانُ لِلْأَزَلِ وَالِاسْمِ مِنْ غَيْرِ الْأَكْوَانِ الْمَشْرُوحَةِ؟

نَقُلْ لَهُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ لَسْنَا نَقُولُ الْأَكْوَانُ الْمَشْرُوحَةُ، وَإِنَّمَا الْأَكْوَانُ الَّذِينَ بَانَ مِنْهُمُ النُّطْقُ هُمْ الْبُرُوجُ وَالْمَنَازِلُ الَّتِي تَكَوَّنَتْ الْأَكْوَانُ بِهِمْ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مِنْ أَيْنَ صَحَّ الْقَوْلُ أَنَّ الْبُرُوجَ وَالْمَنَازِلَ تَنْطُقُ لِلْأَزَلِ، وَالِاسْمُ قَبْلَ الْأَكْوَانِ؟

نَقُلْ لَهُ: لِمَا أَتَى فِي الشَّرْحِ حِينَ وَقَعَ الِانْفِصَالُ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ أَوَّلُ حُلُولِ الْمَعْنَى وَالِاسْمُ فِي الْبُرُوجِ، يَشْهَدُ الْمَكَانَ وَيُسَلِّمُ قَبْلَ الْكَوْنِ الَّذِي تَكَوَّنَ بِهِ، يَشْهَدُ بِذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى اسْمُهُ حِينَ قَالَ لِلسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1]، وَبَيَانُ نُطْقِ الْأَكْوَانِ فِي دَحْوَةٍ غَيْرِ هَذِهِ بَعْدَمَا يَمْتَحِنُهُمْ الْبَابُ وَيَأْخُذُ آدَابَهُمْ إِلَى أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِي النُّطْقِ وَالْإِقْرَارِ وَالشَّهَادَةِ لِلْأَزَالِ وَالِاسْمِ.

(1) فصلت: 11

وَقَالَ فِي سِيَاقِ الشَّرْحِ فِي هَذَا الْقَوْلِ: «ثُمَّ دَحَاهُمْ فِي ذَهَابِ النُّورِ لِيَحْصُلَ فِي الْحَيْثِ، فَكَانَ ذَهَابُهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَهَابِ الْغَرِيقِ فِي الْمَاءِ، لَا يَدْرِي بِحَيْثِهِ وَلَا بِحَيْثٍ يَمُرُّ فِيهِ، قَدْ أَذْهَلَهُ عَنْ وُجُودِ حَيْثِهِ سُكُونُ الْجَزَعِ فِيهِ وَالْهَلَعِ، وَتَحْقِيقُ ذَهَابِهِ الإِيجَادُ فِيهِ غَرَقُهُ، حَيْثُ يُقِرُّهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَكَانَ مَدَى ذَلِكَ الذَّهَابُ، ذِكْرَهُ وُجُودَ الْبَابِ فِي ذَلِكَ النُّورِ أَلْفَ أَلْفِ كورٍ وَخَمْسَمَائَةِ أَلْفِ كَورٍ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَارِ الْمَشْرُوحَةِ لِلْأَكْوَانِ، هَذَا فِي الْحَيْثِ الَّذِي كُوِّنَتْ فِيهِ، فَلَمَّا بَلَغَتْ الدَّحْوَى إِلَى تَنَاهِي الذَّهَابِ أَوْقَفَهَا عَلَى مُنْتَهَى ذَهَابِهَا، وَرَدَّ لَهَا لُبَّ الْفِكْرِ فِي إِثْبَاتِ الْعَزِيْمَةِ، وَأَوْجَدَ ذَاتَهَا فِي غُيُوبِ سِرِّهَا».

وَقَالَ فِي هَذَا الشَّرْحِ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «ثُمَّ أَبْدَاهَا بِالنُّطْقِ بِمَعْرِفَةِ الْأَزَلِ وَالِاسْمِ، فَنَطَقَتْ كُلَّهَا بِلُغَاتٍ وَاحِدَةٍ، وَجَمَعَتْ فِيهَا جَمِيعَ اللُّغَاتِ، ثُمَّ أَبْدَاهَا لَهُمْ فِي الْأَحْيَاتِ كُلِّهَا، حَتَّى أَوْجَدَهَا إِنَّهَا بِنُطْقٍ وَاحِدٍ تَنْطِقُ بِلُغَاتٍ شَتَّى، ثُمَّ أَوْجَدَهَا أَنَّهَا بِتِلْكَ اللُّغَاتِ تَشْهَدُ جَمِيعًا لِلْأَزَلِ وَالْإِسْمِ، وَتُسَلِّمُ لَهُمَا، كَمَا شَهِدَتْ هِيَ وَسَلَّمَتْ، فَكَانَ مَبْلَغُ ذَلِكَ الْأَحْيَاتِ أَلْفَ أَلْفِ حَيْثٍ، فِي أَلْفِ أَلْفِ حَيْثٍ، كُلُّ حَيْثٍ أَلْفُ أَلْفِ كَورٍ وَخَمْسُمَائَةِ أَلْفِ أَلْفِ كَورٍ، كُلُّ كَورٍ مِنْهَا مَائَةُ أَلْفِ كَورٍ مِنَ الْأَكْوَارِ الْمَشْرُوحَةِ».

فَانْظُرْ إِلَى بَيَانِ الْقَوْلِ فِي الدَّحْوَةِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا - أَيْ شَرْحُهَا - وَكَانَ بَيَانُ مَعْرِفَتِهِمْ فِي تَكْوِينِ كَوْنِ كِيَانِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّحْوَى، وَكَانَ

امْتِحَانُهُمْ، وَأَخَذُوا آدَابَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ فِي النُّطْقِ، لِأَنَّهُمْ أَقَرُّوا لِلْأَزَلِ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّسْلِيمِ فِي جَمِيعِ أَحْيَاثِهِمْ الَّتِي أَتَتْ فِي تَكْوِينِ كَوْنِ أَكْوَانِهِمْ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ الِانْفِصَالِ أَلْفُ أَلْفِ حَيْثٍ، بَيْنَ كُلِّ حَيْثٍ أَلْفُ أَلْفُ كَورٍ وَخَمْسُمَائَةِ أَلْفِ أَلْفِ كَورٍ، فِي كُلِّ حَيْثٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْيَاثِ هُمْ يُقِرُّونَ لِلْأَزَلِ بِالشَّهَادَةِ وَالتَّسْلِيمِ، أَنْتَ إِلهُنَا وَمِنْكَ كَانَ بِدْؤُ كَوْنِنَا وَكَوْنُ حَيْثِنَا أَنْتَ الْأَمْرُ وَنَحْنُ الْمَأْمُورُونَ، وَأَنْتَ الصَّانِعُ وَنَحْنُ الْمَصْنُوعُونَ، وَأَنْتَ الْخَالِقُ وَنَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ، أَنْتَ الْأَحَدُ الدِّيمُومُ، أَنْتَ الْمُتَسَلْطِنُ عَلَيْنَا بِسَلْطَنَتِكَ، الْمُعْتَزُّ عَلَيْنَا بِعِزَّتِكَ، الْبَاقِي بِصَمَدَانِيَّتِكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ وَلَا نَعْبُدُ سِوَاكَ، إِلَى أَنْ وَافَوْا بِالإِقْرَارِ جَمِيعَ أَحْيَاثِهِمُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا كَوْنُ أَكْوَانِهِمْ، الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ الِانْفِصَالِ.

وَقَالَ فِي هَذَا الْكِتَابِ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ عَنْ وُقُوفِ الْأَكْوَانِ فِي مَجْلِسِ السُّؤَالِ: «وَسُؤَالِ الِاسْمِ لَهُمْ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[1]» بَعْدَ دَحْوَةِ ذَهَابِهِمْ فِي الْوَهْمِ، وَدَحَاهُمْ كَالدَّحوَةِ الْأُولَى فِي إِجَالَةِ الذَّهَابِ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى تَضَاعُفِ الْوَصْفِ، فَأَدَامَ بِهِمْ ذَلِكَ الْوَهْمَ، وَأَدَامَ بِهِمُ الظُّهُورَ مَعَ الِاكْتِنَافِ، وَدَعَا بِهِمْ فِي الِاكْتِنَافِ مِائَةَ أَلْفِ كَورٍ وَحَيْثٍ، وَبَيْنَ كُلِّ حَيْثٍ ذَهَابٌ مِثْلُ الَّذِي بَدَا بِشَرْحَةٍ، وَهُوَ يَكُونُ عِنْدَ كَمَالِ ذَلِكَ كُلٌّ يَتَضَاعَفُ عَلَى مَا وَصَفَهُ مِنْ ذُرْوَتِهَا حِيثًا وَذَهَابًا، وَكَذَلِكَ تَتَضَاعَفُ أَكْوَانُهَا وَلُغَاتُ الْأَكْوَانِ، وَأَوْجَدُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ وَيُقِرُّ عِنْدَهُمْ بِالْأَزَلِ وَالِاسْمُ

(1) غافر: 16

الَّذِي هُوَ مُكَوِّنُهُمْ وَمُكَوِّنُ الْأَحْيَاتِ، فَلَمَّا بَلَغَ بِهِمْ إِلَى نِهَايَةِ ذَلِكَ هَفَتُوا لِوُجُوهِهِمْ وَقَدْ عَدِمُوا اللُّبَّ وَالذِّهْنَ وَالتَّحْصِيلَ وَالإِدرَاكَ، وَزَالَ عَنْهُمْ سِرُّ الْغَيْبِ مِنْ وَهْمٍ يُنْهِي أَمْرَ مُلْكِهِ وَتَنَاهِي أَحْيَاتِهِ وَمُكَوِّنَاتِ أَكْيَانِهِ وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ لَا غَايَةَ لِذَلِكَ، وَإِنَّهَا مِنْ بَعْضِ بَعْضِ عِلْمِهِ، إِذْ لَا بَعْضَ يَقَعُ عَلَيْهِ وَلَا بِهِ، فَلَمَّا أَوْقَفَهُمْ قَدْ هَفَتُوا لِوُجُوهِهِمْ فِي نُورِ عِزَّتِهِ الَّتِي أَعَزَّ بِهَا اسْمَهُ وَجَلَالِ قُدْرَتِهِ الَّتِي أَقْدَرَهُ بِهَا عَلَى كَوْنِ ذَلِكَ وَإِيجَادِهِ، فَظَهَرَ لَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ نُطْقًا، وَأَوْجَدَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ إِرَادَتِهِ، وَهُوَ مَا قَدْ سَبَقَ بِهِ إِلَيْهِمْ فِي مَقَامَاتِ مُلْكِهِ حِينَ أَبْدَاهُمْ فِيهِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾(١) فَكَانَتْ الْإِجَابَةُ عَلَى سُرْعَةِ التَّسْلِيمِ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٢)».

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّ سُؤَالَ الِاسْمِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾(٣) لِيُفْرِدَ الْأَوَّلَ لَهُمْ وَيُثْبِتَ الْمُلْكَ لَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ الشَّرْحُ حِينَ إِبْدَاءِ الْأَكْوَانِ كَانَ لِتَكْوِينِ الِاسْمِ بِإِذْنِ الْأَوَّلِ إِلَى وَقْتِ تَأْبِيدِ الْأَكْوَانِ مِنْ الِاسْمِ، وَقَعَ الِانْفِصَالُ مِنْ غَيْرِ انْفِصَالٍ، وَظَهَرَ الْأَزَلُ لِلْأَكْوَانِ وَبَدَتْ بِهِمْ الْحَرَكَةُ إِلَى وَقْتِ سُؤَالِ الِاسْمِ لَهُمْ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾(٤) أَجَابَ فِي سُرْعَةِ التَّسْلِيمِ: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فَكَانَتْ إِجَابَتُهُمْ لِلَّهِ الْأَزَلِ الْغَايَةِ، وَهُوَ قَدِيمُ الِاسْمِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾(٥) قَبْلَ ظُهُورِ الْأَزَلِ، أَبْدَيْت كَوْنَ كَوْنِهِمْ وَكُنْت مَالِكَ أَكْوَانِهِمْ، وَالْآنَ عُدّتُ أَنَا وَأَنْتُمْ مَلِكُ الْأَزَلِ، وَهَذَا فَرْقُ

---

(1) غافر: 16
(2) غافر: 16
(3) غافر: 16
(4) غافر: 16
(5) غافر: 16

الْمَعْنَى مِنَ الْإِسْمِ، وَالرَّبِّ مِنَ الْمَرْبُوبِ.

وَقَالَ فِي هَذَا الشَّرْحِ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: «مِنْ ظُهُورِ الْأَزَلِ لِلْأَكْوَانِ مِنْ الْمَغْرِبِ، وَإِغْرَابِهِ بِهِ وَظُهُورِهِ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».

وَقَوْلِهِ: «فَلَهَفَتْ الْأَكْوَانَ فِي طَلَبِ الْكَوْنِ الَّذِي كَانَ بَدَا لَهَا وَبِهَا، فَطَلَعَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَطْلَعِ الَّذِي كَانَ غَرِبَ فِيهِ، وَمَرَّ حَتَّى غَرُبَ فِي الْمَشْرِقِ الَّذِي كَانَ يَطْلُعُ مِنْهُ، وَبَدَا بَعْدَهُ مِائَةُ أَلْفِ كَورٍ مِنَ الْمَشْرِقِ الَّذِي غَرُبَ فِيهِ، فَأَتَى بِهِ بِقَوْلِهِ فِي النُّطْقِ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]، فَلَمَّا ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ الَّذِي أَغْرَبَهُ فِيهِ بَعْدَ إِطَافَتِهِ فِي الْحَيْثِ، وَالْكَوْنُ مِائَةَ أَلْفٍ، فَغَرَبَ فِيهِ ثُمَّ عَاوَدَ الظُّهورَ مِنْهُ فَظَهَرَ مِنْ مَغْرِبِهِ الَّذِي غَرَبَ فِيهِ مِائَةَ أَلْفِ كَورٍ وَمَرَّ بِهِ فِي الْحَيْثِ، إِلَى أَنْ نَهَى بِهِ الْمَشْرِقَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ وَأَطْلَعَهُ مِنْ مَطْلَعِهِ الْأَوَّلِ فِي مَائَةِ أَلْفِ كَورٍ وَحَلَّهُ فِيهِ مَائَةَ أَلْفِ كَورٍ، ثُمَّ أَظْهَرَهُ مِنْهُ بِطُلُوعِهِ لِلْحَيْثِ وَالْكَوْنِ، فَبَانَ ذَلِكَ عِنْدَ رَدِّهِ فِي الظُّهورِ بِالطُّلُوعِ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْغُرُوبِ فِي الْمَشْرِقِ وَالظُّهُورِ مِنْ الْمَغْرِبِ، وَالْغُرُوبِ فِي الْمَشْرِقِ، وَالظُّهورِ ثَانِيَةً مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْغُرُوبِ فِي الْمَغْرِبِ، وَالظُّهورِ ثَانِيَةً مِنْ الْمَغْرِبِ بِقَوْلِهِ فِي النُّطْقِ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[2]، فَكَانَ ذَلِكَ لِإِيجَادِ الِاسْمِ ذَاتِهِ فِي

(1) المزمل: 9
(2) الرحمن: 17

مَحَلِّ الشَّمْسِ وَكَوْنِهَا، وَهِيَ وَجَوْهَرِهَا فِي الْحَيْثِ، وَالْكَوْنِ الَّذِي كَانَ إِيجَادُ الِاسْمِ ذَاتِهِ بِهِ».

فَانْظُرْ يَا أَخِي لِأَوَّلِ قَوْلِهِ: «فَطَلَعَ عَلَيْهَا مِنْ مَطْلَعِ الَّذِي غَرُبَ فِيهِ وَمَرَّ حَتَّى غَرُبَ فِي الْمَشْرِقِ الَّذِي كَانَ يَطْلُعُ مِنْهُ وَبَدَا بَعْدَهُ مَائَةُ أَلْفِ كَورٍ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالَّذِي غَرُبَ فِيهِ، فَأَتَى فِي النُّطْقِ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، اُنْظُرْ إِلَى حَيْثُ قَوْلُهُ يَقُولُ فِي النُّطْقِ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[1]» فَهَذَا دَلِيلٌ وَبُرْهَانٌ وَوَحْيٌ لِلنُّفُوسِ، أَنَّ الْأَزَلَ أَبَدًا وُجُود ظُهُورِهِ فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ الْمُقْمِرِ لِلْأَكْوَانِ فِي بَدْءِ كَوْنِهِ وَظُهُورِهِ لَهُمْ وَالْمِيمُ أَبَدًا وُجُودُ ظُهُورِهِ فِي السِّينِ، يَظْهَرُ لِظُهُورِ أَزَلِهِ وَيَغِيبُ لِغَيْبَتِهِ.

فَإِذَا احْتَجَّ عَلَيْنَا مُحْتَجٌّ: إِنَّ الِاسْمَ مَا أَتَى بَيَانُهُ أَوَّلُ الْقَوْلِ.

فَنَقُولُ لَهُ: اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنَّ الِاسْمَ قَبْلَ ظُهُورِ الْأَزَلِ كَانَ ظَاهِرًا لِلْأَكْوَانِ، وَهُوَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ كَمَا أَتَى بِالشَّرْحِ، فَحِينَ ظَهَرَ الْأَزَلُ وَظَهَرَ لِلْأَكْوَانِ مِنْ مَطْلَعِ الَّذِي غَرُبَ فِيهِ، إِلَى أَنْ عَادَ فِي الْمَشْرِقِ، أَتَى فِي النُّطْقِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾[2]، يَعْنِي إِلَهًا لَهُمَا فَكَانَ هَذَا الْقَوْلُ لِلْمَعْنَى وَلِلِاسْمِ، وَالسَّيِّدُ الِاسْمُ بَعْدَ الشَّهَادَةِ، وَظُهُورِهِ لِظُهُورِ أَزَلِهِ تَكْرَارُهُ فِي الْغُرُوبِ وَالشُّرُوقِ، وَقَدْ أَتَى فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ:

(1) المزمل: 9
(2) المعارج: 40

﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾[1] لِأَنَّ مَا سَمَّاهُمَا هُنَا مَشْرِقَيْنِ وَمَغْرِبِيْنِ إِلَّا لِأَجْلِ ظُهُورِ الْإِسْمِ لِظُهُورِ أَزَلِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ الِاسْمُ ظَاهِرًا مَا كَانَ أَتَى فِي الْقَوْلِ إِيجَادُ الِاسْمِ ذَاتِهِ فِي مَحَلِّ الشَّمْسِ، وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ لَهُ دَفْعٌ، وَقَالَ أَيْضًا: «الْقَوْلَ مِنْ هَذَا الشَّرْحِ فِي بَدْءِ وُجُودِهِمْ فِي الظُّهُورِ لِقَوْلِهِ: أَبَدَا ظُهُورَ ذَلِكَ الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ الْمُقْمِرِ، لِلْإِسْمِ أَنْ يُجْرِيَ الشَّمْسَ الَّتِي هِيَ اسْمُهُ بِمُدَاوَمَةِ الظُّهُورِ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْغُرُوبِ فِي الْمَشْرِقِ أَلْفَ أَلْفِ كَورٍ، وَغُرُوبِهِ أَلْفَ أَلْفِ عَوْدَةٍ وَبُدُوٍّ، فَلَمَّا كَمُلَ مِنْ إِرَادَتِهِ، بَانَ النُّطْقَ أَنَّ الْكُلَّ لَهُ مِنْ الْكَوْنِ وَالْحَيْثِ وَالْحُدُوثِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ فَقَالَ: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾[2]، وَقَبْلَ ذَلِكَ قَالَ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾[3]»، فَانْظُرْ لِقَوْلِهِ: أَبْدَى ظُهُورَ ذَلِكَ الْمُهِلِّ الْمُقْمِرِ، لِلِاسْمِ أَنْ يُجْرِيَ الشَّمْسَ الَّتِي هِيَ اسْمُهُ فِي مُدَاوَمَةِ الظُّهُورِ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَحَيْثُ قَوْلُهُ: «فَقَالَ: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾[4]»، هَذَا الْقَوْلُ قَبْلَ ظُهُورِ الْأَوَّلِ بِالْمَهِلِّ، وَكَانَ الِاسْمُ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حِينَ ظَهَرَ الْأَزَلُ بِالْمَهِلِّ، سَمَّاهُ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَتَى فِي الْقَوْلِ أَنَّ الشِّينَ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ، وَالْمُقْمِرُ الْمُهِلُّ مَا أَتَى لَهُ بَيَانٌ؟

(1) الرحمن: 17
(2) الرحمن: 17
(3) المزمل: 9
(4) المزمل: 9

نَقُولُ لَهُ: وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا أَخِي، إِنَّ الْبُرُوجَ وَالْمَنَازِلَ الَّتِي أَحَلَّهَا الْمُبْدِرُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا قِسْمَةٌ فِي الْمَنَازِلِ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ سُمِّيَ الِاسْمُ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ قَبْلَ ظُهُورِ أَزَلِهِ بِالْمَهِلِّ، وَكَانَ الِاسْمُ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَيْسَ كَانَ ظَاهِرًا غَيْرَ، حِينِ ظُهُورِ الْأَزَلِ سَمَّاهُ رَبَّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبَّ الْمَغْرِبَيْنِ، وَقَالَ فِي هَذَا الشَّرْحِ لَمَّا شَاهَدَ الِاسْمَ لِأَزَلِهِ: «فَلَمَّا أَمَدَّ الْأَزَلُ وُجُودَ الظُّهُورِ وَالْغُرُوبِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، شَهِدَ الِاسْمَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّعَبُّدِ لِلْأَزَلِ، وَقَالَ فِي النُّطْقِ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾(1)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي النُّطْقِ إِيجَادُ كُلِّ مَشْرِقٍ وَمَغْرِبٍ غَرَّبَ الْأَزَلُ مُشَرِقَهُ وَمُغْرِبَهُ وَمُبْدِيهِ وَمُظْهَرِهِ، وَإِنَّهُ رَبُّهُ فِي ذَاتِ كَوْنِهِ»، فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِهِ: فَلَمَّا أَمَدَّ الْأَزَلُ وُجُودُ الظُّهُورِ وَالْغُرُوبِ مِنْ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَهِدَ الِاسْمُ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّعَبُّدِ لِأَزْلِهِ، إِذْ ثَبَتَ وَصَحَّ الْقَوْلُ مِنْ السَّيِّدِ أَبِي شُعَيْبٍ أَنَّ السَّيِّدَ الِاسْمَ شَهِدَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّعَبُّدِ لِأَزَلِهِ حِينَ بَدَا الظُّهُورُ مِنْ الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ، فَبِمَ يَكُونُ جَوَابُ مَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ وَعَانَدَ أَوْلِيَائَهُ وَجَهِلَ الْقَوْلَ، وَقَالَ السَّيِّدُ الرَّسُولُ عَزَّ عِزَّهُ: «**مَنْ كَذَّبَنِي كَذَّبَ اللَّهَ فِي عَرْشِهِ وَمَنْ صَدَّقَنِي صَدَّقَ اللَّهَ فِي عَرْشِهِ**».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ بِتَفْرِيقِ صُورَةِ الْمَعْنَى مِنْ صُورَةِ الِاسْمِ لِنَعْلَمَ أَنَّ الِاسْمَ يَشْهَدُ لِأَزْلِهِ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّعَبُّدِ، وَأَنَّهُ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؟

(1) المزمل: 9

نَقُولُ لَهُ: اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ، مَا تَقَدَّمَ بِهِ الشَّرْحُ حِينَ بَدَا الِاسْمُ فِي صِفَةِ الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ، وَظُهُورِ الْأَزَلِ بِهِ، وَبَدَا أَزَلُهُ لِلْإِسْمِ أَنْ يَبْدُوَ لِلأكوَانِ، تَبَيُّنُ الْقَوْلِ يَكُرُّ الِاسْمُ مِائَةَ أَلْفِ كَورٍ لِلْعَرْجُونِ بَعْدَ تَأْبِيدِ الْأَكْوَانِ مِنَ الِاسْمِ وَزَاحَ الِاسْمَ مِنْ صِفَةِ مَعْنَاهُ، وَظُهُورُ الْأَزَلِ لِلْأَكْوَانِ فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ وَظُهُورُ الِاسْمِ فِي الشِّينِ وَهِيَ حَيْثُ قَوْلُهُ: وَأَبَدَا الْأَزَلُ ذَاتُهُ بِغَيْرِ حَرَاكِ أَزَلِهِ، وَلَا حَوْلٍ وَلَا كَوْنٍ، وَبَدَا فِي ظُهُورِهِ الْمُقْمِرُ الْمُبْدِرُ حَتَّى أَوْجَدَ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ وُجُودَ أَزَلِيَّتُهِ وَقِدَمِهِ، فَفُرِّقَتِ الْأَكْوَانُ مِنْ حَيْثُ أَوْجَدَهَا الْأَزَلُ إِنَّهُ مُكَوِّنُ كِيَانِ مُكَوِّنِهَا، وَإِنَّهَا هِيَ مُكَوِّنَاتُ تَكْوِينِهِ فَهَذَا فَرْقُ صُورَةِ الْمَعْنَى مِنْ صُورَةِ الِاسْمِ حِينَ بَدَا الِاسْمُ فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ، وَظَهَرَ الْأَزَلُ بِهِ وَبَدَا كَوْنُ الْأَكْوَانِ يَكْبُرُ مَائَةَ أَلْفِ كَورٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ بَدْرًا، وَيَعُودَ مَائَةَ أَلْفِ كَورٍ لِلْعَرْجُونِ، حِينَ أَزَاحَ الِاسْمَ مِنْ صِفَةِ مَعْنَاهُ، وَظَهَرَ الْأَزَلُ بِمَا أَقْمَرَهُ وَأَبْدَرَهُ، وَوَقَعَ الِانْفِصَالُ صَارَ الْأَزَلُ يَبْدُو لِلْأَكْوَانِ أَسْبُوعَيْنِ بِكَونِ بَدْرٍ وَيَعُودُ أَسْبُوعَيْنِ كَالْعَرْجُونِ، مِنْ أَجَلِ هَذَا الْفِعْلِ فَرَّقَتِ الْأَكْوَانُ الْأَزَلَ إِنَّهُ هُوَ مُكَوِّنُ كِيَانِ مُكَوِّنِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ تَكْوِينِهِ وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي بَدَا كَوْنُهَا، وَمُكَوِّنُ كِيَانِهِ الْأَزَلُ عَلِمَتِ الْأَكْوَانُ أَنَّهَا مِنْ مُكَوِّنَاتِ تَكْوِينِهِ، وَهُوَ الْأَزَلُ مُكَوِّنُ الِاسْمِ، وَالِاسْمُ مُكَوِّنُ كِيَانِ مُكَوِّنِهَا.

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ صِفَةُ النُّجُومِ مِنْ صِفَةِ الشِّينِ لِأَنَّهُمْ مِنْ صِفَةِ الْقَافِ، وَلَمْ يَجُزِ أَنَّ الْأَزَلَ يَجْعَلُ نُورَ الِاسْمِ مِنْ نُورِ النُّجُومِ لِأَنَّهُ فِي بَاطِنِ الْقَوْلِ أَنَّهُ مِنْ نُورِ نُورِهِ، لَكِنَّ تِبْيَانَ الشَّرْحِ حِينَ بَدَا

لِلْأَكْوَانِ كَوْنَ الِاسْمِ نُورًا فِي صِفَةِ أَزَلِهُ الْمُهِلِّ الْمُبْدِرُ، وَزَاحَ الِاسْمَ عَنْ صِفَةِ مَعْنَاهِ، وَظَهَرَ السَّيِّدُ الِاسْمُ بِالنُّورِ الَّذِي اخْتَرَعَهُ مِنْهُ مَعْنَاهُ فِي بُدُوِّهِ فِي صِفَةِ السَّاطِعِ الْمُتَشَعْشِعِ، وَبَدَا الْأَزَلُ فِي الْمُهِلِّ الْمُبْدِرِ لِلْأَكْوَانِ يُغَشِيهَا مِنْ نُورِهِ وَهِيَ الْأُسْبُوعَاتُ الَّتِي يُبْدِي كَوْنَ بَدْرِهِ، وَيَطُوفُ أَسْبُوعَيْنِ عَلَى الْبُرُوجِ وَالْمَنَازِلِ إِلَى أَنْ يَكْسِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ، وَيَعُودَ عُرْجُونًا وَيَبْدُو لَهُمْ مِثْلُ مَا بَدَا فِي الْأَوَّلِ، وَنَحْنُ قَدْ أَتَيْنَا فِي بَيَانِ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ كِتَابِ الْأَكْوَارِ، وَأَوْضَحْنَا سُجُودَ الْبَابِ فِي الشَّرْحِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ سُجُودَ الْبَابِ تَقَدَّمَ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْبَرَ الشَّرْحَ؟

فَنَقُولُ: اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ، إِنَّا قَدْ نَصَصْنَا عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ هَذَا الْكِتَابِ فَوَجَدْنَا، بَدَا الْقَوْلَ أَنَّ سُجُودَ الْبَابِ مُؤَخَّرٌ وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ، وَهَذَا يَنْبَغِي عِنْدَ أَهْلِ الْكُتُبِ فِي بَحْثِ الْعُلُومِ، أَنْ يُبْدُو الْأَجْوِبَةَ مُؤَخَّرًا، وَهِيَ تَكُونُ مُتَقَدِّمَةَ لِأَجْلِ بَيَانِ الْمَعَانِي عَنْ أُصُولِهَا، وَيَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَأَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ أَوَّلَ بَدْوِهِ فِي ظُهُورَاتِ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ، أَتَى فِي الْقَوْلِ مُجْمَعًا مُجْمَلًا، وَهُوَ حَيْثُ قَوْلِهِ: «حِينَ ظَهَرَ الْأَزَلُ لِلْأَكْوَانِ، فَرَأَتْهُ أَنَّهُ هُوَ مُكَوِّنُ كَيَانِ مُكَوِّنِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ تَكْوِينِهِ، فَكَانَتْ فِي ظُهُورَاتِ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ لِلْأَكْوَانِ أَلْفُ أَلْفِ ظُهُورٍ وَخَمْسُمَائَةِ أَلْفِ ظُهُورٍ، وَكُلُّ ظُهُورٍ أَلْفُ أَلْفِ كَورٍ وَخَمْسُمَائَةِ أَلْفِ أَلْفِ كَورٍ» بَعْدَ عَدَدِ الظُّهُورَاتِ عَادَ بِهِ أَوَّلُ الشَّرْحِ أَوَّلُ بِدْؤُهُ فِي الشَّرْحِ عَنْ الْأَكْوَانِ مِنْ حَيْثُ كَيْفَ وَافَقَهُمْ الْبَابُ بَيْنَ يَدَيْ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ فِي وَقْتِ

الظُّهُورِ، حَتَّى عَلِمُوا حَقِيقَةَ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ، وَسُؤَالُ الْإِسْمِ لَهُمْ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾(١)، وَجَوَابُهُ لَهُمْ ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾(٢)، وَظُهُورُ الْمَعْنَى وَالْإِسْمُ فِي النَّيِّرَيْنِ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَذِكْرُهُمْ فِي الْغُرُوبِ وَالشُّرُوقِ، بَعْدَ هَذَا الشَّرْحِ إِلَى أَنْ ذَكَرَ الْأَزَلَ أَمَدَّ الِاسْمَ يُوقِعُ فِي الِاخْتِبَارِ لِلْبَابِ فِي الظُّهُورِ لَهُ بِكُلِّيَّةِ الْكَوْنِ الَّذِي كَوَّنَهُ بِهِ أَزَلُهُ، وَهُوَ حَيْثُ قَالَ عَنْ سُجُودِهِ لَهُ، وَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي الْحَيْثِ مِنْ التَّكْوِينِ الَّذِي كَانَ هُوَ فِيهِ بِذَاتِهِ، الَّتِي أَدْنَاهُ بِهَا الْأَزَلُ عِنْدَ إِيقَاعِ اسْمِهِ عَلَيْهِ، فَجَلَّ لَهُ الْبَابَ وَعَظَّمَهُ، وَهُمْ فِي السُّجُودِ لَهُ، فَغَيَّبَ الِاسْمَ عَنْ سُجُودِهِ خَوْفًا أَنْ يَكُونَ يُشْرِكُ فِي الْأَزَلِ فِي التَّعَبُّدِ، فَلَمَّا غَيَّبَ ذَاتَهُ عَنْ كَوْنِ الشَّمْسِ الَّتِي هِيَ اسْمُهُ، فَلَمَّا حَبَسَهُ أَبَدًا بِالسُّجُودِ لَهُ، فَقَدْ جَاءَ فِي النُّطْقِ فِي الْقُبَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣).

فَانْظُرْ يَا أَخِي أَوَّلَ الْقَوْلِ بِمَا تَقَدَّمَ، وَانْظُرْ إِلَى آخِرِ الْقَوْلِ إِنَّ الْأَكْوَانَ رَأَتْ الْأَزَلَ أَنَّهُ مُكَوِّنُ كِيَانِ مُكَوِّنِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ تَكْوِينِهِ، وَالْبَابُ أَوْقَفَهُمْ بَيْنَ يَدَيِ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ إِلَى آخِرِ الشَّرْحِ، مِنْ أَيْنَ يَكُونُ فِي آخِرِ هَذَا الْقَوْلِ حَتَّى بَدَا الْأَزَلُ لِلْإِسْمِ أَنْ يُخْبِرَ الْبَابَ فِي كُلِّيَّةِ كَوْنِ الِاسْمِ الَّذِي كَوَّنَهُ أَزَلَهُ بِهِ، وَسُجُودَهُ مِنْ غَيْرِ أَنَّهُ فَرَّقَ الْمَعْنَى مِنْ الِاسْمِ، فَإِذَا ثَبَتَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، يَفْسُدُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

(1) غافر: 16
(2) غافر: 16
(3) المائدة: 116

أَوَلُهُمْ بَعْدَمَا عَرَفَ الْبَابُ الْمَعْنَى وَالِاسْمَ، فَيَكُونُ وَقَعَ فِي التَّيهِ وَالْحَيْرَةِ وَالْغَلَطِ، وَلَيْسَ فَرَّقَ شَيْئًا مِنْ شَيءٍ إِلَى أَنْ دَلَّهُ الِاسْمُ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: الْبَابِ مَا اخْتُبِرَ فِي كُلِّيَّةِ كَوْنُ الَّذِي كَوَّنَهُ بِهِ اسْمَهُ، إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلَيْسَ أَنْهُ فَرَّقَ الْمَعْنَى مِنْ الِاسْمِ، فَتَكُونُ الْأَكْوَانُ فَرَّقَتْ الْمَعْنَى مِنْ الِاسْمِ قَبْلَ الْبَابِ مِنْ حَيْثُ قَدَّمَ الْبَابُ الْقَوْلَ، أَنَّهَا عَلِمَتْ الأَكْوَانَ وَفَرَّقَتْ الْأَزَلَ أَنَّهُ مُكَوِّنُ كِيَانِ مُكَوِّنِهَا، وَأَنَّهَا هِيَ مِنْ مُكَوِّنَاتِ تَكْوِينِهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ هَذَا مِنْ إِجْلَالِهِ وَكِبْرِيَائِهِ وَعَظَمَتِهِ أَعْطَاهَا الْأَزَلُ لِلْاِسْمِ حَتَّى لَيْسَ الْبَابُ فَرَّقَ الْمَعْنَى مِنْ الِاسْمِ.

لِقَوْلِهِ: لَيْسَ أَتَى الْقَوْلَ أَنَّ غِيبَةَ الصِّفَةِ لِإِجْلَالِهِ، بَلْ أَتَى الْقَوْلَ أَنَّهُ غَيَّبَتِ الذَّاتَ كُلُّهَا، وَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَهُ دَفْعٌ لِأَنَّهُ ثَبَتَ الْقَوْلُ أَنَّ سُجُودَ الْبَابِ عِنْدَ الِانْفِصَالِ كَمَا تَقَدَّمَ الشَّرْحُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّ الْيَوْمَ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ سِنِيِّنَا وَأَسْبُوعَانِ مِنْ أَيَّامِنَا خِلَافٌ عَمَّا أَتَى فِي الْقَوْلِ مِنَ الشَّرْحِ الْأَوَّلِ.

نَقُولُ: اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ، إِنَّ الْقَوْلَ الَّذِي أَتَى فِي الْيَوْمِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، هَذِهِ أَكْوَانٌ نُورَانِيَّةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَوْنُ التُّرَابِيُّ الْبَشَرِيُّ الطِّينِيُّ الْآدَمِيُّ، مِنْ حِينِ كَانَ الْمَعْنَى وَالِاسْمُ ظَاهِرًا لِلْأَكْوَانِ كَهَيْئَتِهِمْ، وَهِيَ قَوْله

تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] وقَوْله تَعَالَى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[2] وَقَدْ اسْتَحَقَّ لَهُمْ الظُّهُورَ، ظُهُورُ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ بِالْيَوْمِ الَّذِي مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ جِهَةٍ لَمْ تَتَغَيَّرْ أجْرَامُهُمْ، وَلَا تَبِيدُ وَلَا تَتَلَاشَى، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهَا فَنَاءٌ كَمَا يَجْرِي عَلَى الْكَوْنِ التُّرَابِيِّ الطِّينِيِّ، جَعَلَ الْبَارِي طُولَ أَيَّامِهَا عَلَى هَيْئَةِ سَنْحِ أَجْرَامِهَا، وَجَعَلَ أَيَّامَ الْكَوْنِ التُّرَابِيِّ الْبَشَرِيِّ الطِّينِيِّ لِآدَمَ قَصِيرَةً، لِانَّ كَوْنَ أهْلِهَا كَوْنُ الْفَنَاءِ.

(1) الحج: 47
(2) المعارج: 4

الْبَابُ الْعَاشِرُ
فِي مَعْرِفَةِ الِاحْتِجَاجِ فِي وُجُودِ الصُّورَتَيْنِ الْبَشَرِيَّةِ وَالنُّورَانِيَّةِ أَنَّهُمَا وَاحِدَةٌ

اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ يَا أَخِي أَنَّ الْمَوَالِيَ وَالشُّيُوخَ الثِّقَاتِ نَصُّوا عَلَى مَعْرِفَةِ وُجُودِ الصُّورَةِ النُّورَانِيَّةِ، أَنَّهَا هِيَ الصُّورَةُ الظِّلِّيَّةُ الْخَيَالِيَّةُ، وَهِيَ الصُّورَةُ الَّتِي ظَهَرَ بِهَا الْمَعْنَى فِي الْقِبَابِ الذَّاتِيَّةِ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا إِحْصَارٍ، شَاكَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْآدَمِيِّينَ بِالْجِنْسِ وَالْمَنْظَرِ، وَبَايَنَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ وَالْجَوْهَرِ، وَهَذَا مِمَّا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الزَّاهِرِيُّ فِي كِتَابِ "الْأَنْوَارِ وَالْحُجُبِ" فِي رِوَايَتِهِ عَنْ الْعَالِمِ عَزَّ عِزّهُ وَقَوْلُهُ: «**مَثَلُ الْقُرْصِ كَذَاتِهِ، وَمَثَلُ الشُّعَاعِ كَحُجُبِهِ، وَمَثَلُ الْهِلَالِ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، كَمَثَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ عِنْدَ الْعَارِفِينَ**» وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْحَبَلَ وَالْوِلَادَةَ وَالتَّرْبِيَةَ وَالنُّشُوءَ وَالْعَجْزَ، وَالْكُلُّ قُدْرَةٌ.

وَفِي الْجُزْءِ الثَّانِي: «**إِنَّ الْعَجْزَ مِنَ الْقَادِرِ قُدْرَةٌ**» قُلْتُ: «سَيِّدِي أَخْبِرْنِي عَنْ ظُهُورَاتِهِ النُّورَانِيَّةِ؟» قَالَ: «**هِيَ مِحْنَةٌ امْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا خَلْقَهُ، وَإِنَّمَا الْهِلَالُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ عَلَى مِقْدَارِكَ وَالشَّكُّ فِيكَ لَا فِيهِ**».

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ السَّيِّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخُصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ فِي رِسَالَتِهِ "الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالْمُرْسَلِ" بِرِوَايَتِهِ عَنْ جَابِرِ ابْنِ يَزِيدَ الْجُعْفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ جَابِرٌ: «سَأَلْتُ مَوْلَايَ الْبَاقِرَ عَزَّ عِزّهُ عَنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾[1]» فَقَالَ الْبَاقِرُ عَزَّ عِزّهُ: «**لَا يَنْبَغِي لِلرَّسُولِ أَنْ يُدْرِكَ الْمُرْسِلَ**».

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الشَّابُّ الثِّقَةُ أَبُو سَعِيدٍ مَيْمُونُ بْنُ الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ بِرِوَايَتِهِ عَنْ الشَّيْخِ الثِّقَةِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَلِيُّ، قَالَ: «سَأَلْتُ شَيْخِي وَسَيِّدِي الْحُسَيْنَ بْنَ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيَّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ عَنْ الْقَمَرِ مَا بَالُهُ يَكْبُرُ وَيَصْغُرُ؟» قَالَ الْخَصِيبِيُّ: «اِعْلَمْ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ، إِنَّ ظُهُورَ الْقَمَرِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ، كَظُهُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الطُّفُولِيَّةِ، ظُهُورُهُ كَظُهُورِهِ، وَغَيْبَتُهُ كَغَيْبَتِهِ».

فَانْظُرْ يَا أَخِي فِي هَذِهِ الشَّوَاهِدِ الْأَصْلِيَّةِ، وَالْحُجَجِ الدَّامِغَةِ، الَّتِي تَقْصُرُ عَنْ حَالَتِهَا الْحِرْفَةُ، وَتُثْبِتُ لِمَنْ تَحَقَّقَهَا الْمَعْرِفَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ صَفْوَةِ اللَّهِ وَأَحِبَّائِهِ، الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى كُلِّ تُحْفَةٍ، وَأَوْرَدُونَا إِلَى كُلِّ طَرَفَةٍ كَيْفَ أَكَّدُوا فِي رُمُوزِهِمْ وَإِشَارَاتِهِمْ أَنَّ وُجُودَ الصُّورَةِ الظِّلِّيَّةِ دَلَالَةٌ عَلَى وُجُودِ الصُّورَةِ النُّورَانِيَّةِ، الَّتِي ظَهَرَ بِهَا الْبَارِي بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، ظُهُورُهُ كَظُهُورِهِ وَغَيْبَتُهُ كَغِيْبَتِهِ، اُنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الْعَالِمِ فِي كِتَابِ "الْحُجُبِ

(1) يس: 40

وَالْأَنْوَارِ" وَإِلَى مَا نَقَلَ الْخُصِيبِيُّ بِرِوَايَتِهِ عَنْ الْبَاقِرِ، وَمَا رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ عَنْ شَيْخِهِ الْجَلِيِّ عَنْ شَيْخِهِ الخَصِيبِيُّ فِي الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ عَنْ صُورَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِلْعَوَالِمِ الْبَشَرِيَّةِ، هِيَ الصُّورَةُ النُّورَانِيَّةُ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِلْمَلَائِكَةِ وَالْعَوَالِمِ النُّورَانِيَّةِ مِنْ غَيْرِ تَجَزِّي، وَانْظُرْ كَيْفَ رَأَوْا الْعَجْزَ فِي الْحَالَيْنِ وَالظُّهُورَيْنِ.

مِنْهَا مَا رَوَاهُ عَنْ السَّيِّدِ الرَّسُولِ عَزَّ عِزّهُ إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْجَيْشُ مُحْدِقٌ، فَقَالَ لَهُ: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اِرْكَبْ لِأَنَّ الْجَيْشَ عَلَى الْمَسِيرِ**» فَقَالَ لَهُ: «**أَنَا أَرْمَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ**» فَتَفَلَ الرَّسُولُ فِي عَيْنَيْهِ فَأَبْرَأَهُ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ فِي غُزَاةِ عَمْرو بْنِ وِدٍّ الْعَامِرِيِّ فَرَأَوْهُ أَنَّهُ ضَرَبَهُ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ، وَمِثْلُهُ مَا رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجِمٍ حِينَ أَوْرَى الْغِيبَةَ عَلَى يَدِهِ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً أَوْرَى مَوْلَانَا بِهَا الْعَجْزَ دُونَ الْمُعْجِزَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَأَمَّا الْمُعْجِزُ الَّذِي رَأَوْهُ مِنْهُ وَعَايَنُوهُ، مِنْ بَعْضِهَا يَوْمَ بَدْرٍ بَعْدَ أَنْ هَمَّتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ وَمَا نَالَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُرَادًا مِنْ الْقَتْلِ، نَادَى الشَّمْسَ، وَأَوْمَأ بِيَدِهِ أَنْ عُودِي إِلَى عَصْرِكَ، فَعَادَتْ إِلَى وَقْتِ عَصْرِهَا حَتَّى قَتَلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. وَمِثْلُهُ لَمَّا فَتَحَ صَنعَاءَ الْيَمَنِ، وَقَوْلُ أَصْحَابِهِ لَهُ: «يَا مَوْلَانَا قَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ نُصَلِّ

الْعَصْرَ» فَنَادَاهَا عَزَّ عِزّهُ: «**عُودِي إِلَى وَقْتِ عَصْرِكَ**» فَعَادَتِ الشَّمْسُ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ، فَصَلَّى بِهِمْ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ ثُمَّ غَرَبَتْ.

وَمِثْلُ فَتْحِهِ الْجَبَلَيْنِ جَبَلُ الْأَحْمَرِ وَجَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ، حِينَ بَسَطَ رَاحَتَهُ عَلَيْهَا، وَهُمَا يَتَزَعْزَعَانِ وَيَفْتَرِقَانِ إِلَى أَنْ كَانَتْ فُسْحَتُهُمَا عَنْ بَعْضِهِمَا مَائَةً وَسِتُّونَ ذِرَاعًا، وَوَقَفَ أَهْلُ قُرَيْشٍ عَلَى حُدُودِهِما.

وَمِثْلُ هَذَا مَا لَوْ أَطَلْنَا لَطَالَ الْخِطَابُ وَاتَّسَعَ بِهِ الْكِتَابُ، وَمَحَلُّ الَّذِي أَظْهَرَ هَذِهِ الْمَعَاجِزَ، بَطُلَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ عَنْهُ الْعَجْزُ، وَصَحَّ عِنْدَ الْعَارِفِينَ أنَّ الْقَادِرَ لَيْسَ بِعَاجِزٍ، وَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمُ أَنَّ الْعَجْزَ مِنَ الْقَادِرِ قُدْرَةٌ، لِأَنَّ الْقَادِرَ قَادِرٌ أَنْ يُظْهِرَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَجْزَ، وَالْعَاجِزُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ قُدْرَةً، كَذَلِكَ فِي النُّورَانِيَّةِ عَلَى أعْيُنِ الْخَلْقِ، يَظْهَرُ كَصُورَةِ الطِّفْلِ وَلَمْ يَزَلْ يَرْبُو وَيَنْشَأُ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي الْكَمَالِ، تَحُفُّ بِهِ الْكَوَاكِبُ فِي صِفَةِ الْبَطْشِ الشَّدِيدِ ذُو الْقُوَّةِ الْعَمِيدِ، ثُمَّ يَحِيدُ عَنْ صِفَتِهِ وَيَبْدُو بِهِ الضَّعْفُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَرْجُونًا، فَهَذِهِ رُؤْيَةُ الْعَجْزِ مِنْهُ بِالنُّورَانِيَّةِ، وَهِيَ تَلْبِيسٌ عَلَى الْخَلِيقَةِ، وَهِيَ عِنْدَ الْمُحِقِّينَ لَيْسَتْ بِعَجْزٍ بَلْ هِيَ كَمَالٌ كَمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ.

وَالرِّوَايَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الزَّاهِرِيِّ فِي كِتَابِ "الْحُجُبِ وَالْأَنْوَارِ" بِرِوَايَةٍ عَنْ الْعَالِمِ عَزَّ عِزّهُ وَقَوْلُهُ: «**مَثَلُ الْقُرْصِ كَذَاتِهِ، وَمَثَلُ الشُّعَاعِ كَحُجُبِهِ، وَمَثَلُ الْهِلَالِ فِي الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، كَمَثَلِ أَمِيرِ**

الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ» وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْأَرْضِ الْحَمْلَ وَالْوِلَادَةَ وَالتَّرْبِيَةَ وَالنُّشُوءَ وَالْعَجْزَ، وَكُلُّ قُدْرَةٍ تَتْلُو فِي الْجُزْءِ الثَّانِي أَنَّ الْعَجْزَ مِنَ الْقَادِرِ قُدْرَةٌ. قُلْتُ: «سَيِّدِي أَخْبِرْنِي عَنْ الظُّهُورَيْنِ فِي النُّورَانِيَّةِ» فَقَالَ: **«مِحْنَةٌ امْتَحَنَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، وَإِنَّمَا الْهِلَالُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَإِنَّمَا تَرَاهُ عَلَى مِقْدَارِكَ وَالشَّكُّ فِيكَ لَا فِيهِ»** وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ الْعَالِمِ عَزَّ عِزّهُ أَنَّهُ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ ظَهَرَ فِي صُورَةِ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، ثُمَّ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْمُؤَنَّقِ مَفْتُولِ السِّبَالِ رَاكِبٍ عَلَى أَسَدٍ مِنْ نُورٍ بِهَيْئَةِ الْغَضَبِ، وَظَهَرَ مِنَ الطِّفْلِ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، وَمِنَ الشَّيْخِ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، وَمِنَ الشَّابِّ عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، فَلَمَّا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمُ الصُّوَرُ وَلَمْ تَخْتَلِفْ عَلَيْهِمُ الْقُدَرُ فَقَالُوا: اِظْهَرْ بِمَا شِئْتَ، كَيْفَ شِئْتَ، أَنْتَ أَنْتَ، لَا شَكَّ فِيكَ»** فَكَانَ اِخْتِلَافُ الصُّوَرِ عَلَيْهِمْ بِظُهُورِهِ بِصُورَةِ الطِّفْلِ وَالشَّابِّ وَالشَّيْخِ.

وَأَمَّا الْقُدَرُ الَّتِي لَيْسَتْ تَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ هِيَ طَوَافُهُ عَلَى الْمَنَازِلِ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ عَلَيْهِمْ قُدْرَتُهُ فِي حَالِ الطَّوَافِ فِي أَيِّ صُورَةٍ كَانَ ظَاهِرًا فِيهَا فَلِأَجْلِ ذَلِكَ قَالَ: **«اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمُ الصُّوَرُ وَلَمْ تَخْتَلِفْ عَلَيْهِمُ الْقُدَرُ»** وَاخْتِلَافُ الصُّوَرِ فِي الْكِبَرِ وَالصِّغَرِ كَظُهُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَجْزِ دُونَ الْمُعْجِزِ، وَأَنَّ هَذَا الْعَجْزَ الَّذِي فِي الصُّورَتَيْنِ فِي عَيْنِ الْخَلِيقَةِ هُوَ قُدْرَةٌ مِنْ قَادِرٍ عِنْدَ الْمُحِقِّينَ، لِأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى الْمُعْجِزِ، قَادِرٌ أَنْ يُظْهِرَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَجْزَ، وَالْعَاجِزُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ لَا عَجْزًا وَلَا مُعْجِزًا

مَثَلُهُ كَمَثَلِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْبَشَرِ يَقْدِرُ أَنْ يُظْهِرَ عَلَى نَفْسِهِ الْفَقْرَ وَالدُّرُوشَةَ وَأَيُّ حَالَةٍ أَرَادَ أَنْ يَتَزَيَّا بِهَا مِنْ أَصْنَافِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، لَمْ يَعْجِزْ أَنْ يَتَزَيَّا بِهَا، وَالْعَاجِزُ الضَّعِيفُ مِنْ أَحَدِ الْخَلِيفَةِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَزَيَّا إِلَّا بِمَا فِيهِ، لِمِثْلِ هَذَا قِيلَ أَنَّ الْعَجْزَ مِنْ الْقَادِرِ قُدْرَةٌ.

فَأَمَّا إِظْهَارُ قُدْرَتِهِ فِي الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ، فَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ مِنْ مَعَاجِزِهِ، مِثْلُ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَإِنْطَاقِ الْبُكْمِ وَالْجَنِينِ، وَإِبْرَائِهِ الْأَجْذَمَ وَالْأَبْرَصَ، وَقِيَامُهُ الْمُقْعَدَ، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ مِنْ مَعَاجِزِهِ الْأَرْضِيَّةِ وَمِنْ الْمَعَاجِزِ السَّمَاوِيَّةِ، مِثْلُ رَدِّ الشَّمْسِ، وَطَيِّ السَّمَاءِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ وَمِثْلُهُ مَا لَوْ أَطَلْنَا بِهِ لَطَالَ بِهِ الْخِطَابُ وَاتَّسَعَ بِهِ الْكِتَابُ، وَكَذَلِكَ ظُهُورُهُ بِالنُّورَانِيَّةِ وَفِعْلُهُ مَعَ عَالَمِ النُّورِ لَيْسَ كَفِعْلِ جَمِيعِ الْأَنْوَارِ السَّمَاوِيَّةِ مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ الْفَلَاسِفَةَ وَالْمُنَجِّمِينَ وَأَصْحَابَ الزَّايْرِجَاتِ(١) وَالتَّقْوِيمِ اجْتَهَدُوا عَلَى مَعْرِفَةِ مَسِيرِ الْكَوَاكِبِ وَتَقْدِيرِهَا، وَحَقَّقُوا عَلَى عِرْفَانِهَا، وَأَحْصُوا مِقْدَارَ سَيْرِهَا أَيَّامًا وَشُهُورًا وَسِنِينَ وَأَلْقَافَ، مَا قَدَرُوا عَلَى تَقْدِيرِ مَسِيرِهِ بِمِقْدَارٍ، إِلَّا أَنَّهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ يَطُوفُ الْبُرُوجَ الْإِثْنَي عَشَرَ، وَالْمَنَازِلَ الثَّمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ، وَيَزِيدُهُمْ وَلَا يَزْدَادُ مِنْهُمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ عَنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾(٢)، وَقَوْلُ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْبَاقِرِ عَزَّ عِزَّهُ: «يَا مَوْلَايَ مَا مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي

(1) عِلمٌ خفيٌّ يتعلقُ بالرملِ
(2) يس: 40

لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾[1]» قَالَ الْبَاقِرُ: «**لَا يَنْبَغِي لِلرَّسُولِ أَنْ يُدْرِكَ الْمُرْسِلَ**».

وَمِثْلُهُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ الْمَعَادِنِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْقَصْدِيرِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ، كُلُّ مَعْدِنٍ إِذَا لَمَسَ الْأَعْلَى مِنْهُ يَكْتَسِبُ الْأَدْنَى مِنَ الْأَعْلَى، وَأَمَّا الْجَوْهَرُ النَّفِيسُ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَعَادِنِ وَأَجَلُّهَا مِقْدَارًا، فَإِنَّ جَمِيعَ الْمَعَادِنِ إِذَا لَمَسَتْهُ تَكْتَسِبُ مِنْهُ وَتَزْدَادُ مِنْهُ، وَهُوَ لَمْ يَزْدَدْ مِنْ أَحَدِهَا.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ وَاحْتَجَّ عَلَيْنَا مُحْتَجٌّ أَنَّ مَوْلَانَا الْعَيْنَ عَزَّتِ آلْاؤهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ بِإِلَاهِيَتِهِ فِي قَوْلِهِ بِالْخُطَبِ الْمَشْهُورَةِ مِثْلُ قَوْلِهِ عَزَّ عِزُّهُ: «**أَنَا رَفَعْتُ سَمَائَهَا، وَسَطَحْتُ أَرْضَهَا، وَأَرْسَيْتُ جِبَالَهَا، وَأَطْلَعْتُ شَمْسُهَا، وَأَنَرْتُ قَمَرَهَا**» وَمِثْلُهُ مَا لَمْ يُحْصَ، فَمَا بَالُ الْقَافِ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ أَشَارَ مُخْبِرًا عَنْ حَالِهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ وَالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

نَقُولُ لَهُ: اِعْلَمْ وَفَّقَكَ اللَّهُ أَنَّهُ دَلَّتْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ أَفْعَالُ قُدْرَتِهِ مَعَ الْعَوَالِمِ النُّورَانِيَّةِ، وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ فِي كُتُبِ مَوَالِينَا، أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُمْ بِصُورَةِ الطِّفْلِ وَالشَّابِّ وَالشَّيْخِ، وَأَرَاهُمْ مِنَ الطِّفْلِ عِلْمًا وَقَدَرًا وَمِنَ الشَّابِّ عِلْمًا وَقَدَرًا، وَمِنَ الشَّيْخِ عِلْمًا وَقُدَرًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ

---

(1) يس: 40

إِنَّهُ لَمَّا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمُ الصُّوَرُ وَلَمْ تَخْتَلِفْ عَلَيْهِمُ الْقُدَرُ قَالُوا: «اِظْهَرْ بِمَا شِئْتَ، كَيْفَ شِئْتَ، أَنْتَ أَنْتَ» وَلَوْ كَانَتْ عَوَالِمُ الْبَشَرِ تَفْهَمُ مِنْ عَالَمِ النُّورِ، لَمَا[1] كَانَ أَحَدٌ مِنْ عَالَمِ الْبَشَرِ مُحْتَاجًا لِظُهُورِهِ فِيهِمْ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُ الْجِنْسُ إِلَّا مِنْ جِنْسِهِ، وَلَا تَفْهَمُ أَهْلُ كُلِّ لُغَةٍ إِلَّا عَنْ لُغَتِهَا، وَأَمَّا الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِي الْحَالَيْنِ وَالظُّهُورَيْنِ، فَهُوَ تَلْبِيسٌ وَتَخْيِيلٌ عَلَى أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ وَالْإِصْرَارِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَمْرُهُ، وقَوْلُهُ تَعَالَى فِي بَعْثِهِ لِلرُّسُلِ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾[2]، وَعِنْدَ كُلِّ الْفِرْقَةِ الْخَصِيبِيَّةِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَوْجَدَهُمْ بِالرِّسَالَةِ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ الْحُجَّةِ، كُلُّهُمُ اِسْمٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْمِيمُ عَزَّ عِزّهُ، وَهُوَ نُورٌ لَا جِسْمٌ، اخْتَرَعَهُ مَعْنَاهُ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ، وَأَمَّا لِاحْتِيَاجِ عَالَمِ الْبَشَرِ الطِّينِيِّ، يَبْعَثُ لَهُمُ الرُّسُلَ عَلَى هَيْئَتِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ، لِيَفْهَمَ كُلُّ جِنْسٍ عَنْ جِنْسِهِ، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[3]، وَكَذَلِكَ كَانَ السَّيِّدُ الرَّسُولُ عَزَّ عِزّهُ إِذَا ظَهَرَتْ مِنْ مَوْلَانَا الْعَيْنُ عَزَّتْ آلَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ قُدَرٌ، يَمْكُرُ بِهَا الرَّسُولُ عَلَى أَهْلِ الْجُحُودِ، لِيَسْتُرَ بِهَا رُبُوبِيَّتَهُ عَنْ مُنْكِرِهَا، مِنْهَا مَا رُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ عَزَّ عِزّهُ وَمَا رَأَوْهُ مِنْهُ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْحَيْرَةِ لَمَّا أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ أَنْ يَهُزَّ الْحِصْنَ، فَغَضِبَ الرَّسُولُ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ وَلَمَّا هَزَّهُ ودَحَى بِهِ حَتَّى غَابَ عَنْ أَعْيُنِ الْخَلْقِ، تَبَسَّمَ الرَّسُولُ حَتَّى

---

(1) وردت (ولما) في المخطوطة
(2) الأنعام: 9
(3) إبراهيم: 4

بَانَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالُوا لَهُ مَنْ حَوْلَهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَا مِنْكَ الْعَجَبَ!» فَقَالَ لَهُمْ: «**وَمَا الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ؟**» فَقَالُوا: «حِينَ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَهُزَّ الْحِصْنَ، بَانَ مِنْ وَجْهِكَ كَآبَةُ الْغَضَبِ، وَحِينَ هَزَّهُ وَدَحَاهُ إِلَى فَوْقٍ تَبَسَّمْتَ ضَاحِكًا» فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ عَزَّ عِزّهُ: «**لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَهُزَّهُ فَتَوَهَّمْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ لَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَا نَالَ بِهَا زَادًا، فَلَمَّا هَزَّهُ وَدَحَاهُ قُلْتُ فِي نَفْسِي لَوْ لَمْ يَكُنْ جَائِعًا لَقَلَعَ الْحِصْنَ مِنَ الْأَرْضِ**» وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا لَا عِدَّةَ لَهُ، كَانَ يَسْتُرُ بِهِ رُبُوبِيَّتَهُ عَنْ الْجَاحِدِينَ الْمُنْكِرِينَ.

الْبَابُ الْحَادِيَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ الظُّهُورِ الْخَفِيِّ عَنْ أَعْيُنِ الْمَمْزُوجِينَ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ قَوْلَ مُوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَزَّ عِزّهمُ فَوَجَدْنَا أَنَّ الْبَارِي عَزَّ عِزّهُ لَهُ ظُهُورٌ خَفِيٌّ مِنْ غَيْرِ ظُهُورِهِ فِي الصُّورَتَيْنِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، فَلَمَّا عَلِمْنَاهُ اجْتَهَدْنَا عَلَى بَيَانِ مَعْرِفَتِهِ، لِيَعْلَمَ الإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ، وَمُطَّلِعٌ عَلَى سَرِيرَتِهِ، وَيَسْتَيْقِنَ الْخَلْقُ فِي ظُهُورِهِ.

فَاذَا قَالَ قَائِلٌ: مِنْ أَيْنَ اتَّضَحَ لَكُمْ أَنَّ الْبَارِيَ لَهُ ظُهُورٌ مِنْ غَيْرِ هَذَيْنِ الظُّهُورَيْنِ؟

نَقُولُ لَهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ عَلَى لِسَانِ الْحِجَابِ الْكَرِيمِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]. وَقَالَ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ:

أَنْتَ فَوْقَ السَّمَا عَلَى الْعَرْشِ تَعْلُو   أَنْتَ فِي الْأَرْضِ حَاضِرٌ لِلْكَلَامِ

أَيْضًا يَقُولُ الدَّاعِي فِي دُعَائِهِ: يَا مَنْ هُوَ حَاضِرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَنَاطِقٌ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى رَدِّ سُؤَالِ تُرْجُمَانٍ.

(1) المجادلة: 7

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا الظُّهورُ لَمْ تُدْرِكْ الْخَلْقُ هَيْئَةَ كَمَالِهِ.

نَقُولُ لَهُ: لَمْ تُدْرِكْ الْخَلْقُ إِلَّا أَجْسَامًا كَهَيْئَتِهَا، لِأَنَّ لَا يَفْهَمُ كُلُّ جِنْسٍ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ، وَهَذَا الظُّهُورُ لَيْسَ مُمَثَّلًا بِهَيْئَةِ عَالَمِ النُّورِ وَلَا بِهَيْئَةِ عَالَمِ الْبَشَرِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ السَّيِّدُ حَمْزَةُ بْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِيُّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى "بِحُجَّةِ الْعَارِفِ" بِرِوَايَتِهِ عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَخْلُو كُلُّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ وَعَصْرٍ وَأَوَانٍ مِنْ مَعْنًى مَوْجُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَبَابٍ مَقْصُودٍ**» وَهَذَا عَصْرٌ لَمْ نَجِدْ مِمَّا قَالَهُ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ، لَكِنْ أَرَادَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْخَلْقَ مَا دَامُوا فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ مَعْنًى وَاِسْمٌ وَبَابٌ وَظِلٌّ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ، وَقَدْ عَرَّفْتُكَ أَيْضًا إِنَّ الظُّهُورَ وَالْغِيبَةَ لَيْسَ هُمَا بِحَرَكَةِ اِنْتِقَالٍ يَخْلُو مِنْ حَيِّزٍ وَيَشْغَلُ حَيِّزًا مِثْلَهُ، وَلَكِنَّهُ جَازَ فِي دَلِيلِ الْعَقْلِ إِنَّهُ لَمَّا حَجَبَ أَبْصَارَنَا عَنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ، وَأَوْرَانَا صُورَةً آكِلَةً شَارِبَةً يَدْخُلُ عَلَيْهَا الْأَعْرَاضُ، وَهُوَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ يَحْجُبَ أَبْصَارَنَا فَلَا يُرِينَا هَذَا الظُّهُورَ وَهُوَ مَوْجُودٌ فِي الْحَقِيقَةِ، فَدَلَّ قَوْلُ حَمْزَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنَّ الْخَلْقَ مَا دَامُوا فِي الْأَجْسَامِ، لَمْ يَرَوْا هَذَا الظُّهُورَ، لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ كُلُّ جِنْسٍ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ، وَمَتَى خَلُصُوا مِنْ كَثَافَاتِ الْأَبْدَانِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ هَذَا الظُّهُورَ» وَهَذَا جَاءَ ذِكْرُهُ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ أَهْلِ الْإِجَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْكَارِ.

الْبَابُ الثَّانِيَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ كَشْفِ الظُّهُورِ الْمَخْفِيِّ، وَبَيَانِهِ إِلَى الْخَلْقِ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّهُ قَدْ أَخْبَرَتْنَا كُتُبُ مَوَالِينَا الْمُتَقَادِمِينَ، وَأَخْبَارُ عُلَمَائِنَا الْمُوَحِّدِينَ، إِنَّ الْبَارِي عَزَّ شَأْنُهُ ظُهُورَهُ بَيْنَ خِلْقَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ حُجِبَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ، فَيَجِبُ أَنْ نَسْتَدِلَّ عَلَى هَذَا الظُّهُورِ مَتَى يَكُونُ كَشْفَةً بِالشَّوَاهِدِ الْوَاضِحَةِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، الْفَارِقِ بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَمِمَّا جَاءَتْ بِهِ أَخْبَارُ الْمُوَحِّدِينَ، وَمِمَّا أَوْضَحَهُ لَنَا شَيْخُ الدِّيَانَةِ وَمَعْدِنُ الْأَمَانَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ، وَهُوَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ خَلْقَهُ، قَوْلِهِ فِي الْكِتَابِ عَلَى لِسَانِ الْحِجَابِ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾(١)، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا﴾(٢)، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ۝ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾(٣)، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾(٤) أَيْ مَتَى يَكُونُ وُقُوعُهَا، قَالَ الرَّسُولُ عَزَّ عِزَّهُ: «**عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لَا يُجْلِيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**» وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ

(1) آل عمران: 9
(2) الإسراء: 5-6
(3) النبأ: 17-18
(4) النازعات: 42

رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[1].

وَمِثْلُ هَذَا فِي كِتَابِ اللَّهِ آيَاتٌ عَدِيدَةٌ تَدُلُّ عَلَى قِيَامِ الْقَائِمِ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الْخُلُودَ بِهَا، وَإِنَّ مَوَالِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ عَزَّ عِزّهمُ قَدْ بَيَّنُوا فِي كُتُبِهِمْ ودَلائِلِهِمْ إِنَّ الْقِيَامَةَ ظُهُورُ مُحَمَّدٍ الْقَائِمِ، وَقَدْ أَوْضَحُوا لَنَا فِي أَقَاوِيلِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ الَّتِي اِقْتَفَيْنَاهَا مِنْ بَعْدِهِمْ إِنَّ هَذَا الظُّهُورَ الْمَذْكُورَ هُوَ يَكُونُ ظُهُورَ كَشْفٍ، وَهُوَ الرَّجْعَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْكُرَّةُ الزَّهْرَاءُ وَكَشْفُ الْغِطَاءِ، وَظُهُورُ الْمَعْنَى مِنْ عَيْنِ الشَّمْسِ عَلَى أَسَدٍ مِنْ نُورٍ، فِي وَقْتِ ظُهُورِهِ لِعَالَمِ الْبَشَرِ فِي الْأَرْضِ، وَلَمْ يَخلُ وُجُودُهُ مِنْ سَمَاءِهِ، إذَا شَاهَدَ الْأَرْضَ فَتُدَكْدِكُ الْأَرْضُ، وَتَجِفُّ الْأَبْحَارُ، وَتُسَاقِطُ الْبُرُوجُ، وَتُهْدَمُ الْقِلَاعُ، وَأَكْثَرُ الْمُدُنِ يَصِيرُ عَالِيهَا سَافِلَهَا، وَيَكُونُ أَوَّلُ ظُهُورِهِ فِي الْكُوفَةِ فِي سَبْعِ قِبَابٍ مِنْ نُورٍ، وَيُنَادِي: «**شِيعَتِي**» فَتَأْتِيهِ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، فَيَقُولُ: «**شِيعَتِي سِيرُوا بِي**» فَيَأْتِي بِهِمْ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ يُنَادِي الِاسْمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ آنَ الْأَوَانَ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ، أَجِيبُوا مَوْلَاكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَأَبْدَاكُمْ**» وَيُكَرِّرُ الِاسْمُ الْقَوْلَ وَيُصَرِّحُ وَيُعْلِنُ بِالنَّدَمِ، فَيَبْلُغُ صَوْتُهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي

(1) الحج: 1-2

ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾[1] وَهُوَ نِدَاءُ الْإِسْمِ، فَتَأْتِي الْخَلْقُ مِنْ سَائِرِ الْأَقَالِيمِ حَتَّى لَا يَبْقَى جِنْسٌ مِنْ سَائِرِ الْأَجْنَاسِ وَأَهْلِ الشَّرَائِعِ الْمُفْتَرِّقَةِ وَالْمِلَلِ الْمُشَتَّتَةِ إِلَّا وَيَحْضُرُ قُدَّامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُسْنِدُ الْمَوْلَى ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ وَوَجْهُهُ يَضِيءُ كَمِثْلَ الْبَدْرِ فِي لَيْلَةِ تَمَامِهِ، وَيَكُونُ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِهِ وَالْإِسْمُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ حَوْلِهِ، وَيَتْلُو عَلَى الْخَلْقِ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَاةَ وَالزُّبُورَ وَالْإِنْجِيلَ، وَيُخْبِرُهُمْ بِمُحْكَمِ التَّأْوِيلِ وَالتَّنْزِيلِ وَجَمِيعِ مَا قَدْ سَلَفَ مِنَ الْخَلْقِ فِي الْأَزْمِنَةِ الْخَالِيَةِ وَالدُّهُورِ الْمَاضِيَةِ وَالْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَلَمْ يَدَعْ مِمَّا جَرَى بِجَمِيعِ الْأَعْصَارِ وَالْأَدْوَارِ وَالْأَكْوَارِ شَيْءٌ غَرَبَ عِلْمُهُ فِي الْخَلْقِ إِلَّا وَيَأْتِي بِخَبَرِهِ عَيَانًا وَيَكْشِفُهُ بَيَانًا، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أُرِيدُ الَّذِينَ بَايَعْتُهُمْ فِي عَهْدِي فَخَالَفُوا أَمْرِي وَنَكَثُوا بِعَهْدِي وَغَيَّرُوا سُنَّتِي وَبَدَّلُوا شَرِيعَتِي، الْغَوِيَّيْنِ الرِّجْسَيْنِ**» فَتَحْفُوا بِهِمُ الْخَلَائِقُ وَتَسِيرُ إِلَيْهِما وَيَنْبِشَاهُمَا[2] غَضَّيْنِ طَرِيَّيْنِ، وَيَسْأَلُهُمَا عَنْ جَمِيعِ مَا سَلَفَ مِنْهُمَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ وَالْجَوْرِ وَالْفَسَادِ مِنَ الذَّرْوِ الْأَوَّلِ فِي بَدْوِ يَوْمِ الْأَظَلَّةِ، وَمِنْ يَوْمِ قَالَ فِيهِ لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا كَمَا أَمَرَهُمْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَا وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ إِلَى الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، ثُمَّ يَكْشِفُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَيَظْهَرُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، فَتَنْطِقُ أَلسِنَتُهُمْ وَجَمِيعُ جَوَارِحِهِمْ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ

(1) الزمر: 68
(2) نبش القبر: حفره حفراً ليكشف ما بداخله.

شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾(١) وَلَمْ تَشْهَدْ لَهُمْ جُلُودُهُمْ غَيْرَ بَيِّنَةٍ، بَلْ يَكُونُوا عَارِفِينَ مُسْتَقِرِّينَ بِجَمِيعِ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِكَشْفِ سِرِّ جَمِيعِ مَا قَدَّمُوهُ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ كَشْفًا عَلَى أَعْيُنِ الْخَلَائِقِ، ثُمَّ يَأْمُرُ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ عَلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، فَيَخْضَرُّ فِي أَجْسَامِهِمْ وَيُورِقُ لِوَقْتِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْمُرُ بِحَرْقِهِمْ حَتَّى يَصِيرُوا رَمَادًا، ثُمَّ يَأْمُرُ الرِّيَاحَ فَتَنْسِفُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، ثُمَّ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ فَتَحْضُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ سَيْفًا وَيَقُولُ لَهُ خُذْ حَقَّكَ مِنْ عَدُوِّكَ فَيَجِدُّ بِالطَّلَبِ عَلَى قَتْلِ الْكَافِرِينَ، فَإِذَا لَجَأَ الْكَافِرُ فِي جِدَارٍ أَوْ فِي كَهْفٍ أَوْ فَي مَكَانٍ، فَيُنَادِي عَلَيْهِ الْمَكَانُ الْمُسْتَتِرَ بِهِ: «يَا وَلِيَّ اللَّهِ خُذْ عَدُوَّكَ» حَتَّى لَمْ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كَافِرٌ إِلَّا وَيُقْتَلُ، وَتَنْزِلُ الْبَرَكَاتُ وَتُعَظَّمُ الْخَيْرَاتُ وَتُشْرِقُ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا، وَتَفْتَحُ لِلْمُؤْمِنِينَ كُنُوزَهَا، وَيَأْنَسُ الْأَنْسَانُ بِالسَّبْعِ وَالْحَيَّةِ وَالطَّيْرِ، وَيَرِدُ الذِّئْبُ وَالشَّاتُ(٢) عَلَى مَوْرِدٍ وَاحِدٍ، وَتَنْتَصِفُ الْجُمَاءُ مِنْ صَاحِبَةِ الْقُرُونِ، لِقَوْلِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزُّهُ فِي خُطْبَتِهِ: «**لَسَوْفَ أُمْلِيهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا**» وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾(٣) وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَيُصَرِّحُ فِي إِشَارَتِهِ كَشْفًا عَلَى رُؤُسِ الْأَشْهَادِ وَالْمَنَابِرِ، وَبِذَلِكَ الْوَقْتِ إِفْطَارُ الْمُؤْمِنِ، وَبِهَذَا قَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزُّهُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَزَلْ**

(1) فصلت: 20-21
(2) الأصح: الشاة
(3) الأنبياء: 105

صَائِمًا لِظُهُورِ الْكَشْفِ، وَيَكُونُ إِفْطَارُهُ نُطْقَهُ فِي عِبَادَتِهِ جَهْرًا» وَبِهَذَا قَالَ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ بِهِ فِي شِعْرِهِ الَّذِي هَذَا مِنْهُ:

رِوَايَةٌ مُشْتَهِرٌ أَهْلُهَا ... يَرْوِي عَنِ الرَّاوِيْنَ لِلنَّاظِرِي[١]
مُفَضَّلٌ عَنْ سَيِّدِي جَعْفَرٍ ... وَصِنْوُهُ مِنْ قَبْلِهِ جَابِرِ
عَنْ خَامِسِ الْحُجْبِ أَبِي جَعْفَرٍ ... عَالِمُ كُنْهِ الْغَيْبِ وَالْبَاقِرِ
إِنَّ لِمَهْدِي بَنِي أَحْمَدٍ ... مَأْمُولُنَا الثَّانِي الْعَاشِرِ
فِعْلًا وَأَحْكَامًا سَمَاوِيَةً ... تَجْرِي بِأَمْرٍ عَجِيبٍ[٢] بَاهِرِ
ظُهُورُهُ فِي فِتْيَةٍ سَادَةٍ ... أَعْدَادِ بَدْرٍ عَدًّا كَاثِرِ
وَعَدِّ أَنْصَارِ إِمَامِ الْهُدَى ... حُسَيْنٌ رَحْمَانِهِمُ الْغَافِرِ
بِهِمْ يُتِيحُ اللَّهُ نَصْرًا لَهُ ... فتفتح الأرضون[٣] بِالنَّاصِرِ
وَتُظْهِرُ الأَرْضُ لَهُ كَنْزَهَا ... وَمَا حَوَتْ مِنْ ذُخْرَةِ الذَّاخِرِ
وَتُخْرِجُ النَّاصِبَ إِذْ يُلْحَدِ ... مِنْ قَعْرِهَا إِخْرَاجَ مُسْتَاسِرِ
تَقْذِفُهُ ثُمَّ تُنَادِي بِهِ ... أُمِرْتُ أَنْ أَقْذِفَ بِالْكَافِرِ
هَذَا عَدُوٌّ لَكَ فَامْثُلْ بِهِ ... وَخُذْ بِثَارِكَ مِنْ وَاتِرِ[٤]
وَأْمُرْ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى بِمَا ... تَأْمُرُ أَنْ يَسْتَمِعْ الآمِرِ
ثُمَّ تُنَادِيهِ[٥] بِأَخْبَارِهَا ... وَهُوَ بِهَا أَخْبَرُ مِنْ خَابِرِ
وَيَمْطِرُ اللَّهُ بِسَمَاوَاتِهِ ... عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ لَهُ مَائِرِ

---

(1) في الديوان: لِلنَّاذِرِ.
(2) في الديوان: عَجَبٍ.
(3) في الديوان: فَيَفْتَحُ الْأَرْضِينَ.
(4) في الديوان: وخُذْ بأوتارك مِنْ واتِرِ.
(5) في الديوان: تناجيهِ.

مِثْـلُ الَّـــذِي أمْطَــرَ أَيُّــوبَ مِــنْ　　جَــرَادُ تَبَرَهَـــا كُــلَّ مَــاطِرِ[1]
وَتَكْـــثُرُ الْخَـــيْرَاتُ فِي عَصْرِـــهِ　　حَــتَّى تَعُــمَّ الأرضَ[2] بِالْغَـــامِرِ
وَيَـــنْزِلُ الْغَيْـــثُ وَيَزْهُـــو الـــثَّرَى　　وَتُزْهِـــرُ الأَرْضُـــونَ بِالْحَـــاشِرِ
وَيُثْمِـــرُ النَّبْـــتُ جَمِيعًـــا وَمَـــا　　مِــنْ مُثْمِــرٍ يُــوفِي[3] عَــلَى الْــوَافِرِ
وَتَعْظُـــمُ الْـــبِرَّةُ حَـــتَّى تَكُـــنْ　　حِمْــلُ بَعِــيرٍ بُغْيَــةَ الْقَاتِــلِ[4]
وَتُجْـــرِي الأَنْهَـــارُ فِي عَصْـــرِهِ[5]　　بِـــالْخَمْرِ وَالأَلْبَـــانِ وَالزَّاخِـــرِ
ومِـــنْ عَسَـــلٍ صَـــافٍ وَمَـــاءٍ　　اذَا جَــرَى بَيَاضًــا لَــيْسَ بِالْكَــادَرِ
وَتَشْرَـــبُ الشَّـــاةُ مِـــنْ الـــذِّئْبِ　　مِــنْ وِرْدٍ تَنَــاجِزُ مَــعَ الصَّــادِرِ[6]
وِيَـــأنسُ الإِنْسَـــانُ فِي قَفْـــرِةِ　　بِالسَّـــبْعِ وَالْحَيَّـــةِ وَالطَّـــائِرِ
وَلَا يَـــرَى بَعْضُـــهُمْ مُوحِشًـــا　　بَعْضًــا وَلَا بِــالْمُؤْذِي الضَّــمَائِرِي[7]
وَتَظْهَـــرُ الأَمْـــلَاكُ وَالْجِـــنُّ مَـــا　　بَــيْنَ الْمَــلا بِالْمَــذْهَبِ النَّــائِرِي[8]
وَيَضْـــحَكُ الْمَلِـــكُ بِأَقْطَـــارِهِ　　وَتُسْـــفِرُ الأَصْـــبَاحَ لِلنَّـــاظِرِي
وَيَأْفُـــلُ اللَّيْـــلُ بِسُـــلْطَانِهِ　　وَلَا يَــرَى مِــنْ مُظْلِــمٍ دَاجِــرِي
وَتَشْـــرَقَ الأَنْـــوَارُ حَـــتَّى تَـــرَى[9]　　بَــاقِي الــثَّرَى عَــنْ غَــامِضٍ غَــابِرِي
وَتُـــدْرِكُ الأَبْصَـــارُ مَـــا غَـــابَ عَـــنْ　　إِدرَاكِهَـــا مِـــنْ قَـــدْرِهِ الْقَـــادِرِي
وَيَكْشِـــفُ اللَّهُ غِطَـــاءَ الْعَـــمَى　　عَــنْ كُــلِّ عَبْــدِ مُــؤْمِنِ صَــابِرِي

---

(1) في الديوان: جَرَادُ تبرٍ هاطلٍ مَاطِرِ.
(2) في الديوان: الخَلْقَ.
(3) في الديوان: يُوْمِي.
(4) في الديوان: وتعظُمُ البُرَّةُ حتى تكنْ　　حِمْلَ بعيرٍ بُغْيَـــةَ القاتِرِ
(5) في الديوان: عهده.
(6) في الديوان: وتشربُ الشَّاةُ مع الذئبِ　　مِـنْ وِرْدٍ وتنحازُ مع الصَّادرِ
(7) في الديوان: الضائر.
(8) في الديوان: وتظهر الأملاكُ والجنُّ ما　　بينَ الملا بالذَّهبِ النَّائـــرِ
(9) في الديوان: يُرَى.

وَيُفْصِحُ الطَّيْرُ فَلَا عُجْمَةٍ نَطْقٌ لِمَخْلُوقٍ وَلَا صَافِرِي[1]
وَتُقْبِلُ الْآيَاتُ مَقْرُونَةً بِالْفَرَجِ الأَكْبَرِ مِنْ كَابْرِي

فَهَذَا مَا نَصَصْنَا عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سَيِّدِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ، وَمِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْبَالِغِينَ وَالثِّقَاتِ الْمُوَحِّدِينَ، وَمِثْلُ هَذَا شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ وَرِوَايَاتٌ غَزِيرَةٌ، وَقَدْ اقْتَصَرْنَا عَنْ إِطَالَتِهَا لِكَيْ لَا يَطُولَ الْخِطَابُ وَيَتَّسِعَ الْكِتَابُ.

(1) في الديوان: ويفصح الطيرُ بلا عُجْمَةٍ في نطقِ مخلوقٍ بلا صافرِ

الْبَابُ الثَّالِثَ عَشَرَ
فِي مُعَرِّفَةِ الظُّهُورَيْنِ، إِنَّهُمَا وَاحِدٌ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُوَضِّحَ بَيَانَهُ:

إِنَّ الظُّهُورَيْنِ وَاحِدٌ ... لَمْ يَتَجَزَّأْ بِالشَّوَاهِدِ الْمُنِيرَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُعِينَةِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الظُّهُورَيْنِ وَاحِدٌ؟

فَنَقُولُ لَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ الَّذِي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ عَلَى لِسَانِ الْحِجَابِ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وَأَخْبَرَ صَاحِبُ "الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ" إِنَّهُ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مَكْتُوبٌ: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِمَامٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» وَقَدْ حَرَّفَهَا الثَّالِثُ لِيَضْحَدَ بِهَا حُجَّةَ إِمَامِ الْعُلُومِ "سهف"، وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا

(1) فصلت: 42
(2) الحديد: 3

كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾(1)، فَدَلَّ قَوْلُهُ إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ الْإِمَامُ الظَّاهِرُ فِي الْأَرْضِ، وَقَوْلُهُ: "هُوَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِمَامٌ".

وَرُوِيَ فِي كِتَابِ "الْهَفْتِ" عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ حِينَ قَالَ لَهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ الْجُعْفِيُّ: «يَا مَوْلَايَ، هَلْ وَرَاءَ قَافِكُمْ هَذَا دُنْيَا؟».

فَتَبَسَّمَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ وَقَالَ لَهُ: «**يَا مُفَضَّلُ، وَرَاءَ قَافِنَا هَذَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ مَدِينَةً، لِكُلِّ مَدِينَةٍ اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ بَابٍ، مِنْ كُلِّ بَابٍ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ خَلْقٌ كَثِيرٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ، لَا يُحْصِي عَدَدُهُمْ إِلَّا إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**».

فَقَالَ الْمُفَضَّلُ: «سَيِّدِي، يَعْرِفُونَكُمْ؟».

قَالَ الصَّادِقُ: «**يَا مُفَضَّلُ هُمْ أَعْرَفُ مِنْكُمْ بِنَا**».

قَالَ الْمُفَضَّلُ: «سَيِّدِي، تَأْتِيهِمُ الرُّسُلُ؟».

قَالَ الصَّادِقُ: «**نَحْنُ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ**».

قَالَ الْمُفَضَّلُ: «إِذَا كُنْتُمْ ظَاهِرِينَ عِنْدَنَا، مَنْ يَكُونُ ظَاهِرًا

(1) المجادلة: 7

عِنْدَهُمْ؟».

قَالَ الصَّادِقُ: «**نَحْنُ نَكُونُ ظَاهِرِينَ عِنْدَكُمْ وَعِنْدَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَجْزِيءٍ**».

قَالَ الْمُفَضَّلُ: سَيِّدِي، هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ؟».

قَالَ الصَّادِقُ: «**يَا مُفَضَّلُ، لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَكُمْ هَذَا وَذُرِّيَّتَهُ**».

وَمِثْلُ هَذَا شَوَاهِدُ فِي كُتُبِ مَوَالِينَا مَا لَوْ أَطَلْنَا الْخِطَابَ لَاتَّسَعَ الْكِتَابُ، إِنَّ الْبَارِيَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ أَرْضِهِ بِمُشَاهَدَةِ سَمَائِهِ وَلَمْ يَغِبْ عَنْ سَمَائِهِ بِمُشَاهَدَةِ أَرْضِهِ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ عَنْ كِيَانِهِ، وَإِنْ ظَهَرَ لِعِيَانِهِ.

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ غَيْبَةِ الْمَعْنَى وَالْأَشْخَاصِ الَّذِينَ غَابُوا لِغَيْبَتِهِ عَنِ الصِّفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَبَيَانِ مَعْرِفَتِهِمْ فِي الْأَجْرَامِ النُّورَانِيَّةِ

وَقَدْ رَأَيْنَا بِعَصْرِنَا هَذَا مِنَ الشِّيعَةِ الْخَصِيبِيَّةِ وَفَّقَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ قَدْ أَوهَمَتْ عَلَيْهِمْ غَيبَةُ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ وَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ظَاهِرِينَ بِالصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَظَنُّوا أَنَّهُ غَابَ فَلَا يُرَى وَيَقُولُونَ: أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ كَانُوا ظَاهِرِينَ مَعَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ مِنْ جُمْلَةِ الْعَالِمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ، غَابَ عَنْهُمْ وَلَمْ يُرَى إِلَى يَوْمِ الْكَشْفِ. وَيُثْبِتُونَ وُجُودَهُ وَظُهُورَاتَهُ فِي الذَّاتِيَّةِ مِنْ هَابِيلَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُثْبِتُونَ ظُهُورَاتِهِ فِي الْأَزَلَاتِ الْمِثْلِيَّةِ مِنْ آدَمَ إِلَى الْمَوْلَى الْحَسَنِ الْآخَرِ الْعَسْكَرِيِّ، وَاسْمِهِ وَبَابِهِ وَمَنْ يَلِيهِمْ إِلَى آخِرِ الْمَرَاتِبِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْبَارِئَ مُحْتَجِبٌ عَنْ خَلْقِهِ لَا يُرَى إِلَى يَوْمِ الْكَشْفِ.

فَنَقُولُ وَاَللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَآبُ: إِذَا قُلْنَا إِنَّهُ غَائِبٌ لَا يُرَى إِلَى يَوْمِ الْكَشْفِ، نَكُونُ سَوَاءٌ نَحْنُ وَأَهْلُ الظَّاهِرِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا وُجُودَهُ فِي الْحَالَيْنِ، وَهُمْ مُقِرُّونَ بِيَوْمِ الْكَشْفِ أَنَّهُ سَوْفَ يُرِيهِمُ الظُّهُورَ، وَيُحَاسِبَ وَيُعَاقِبَ وَيُوفِي وَيُجَازِي، وَنَحْنُ بِالْحَقِيقَةِ لَمْ نُكَذِّبْ بِظُهُورِ الْكَشْفِ، بَلْ مُقِرُّونَ لَهُ، مُشِيرُونَ بِظُهُورِهِ، وَلَكِنْ نَرْجِعُ إِلَى مَا عَلَيْهِ اعْتِمَادُنَا أَنَّ الْبَارِيَ مَا ظَهَرَ فِي قُبَّةٍ مِنَ السَّبْعَةِ الذَّاتِيةِ، إِلَّا وَظَهَرَ

مَعَهُ الِاسْمُ وَالْبَابُ وَالْخَمْسَةُ الْأَيْتَامِ، وَفِي الْوَقَائِعِ تَظْهَرُ مَعَهُ الْخَمْسَةُ آلَافِ الْعَالِمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ، وَمِمَّا أَوْضَحَهُ لَنَا شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا وَسَبِيلُ مَعْرِفَتِنَا بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخُصَيْبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ الْعَلِيُّ سِرَّهُ بِرِوَايَتِهِ فِي كِتَابِ الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ عَنْ أَبِي الْمُثَنَّى عَمْرٍو مَرْفُوعًا عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ: «**إِنَّ الْمُقَرَّبِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكُرُوبِيينَ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَالرُّوحَانِيِّينَ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْمُقَدِسِينَ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَالسَّائِحِينَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْمُسْتَمِعِينَ تِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَاللَّاحِقِينَ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَهُمْ مَائَةُ أَلْفٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفٍ، وَالْعَالَمُ الْكَبِيرُ النُّورَانِيُّ خَمْسَةُ آلَافٍ، وَالْجُمْلَةُ مَائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعٍ وَعِشْرُونَ أَلْفٍ**» وَمُحَقَّقٌ عِنْدَ كُلِّ الْفِرَقِ الْخَصِيبِيَّةِ أَنَّ الْخَمْسَةَ الْأَيْتَامِ هُمْ الْخَمْسَةُ كَوَاكِبَ: زُحَلُ وَالْمُشْتَرِي وَالْمِرِّيخُ وَالزُّهْرَةُ وَعُطَارِدُ، وَأَنَّ النُّقَبَاءَ الِاثْنَي عَشَرَ هُمْ بُرُوجُ الشَّمْسِ، وَأَنَّ الثَّمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ النُّجَبَاءَ هُمْ مَنَازِلُ الْقَمَرِ، وَقَوْلُ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرُجِ": «**إِنَّ الْخَمْسَةَ آلَافٍ، الْعَالَمُ الْكَبِيرُ النُّورَانِيُّ يَظْهَرُونَ لِظُهُورِ الْمَعْنَى وَيَغِيبُونَ لِغِيَابِهِ**» فَنَقُولُ إِنَّهُ حِينَ ظُهُورِهِ فِي الْقُبَّةِ الْعَرَبِيَّةِ دُونَ الْقِبَابِ السِّتَّةِ، أَوَّلًا كَيْ لَا يَطُولَ الشَّرْحُ، ظَهَرَ مَعَهُ الِاسْمُ وَالْبَابُ وَالْأَيْتَامُ، وَمَعَ الْوَقَائِعِ ظَهَرَتْ مَعَهُ الْخَمْسَةُ آلَافٍ، وَحِينَ غَيْبَتِهِ مِنَ الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ غَابَتْ جَمِيعُ الْأَشْخَاصِ لِغَيْبَتِهِ مِنَ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَ ظَاهِرًا بِهَا، وَمُحَقَّقٌ عِنْدَ كُلِّ الشِّيعَةِ الْخَصِيبِيَّةِ أَنَّ الْأَنْوَارَ الْمَرْكُوزَةَ فِي السَّمَاءِ هُمْ الْمَائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفٍ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ فِي كُلِّ الْأَعْصَارِ وَالْأَدْوَارِ، عَلَى عَيْنِ

الْمُؤَالِفِ وَالْمُخَالِفِ، فَإِذَا نَفَيْنَا وُجودَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، نَكُونُ كَذَّبْنَا قَوْلَ الْمَوْلَى الصَّادِقِ الْوَعْدِ عَزَّ عِزّهُ: «**أَنَّهُمْ يَظْهَرُونَ لِظُهُورِ الْمَعْنَى وَيَغِيبُونَ لِغَيْبَتِهِ**» وَإِذاً يَكُونُ انْتَفَى وُجُودُهُ مِنْ عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّا نَحْنُ مَعَاشِرَ الْآدَمِيِّينَ ظَهَرَ لَنَا سَبْعُ ظُهُورَاتٍ، مَا غَابَ مِنْ مَقَامٍ إِلَّا وَظَهَرَ فِي مَقَامٍ إِلَى وَقْتِ الْغِيبَةِ، فَجَلَّ عَنْ أَنْ يَغِيبَ، فَنَحْنُ عَالَمُنَا عَالَمُ الْمِزَاجِ الطِّينِيِّ الْمُظْلِمِ، اسْتَحْقَيْنَا أَنْ يَظْهَرَ لَنَا، وَالْمَلَائِكَةُ أَبْدَاهَا مِنْ نُورِهِ مَا يُظْهِرُ لَهُمْ، لِأَنَّ عَالَمَ النُّورِ أَعْلَى وَأَسْنَى مِنْ عَالَمِ الْبَشَرِ، وَهَذَا شَيءٌ لَا يَصِحُّ عِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ وَلَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَلَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْكُتُبُ.

وَنَرْجِعُ إِلَى مَا قَالَهُ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الْهَفْتِ" فِي بَابِ قِصَّةِ سَلْمَانَ مَعَ عُمَرَ قَالَ الْمُفَضَّلُ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ الصَّادِقِ كَمْ كَانَ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشِّيعَةِ وَأَصْحَابِهِ أَيَّامَ عُمَرَ؟».

قَالَ الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ: «**كَانَ مَعَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُقِرِّينَ بِاللَّهِ، وَكَذَلِكَ يَكُونُوا مَعَ الْأَئِمَّةِ**».

فَقُلْتُ: «كُلُّهُمْ شَيْءٌ وَاحِدًا!».

قَالَ: «**لَا، بَلْ مِنْهُمْ الثَّمَانِيَةُ وَعِشْرُونَ النُّجَبَاءُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَدَهْرٍ، وَاثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا وَهُمْ النُّقَبَاءُ**».

قُلْتُ: «سَيِّدِي، فَمَا حَدُّهُمْ؟».

قَالَ: «**بِهِمْ تَقُومُ الدُّنْيَا، وَهُمْ الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ الْأَبْدَالَ، وَلَوْلَاهُمْ لَانْقَلَبَتِ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَهُمْ لَا يُفَارِقُونَ الْإِمَامَ، وَهُمْ أَوْتَادُ الْأَرْضِ وَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَيَرَى فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمِنْ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ**» فَدَلَّ إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا ظَاهِرِينَ مَعَهُ بِوَقْتِ ظُهُورِهِ بِالصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ، هُمْ الظَّاهِرُونَ مَعَهُ بِالصُّورَةِ النُّورَانِيَّةِ، لِقَوْلِ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ: «**إِنَّهُمْ النُّقَبَاءُ وَالنُّجَبَاءُ**» وَقَوْلِهِ: «**وَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَيَرَى فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمِنْ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ**».

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ نِدَاءِ الْبَارِي لِلْخَلْقِ
وَمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْإِجَابَةِ مِنْ أَهْلِ الإِنْكَارِ

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ مُسَائِلًا عَنْ نِدَاءِ الْبَارِي عَزَّ شَأْنُهُ: أَكَانَ لِنَاسٍ دُونَ نَاسٍ غَيْرِهِمْ؟ أَمْ هُوَ لِلْخَلْقِ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ؟ وَكَيْفَ وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَجَابُوهُ أُنَاسٌ وَأَنْكَرَهُ أُنَاسٌ آخَرُونَ؟

الْجَوَابُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1] مَعْنَاهُ إِنَّهُ كَانَ ظُهُورَهُ لِلْخَلْقِ فِي فَرْدِ حَالٍ مِنْ غَيْرِ اِسْتِتَارٍ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزَّهُ فِي كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ رُوحَانِيِّينَ، لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يُولَدُونَ ذَوِي أَجْسَامٍ نُورَانِيَّةٍ، وَظَهَرَ فِيهِمْ عَلَى هَيْأَتِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الْقُدْرَةَ الْبَاهِرَةَ وَالْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ وَالْعَلَامَةَ النَّيِّرَةَ، وَجَعَلَهُمْ يُشَاهِدُونَهُ وَيَرَوْنَهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَعْرِفُونَ قُدْرَتَهُ وَيَعْلَمُونَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَفْصِلُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، فَأَجَابَ مِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ، وَعَصَاهُ مَنْ عَصَاهُ، فَكَانَ الَّذِينَ أَجَابُوا لِلإِقْرَارِ بِرُبُوبِيَّتِهِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْرِفَةِ**

(1) الأعراف: 172

بِوَحْدَانِيَّتِهِ، إجَابَتَهُمْ فِي أَوْقَاتٍ شَتَّى، فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ فِي أَوَّلِ الدَّعْوَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَارَ وَتَوَقَّفَ، وَافْتَرَقَ الْخَلْقُ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ مُؤْمِنَةٌ، وَفِرْقَةٌ كَافِرَةٌ وَكَانَ الْوَقْتُ مُنْذُ دَعَاهُمْ إِلَى أنِ افْتَرَقُوا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالِيَ، فَجَعَلَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِينَ مَثَلًا عَلَى ضِيَاءِ النَّهَارِ، وَجَعَلَ كُفْرَ الْكَافِرِينَ مَثَلًا عَلَى ظَلَامِ اللَّيْلِ».

وَقَالَ أَيْضًا فِي مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ الشَّيْخُ الثِّقَةُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَلِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ بِرِسَالَتِهِ "الْأَنْدِيَةَ" حَيْثُ قَوْلِهِ: "خَلَطَ الْبَارِي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ النُّورَانِيِّ وَالْبُشَرِيَّ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَمَجْمَعٍ وَاحِدٍ، وَظَهَرَ لِلْجَمِيعِ بِالذَّاتِ مِنْ غَيْرِ اسْتِتَارٍ وَلَا احْتِجَابٍ، وَظَهَرَ الِاسْمُ بِأَمْرِ بَارِيهِ وَمُخْتَرِعِهِ وَمُنْشِيهِ، وَالْبَابُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ، وَالِاسْمُ وَأَهْلُ الْمَرَاتِبِ مُخْتَلِطُونَ بِأَهْلِ الْكَدَرِ، الْكُلُّ بِالْكُلِّ، وَأَهْلُ الْكَدَرِ بِأَهْلِ الصَّفَاءِ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا تَعْدِيلٍ، وَلَا يَزِيدُ وَاحِدٌ فَوْقَ وَاحِدٍ فِي وُقُوفِهِ، وَلَا يَحُولُ عَنْ رُتْبَتِهِ، عَدْلًا مِنْ مَوْلَاهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، فَقَالَ الْعَالِمُ: **«فَقَالَ لَهُمْ الْمَعْنَى تَعَالَى ذِكْرُهُ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[1] وَالْمِيمُ عَزَّ عِزَّهُ يُبَلِّغُ عَنْهُ وَيومِي إِلَيْهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ، وَيُكَرِّرُ الْقَوْلَ، وَيُوَضِّحُ النِّدَاءَ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِالتَّأَلُّهِ، بِأَنَّهُ الْأَزَلُ الْمَعْنَى تَعَالَى، وَيَشْهَدُ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَهُوَ حَاكِمٌ بَيْنَهُمْ»**"، وَهُوَ قَوْلُهُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[2]، وَكَانَ قَوْلُ الْعَالَمَيْنِ الْعُلْوِيِّ

(1) الأعراف: 172
(2) الأعراف: 172

وَالسُّفْلِيِّ "بَلَى" أَيْ نَعَمْ بِجَمِيعِ آلَاتِهِمْ وَمُتَصَرَّفَاتِهِمْ، وَإِبْلِيسُ وَجِبْلَتُهُ قَالُوا "لَا" وَأَوْمَئُوا بِرُؤُوسِهِمْ وَالْكُفْرُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَتَمَيَّزُوا فِي الْوَقْتِ فَصَارُوا شَمَالاً، وَقَائِدُهُمْ وَضَلِّيْلُهُمْ فِي الْوَقْتِ إِبْلِيسُ الْأَبَالِسَةِ لَعَنَهُ اللَّهُ فَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَعْرِفَةُ أَهْلِ الإِجَابَةِ مِنْ أَهْلِ الإِنْكَارِ.

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ حِينَ بَدَا فِعْلُ إِبْلِيسَ وَجِبْلَتُهُ وَمَكْرُهُمْ لِلْبَارِي وَمُخَالَفَةُ أمْرِهِ، مَكْرَ الْبَارِي مَعْرِفَتَهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[1]، فَكَانَ مَكْرُ الْبَارِي عَزَّ عِزّهُ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: «**أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، وَأَخُو رَسُولِ اللَّهِ**». أَيْ عِنْدَ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ تَحَجُّبًا وَاسْتِتَارًا، لِيَحْجُبَ مَعْرِفَتَهُ، وَقَدْ شَاهَدُوا مِنْهُ مَا شَاهَدُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَقَالُوا إِنَّنَا نَعْرِفُكَ فِينَا كَبِيرًا، وَنَعْرِفُكَ مُنْذُ كُنْتَ صَغِيرًا، وَنَعْرِفُ أَبَاكَ قَبْلَ أَنْ يَتَبَعَّلَ بِأُمِّكَ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَلِيقُ بِالْخَلْقِ مِنْ عَالَمِ الْبَشَرِ، مِثْلِ الْقَتْلِ وَالْعَجْزِ وَالْحَصْرِ وَالْمَوْتِ وَالْفَقْرِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ عَنْ أَهْلِ الإِجَابَةِ فِي وَقْتِ الدَّعْوَةِ: «**مَنْ أَجَابَ هُنَاكَ أَجَابَ هُنَا، وَمَنْ أَنْكَرَ هُنَاكَ أَنْكَرَ هُنَا**». مَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَنْ كَانَ مُجِيبًا لِلْبَارِي فِي النِّدَاءِ الْأَوَّلِ كَانَ مُجِيبًا فِي سَائِرِ الظُّهُورَاتِ. وقَوْله تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن

(1) آل عمران: 54

قَبْلُ﴾(١).

وَقَالَ السَّيِّدُ أبُو سَعِيدٍ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي دُعَائِهِ: «فَكَانَ ظُهُورُهُ فِي الصُّورَةِ الْمَرْئِيَّةِ لِلْمُتَجَسِّمِينَ جِسْمًا بَشَرِيًّا، وَفِي بُطونهِ لِلْعَارِفِينَ نُورًا شَعْشَعَانِيًّا، وَمَعْنًى كُلِّيًّا» فَامَّا قَوْلُهُ "لِلْمُتَجَسِّمِينَ" هُمْ الْجَمُّ الْغَفِيرُ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا يُثْبِتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْغَائِطِ وَالْبَوْلِ وَالْجَنَابَةِ وَالْأَزْوَاجِ وَالْقَتْلِ وَالْحَصْرِ وَالْمَوْتِ، تَعَالَى اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ "لِلْعَارِفِينَ نُورًا شَعْشَعَانِيًّا" هُمْ الَّذِينَ يَنْفُونَ عَنْهُ الْآلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ مِنْ التَّخَاطِيطِ وَالصُّوَرِ، وَيُثْبِتُونَ لَهُ الْمَعَاجِزَ وَالْقُدَرَ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ نُورٌ شَعْشَعَانِيٌّ صَمْدَانِيٌّ، وَمَعْنًى كُلِّيٌّ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ أَنَّا نَرَى مِنْ النَّاسِ مَنْ قَدْ أقَرَّ لَهُ فِي سَائِرِ الظُّهُورَاتِ الَّتِي أَظْهَرَهَا لِلْخَلقِ، وَلَيْسَ يُدْرَكُ مِنْهُ غَيْرُ وُجودِ الصُّورَةِ، وَإِنَّمَا ظَهَرَتْ وَغَابَتْ.

فَنَقُولُ لَهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ شَأْنُهُ مَا احْتَجَبَ عَنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنَّ الْخَلْقَ هُمْ الْمَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ بِذُنُوبِهِمْ الَّتِي رَانَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٢). وَقَالَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ حَيْدَرٍ

(1) الأنعام: 158
(2) المطففين: 14-15

الْقَطِيْعِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ إِلَهَ الْوَرَى عَلِيٌّ مُقَلِّبُ مَا فِي الْقُلُوبِ
وَمَا احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْ خَلْقِهِ وَلَكِنَّهُمْ حَجَبُوا بِالذُّنُوبِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَصَارُوا مَلَائِكَةً فِي الْغُيُوبِ
يَسِيحُونَ فِي مَلْكُوتِ الْقَدِيمِ وَقَدْ طُهِّرُوا مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ

وَقَالَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ جَلَالُ الدِّينِ بْنُ مِعْمَارٍ الصُّوفِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ فِي الْجَدْوَلِ النُّورَانِيِّ: «إِذَا صَفَتِ الرُّوحُ بِنُورِ الإِيْمَانِ، وَضِيَاءِ التَّوْحِيدِ، رَأَتْ مَا يُشَاكِلُهَا وَيُنَاسِبُهَا، وَغَابَ الْجِسْمُ وَالصُّورَةُ فِي صَفَاءِ الرُّوحِ، لِأَنَّ النَّاظِرَ بِعَيْنِهِ لَا يَرَى إِلَّا جِسْمًا، فَإِذَا صَارَ يَسْمَعُ بِاللَّهِ وَيَرَى بِاللَّهِ، انْجَلَى لَهُ عَالَمُ الصَّفَاءِ مِنْ عَالَمِ الْكَدَرِ، وَرَأَى الْعَالَمَيْنِ، وَشَاهَدَ السَّمَائَيْنِ، فَإِذَا كَمُلَ إِيمَانُهُ وَصَارَ يَسْمَعُ بِاللَّهِ وَيَنْظُرُ بِاللَّهِ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الِارْتِقَاءِ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ، وَعَرَفَ الْحَقَائِقَ الْكَوْنِيَّةَ وَالْأَسْمَائِيَّةَ وَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ وَعَرَفَ مَنْزِلَةَ الْحِجَابِ، رَأَى اللَّهَ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ كَمُوسَى وَكَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ كَعِيسَى، وَكَالشَّابِّ الْمُؤَنَّقِ الْمَفْتُولِ السَّبَّالِ كَمُحَمَّدٍ وَمِنْ هُنَاكَ يُشَاهِدُ الصُّورَةَ الْمَرْئِيَّةَ الأَنْزِعِيَّةَ الَّتِي لَمْ تَزَلْ عَنْ كِيَانِهَا وَإِنْ ظَهَرَتْ لِعَيَانِهَا».

فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى هَذَا الشَّرْحِ الْمُخْتَلِفِ بِاللَّفْظِ، الْمُتَّفِقِ بِالْمَعْنَى أَنَّ الْبَارِيَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ لَمْ يُخْفِ مَعْرِفَتَهُ الْحَقِيقِيَّةَ عَمَّنْ كَانَ مُلَائِمَ أَهْلِ

الصَّفَا فِي دُرُجِ الْإِيمَانِ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ لَنَا أَنَّا نَرَى مَنْ أَقَرَّ بِصُورَةِ الطِّفْلِ وَالشَّابِّ وَالشَّيْخِ، وَلَيْسَ عَايَنَ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ مَنْ أَنْكَرَ وَلَايَتَهُمْ. فَنَقُولُ لَهُ نَحْنُ نَدُلُّ أَنَّ مَنْ كُشِفَ عَنْهُ حِجَابُ الظُّلمَةِ، وَصَفَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَقَرَنَ مُعَارِفَهُ النَّاجِحَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، كَانَ مِمَّنْ أَجَابَ النِّدَاءَ فِي أَوَّلِ الْبَدَا، وَكَانَ مُجِيبًا لِلْأَوَامِرِ الْإِلْهِيَّةِ وَمُنْهِيًا عَنْ الْمَنَاهِي الرَّدِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾(١)، يَعْنِي عَنْ جَهَنَّمَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا، وَهُمْ فِيمَا اِشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ طَرِيقَتُهُ وَصَفْوَ حَقِيقَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي انْكَشَفَ عَنْهُ حِجَابُ الظَّلْمَةِ، وَتَمَكَّنَ مِنْ الِارْتِقَاءِ إِلَى عَالَمِ الْبَقَاءِ وَصَارَ يَرَى فِي اللَّهِ، وَيَسْمَعُ فِي اللَّهِ، وَعَرَفَ الْحَقَائِقَ الْكَوْنِيَّةَ وَالأسْمَائِيَّةَ وَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ، وَعَرَفَ مَنْزِلَةَ الْحِجَابِ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ «يَرَى اللَّهَ فِي صُورَةِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ كَمُوسَى، وَكَالطِّفْلِ الصَّغِيرِ كَعِيسَى، وَكَالشَّابِّ الْمُؤَنَّقِ الْمَفْتُولِ السَّبَّالِ كَمُحَمَّدٍ، وَمِنْ هُنَاكَ يُشَاهِدُ الصُّورَةَ الْمَرْئِيَّةَ الْأَنْزَعِيَّةَ الَّتِي لَمْ تَزَلْ عَنْ كِيَانِهَا وَإِنْ ظَهَرَتْ لِعِيَانِهَا» فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ مَثَابَتُهُ، فَيَقْتَبِسُ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عِلْمِ الْمَلَائِكَةِ، عَالَمِ النُّورِ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ عَالَمِ النُّورِ بِصُورَةِ الطِّفْلِ وَالشَّابِّ وَالشَّيْخِ، لَيْسَتْ كَمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْمِزَاجِ وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾(٢)، وَنَحْنُ لَمْ نَفْهَمْ تَسْبِيحَهُمْ وَإِشَارَاتِهِمْ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ

(1) الأنبياء: 101
(2) الرعد: 13

وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[1]، وَمَعْنَاهُ إِنَّهُ لَا يَفْهَمُ كُلُّ جِنْسٍ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ، وَكُلُّ ذِي لُغَةٍ إِلَّا عَنْ لُغَتِهِ، إِلَّا مَنْ فَتَحَ اللَّهُ قَلْبَهُ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، فَكَانَ هُوَ مِنْ الَّذِينَ تَقَدَّمَ فِيهِمْ الْقَوْلُ (وَتَمَّ).

(1) الإسراء: 44

الْبَابُ السَّادِسَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ أَسَامِي نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ، وَمَعْرِفَةِ حَدَّيْهِمَا مِنْ حَدَّيْهِمَا

فَإِذَا قَالَ لَنَا قَائِلٌ: إِنَّ نَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ وَمُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَدْ ذَكَرَهُمَا صَاحِبُ كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" أَنْهُمَا سُمِّيَا شَمْسًا وَقَمَرًا.

فَنَقُولُ لَهُ: اِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، إِنَّ هَذَيْنِ الْوَلِيَّيْنِ وَقَعَ عَلَيْهِمَا النَّصُّ مِنْ كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" بِأَنَّهُمَا مُخْتَارَيْنِ مِنْ رُؤَسَاءِ دَرَجَتَيْنِ مِنْ دُرَجِ الْأَبْوَابِ وَالْأَيْتَامِ، وَحَقِيقَةُ مَرَاتِبِهِمْ مِنْ دَرَجَةِ الْمُخْتَصِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ مِنَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُمَا يَقْتَبِسَانِ أَنْوَارُهُمَا مِنْ عَمُودِ الشَّبَحِ، مِنْ الْأَرْبَعِ دُرَجٍ فَوْقَ دَرَجَتِهِمَا، وَهُوَ حَيْثُ قَوْلِهِ[١]: «قُلْتُ سَيِّدِي، مَا هَذَا الَّذِي يُسَمَّى عَمُودَ الشَّبَحِ؟» قَالَ[٢]: **«الدُّرَجُ، لِأَنَّ فَوْقَ دَرَجَةِ الشَّمْسِ الْأَسْمَاءُ وَالْحُجُبُ وَالْآيَاتُ وَالْأَنْوَارُ، لِأَنَّهَا تَقْتَبِسُ مِنَ اللَّهِ، وَتُلْقِيهِ إِلَى الْحُجُبِ، وَالْحُجُبُ تُلْقِيهِ إِلَى الشُّمُوسِ، وَالشُّمُوسُ إِلَى الْأَقْمَارِ، وَكُلٌّ مِنَ اللَّهِ فِي مَزِيدٍ»**.

ثُمَّ أَثْبَتَ فِي آخِرِ شَرْحِهِ أَنَّ الشَّمْسَ أَبُو عُبَيْدَةَ نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْقَمَرَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْعَبْدِيُّ، فَانْظُرْ يَا أَخِي فِي هَذَا الْقَوْلِ فِي عَيْنِ

(1) قول المفضل عليه السلام.
(2) قول مولانا الصادق عز عزه.

الْبَصِيرَةِ، وَلَا تَكُنْ عَنْهُ مِنَ الْغَافِلِينَ، كَيْفَ قَالَ أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَقْتَبِسُونَ نُورَهُمْ مِنْ عَمُودِ الشَّبَحِ، مِنَ الْأَرْبَعِ دُرَجٍ، مِنْ فَوْقِ دُرُجِهِمْ فَإِذَا كَانَ ثَبَتَ الْقَوْلُ مِنْ كُتُبِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَزَّ عِزّهمُ مِمَّا تَلَوهُ وَأَوْضَحُوهُ بِبَيَانِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ المُرْسَلِ، وَهُوَ قَوْلُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَوْلَى الْبَاقِرِ عَزَّ عِزّه وَهُوَ قَدَّمَ بِهِ الْقَوْلَ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، قَوْلِهِ: «يَا سَيِّدِي، مَا مَعْنَى قَوْله تَعَالَى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾[1]؟» فَأَجَابَ الْبَاقِرُ عَزَّ عِزّهُ: «**لَا يَنْبَغِي لِلرَّسُولِ أَنْ يُدْرِكَ مُرْسِلَهُ**».

وَقَدْ ذَكَرَهَا شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ فِي كِتَابِ "الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالْمُرْسِلِ" وَذَكَرَهَا أَيْضًا فِي دِيوَانِهِ حِينَ قَالَ:

مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مِصْبَاحُ الدُّجَى — شَمْسُ النَّهَارِ وَالضِّيَاءِ لِلرُّتَبِ

وَقَالَ بِهَذَا الْمَعْنَى سَيِّدُنَا أَبُو النَّوَّاسِ فِي إِحْدَى قَصَائِدِهِ:

إِذَا تَأَمَّلْتَ سَاقِنَا بَرَاحَتِهِ رَاحٌ — زَهَا حُسْنُهَا فِي لُؤْلُؤٍ حَبَبِ
رَأَيْتُ بَدْرَ الدُّجَى وَافَى بِشَمْسِ ضُحَىً — مُكَلَّلًا وَجْهُهُ بِالسَّبْعَةِ الشُّهُبِ

وَقَالَ أَيْضًا فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى بِهَذَا الْمَعْنَى قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ:

(1) يس: 40

كَأَنَّا وَسَاقِيْنَا وَكَاسَاتُ رَاحَاً شُمُوسٌ بِكَفِّ الْبَدْرِ مَا بَيْنَ أَنْجُمِ

وَقَالَ بِمِثْلِ هَذَا مُنْتَجَبُ الدِّينِ الْعَانِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ:

بَدْرُ دُجًى يَحْمِلُ شَمْسَ الضُّحَى وَقَدْ بَدَتْ مِنْ حَوْلِهَا الشُّهُبُ

وَالْآيَاتُ الْمَذْكُورَةُ عَنْ الْمَوْلَى الْبَاقِرِ عَزَّ عِزّهُ مِمَّا رَوَاهُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، ذَكَرَ ذَلِكَ صَاحِبُ الرِّسَالَةِ "الْمِصْرِيَّةِ" فِي الْبَابِ السَّادِسِ، وَشَوَاهِدُ مِثْلُ هَذَا لَوْ أَوْرَدْنَا بَعْضَهَا لَطَالَ الْخِطَابُ وَاتَّسَعَ الْكِتَابُ، فَإِذَا كَانَ ثَبُتَ الْقَوْلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَمِنْ أَقْوَالِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَزَّ عِزّهمُ مِمَّا أَوْضَحُوا بَيَانَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَمِنْ قَوْلِ سَيِّدِ طَرِيقَتِنَا الْخُصَيْبِيِّ، وَأَبِي النَّوَّاسِ، وَمِنْ أَقْوَالِ السَّادَةِ الْمُتَقَادِمِينَ الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَى كُلِّ تُحْفَةٍ، وَأَوْرَدُونَا إِلَى كُلِّ طُرْفَةٍ، أَنَّ الْقَافَ وَالشِّيْنَ هُمَا الْعَيْنُ وَالْمِيمُ، فَمَنْ تَكُونُ هَذِهِ الْأَرْبَعُ دُرَجٍ، الَّذِينَ عَلُوا فَوْقَ دُرْجِهِمْ، وَإِذَا كَانَ ثَبَتَ الْقَوْلُ أَنَّ هَذَيْنِ النَّيِّرَيْنِ نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَسَدَ الْقَوْلُ مِنْ وَجْهَيْنِ، وَيَجِيء فِي نَقْضِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا إِذَا قُلْنَا أَنَّ الْمَعْنَى وَالْإِسْمَ غَائِبَانِ، فَيَجِيئُ فِي نَقْضِ الْقَوْلِ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" إِنَّ الْخَمْسَةَ الْآلَافِ، الْعَالَمُ الْكَبِيرُ النُّورَانِيُّ، يَظْهَرُونَ لِظُهُورِ الْمَعْنَى وَيَغِيبُونَ لِغِيَابِهِ، وَقَدْ صَحَّ

الْقَوْلُ إِنَّهُ مَا ظَهَرَ الْمَعْنَى بِظُهُورٍ مِنَ الْقُبَّةِ الْأَدْمِيَّةِ إِلَى الْقُبَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ إِلَّا وَيَظْهَرُ مَعَهُ الِاسْمُ وَالْبَابُ وَالْأَيْتَامُ، بِالْوَقَائِعِ تَظْهَرُ مَعَهُ أَشْخَاصُ عَالَمِ النُّورِ بِصُوَرٍ بَشَرِيَّةٍ عَلَى مِثَالِ الصُّورَةِ الَّتِي يُظْهِرُهَا لِلْعِيَانِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ عَوَالِمُ النُّورِ ظَاهِرِينَ بِصُورَةٍ نُورَانِيَّةٍ، أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا مَعَهُمْ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: إِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَالِاسْمُ ظَاهِرَيْنِ وَهُمْ غَيْرُ هَذَيْنِ النَّيِّرَيْنِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَالِاسْمُ مِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ، وَأَنَّ الْخَمْسَةَ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ هُمُ الْخَمْسَةُ الْأَيْتَامُ، وَيَكُونُ الْخَمْسَةُ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ تَقْتَبِسُ نُورَهَا مِنَ الْأَدْنَى مِنْهَا فِي الْمَنْزِلَةِ، لِأَنَّ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ حَقِيقَةُ مَرَاتِبِهِمْ مِنَ الْمُخْتَصِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ، فَيَجِيءُ فِي نَقْضِ هَذَا الْقَوْلِ مَا رَوَاهُ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ فِي كِتَابِ "الْعُقُودِ" قَوْلُهُ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ:

«اِعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ النُّورَانِيَّ، الْخَمْسَةُ الْآلَافِ، لَا يَسْتَوِي اِثْنَانِ مِنْهُمْ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَرَجَةٌ لَا يَحِلُّهَا غَيْرُهُ، فَمَنْ رَفَعَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَنْ رُتْبَتِهِ، فَقَدْ خَالَفَ اللَّهَ الَّذِي رَتَّبَهُ، وَمَنْ أَحَادَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَنْ رُتْبَتِهِ، فَقَدْ ظَلَمَهُ».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ قَوْلَنَا هَذَا يَجِيءُ فِي فَسَادِ الْحِكْمَةِ، وَتَعْطِيلٌ عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ".

نَقُولُ لَهُ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ كَمَا تَقُولُ، بَلْ إِنَّمَا الْمُرَادُ عَلَى الْمُمْكِنِ، وَلَيْسَ أَرَادَ صَاحِبُ كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" أَنْ يُثْبِتَ الْقَوْلَ عَلَى هَذَيْنِ النَّيْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ إِنَّهُمَا نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، بَلْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ إِنَّهُمَا سُمِّيَ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ لِاقْتِبَاسِهِمَا مِنْ هَذَيْنِ النَّيْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، لِأَنَّ جَمِيعَ مَا يَأْتِي فِي الْقَوْلِ مِنْ الْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ وَالتَّقْدِيرِ وَالْعَجْزِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى النَّيْرَيْنِ، فَهُوَ وَاقِعٌ عَلَى هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ نَوْفَلُ بْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَيَكُونُ هَذَانِ النَّيرَانِ مُنَزَّهَيْنِ عَنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، كَمَا إِنَّ الْخِطَابَ الَّذِي ذَكَرَ بِهِ آدَمُ الَّذِي هُوَ الْمِيمُ، وَاقِعٌ عَلَى الْمُنَبَّأِ الَّذِي هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، كَمَا إِنَّهُ رُوِيَ إِنَّ خِطَابَ جِبْرَائِيلَ عِنْدَ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيُبَلِّغُ بِهِ الرَّسُولَ، وَالرَّسُولُ يُبَلِّغُ بِهِ الْعَيْنَ وَعِنْدَ الْمُحِقِّينَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَلَوْ جَازَ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا ظَنَّ أَهْلُ الظَّاهِرِ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ هُوَ الِاسْمُ، وَيَكُونُ جِبْرَائِيلُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ الرَّسُولِ، وَيَكُونُ الْعَيْنُ مُتَعَلِّمًا لَيْسَ عَلِيْمَاً، وَهَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ عِنْدَ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ تَلْبِيسٌ عَلَى أَهْلِ الظَّاهِرِ، وَكَذَلِكَ تَسْمِيَةُ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ بِالشِّينِ وَالْقَافِ تَحَجُّبَاً وَاسْتِتَارًا عَلَى النَّيْرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، لِأَنَّ السِّرَّ الْخَطِيرَ لَا يُبَاحُ لِلَجَمِّ الْغَفِيرِ .

......

الْبَابُ السَّابِعَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ الْأَسَامِي الْوَاقِعَةِ عَلَى الْبَابِ مِنْ أَسَامِي النَّيْرَيْنِ وَفَرْقُ حَدِّهِ مِنْ حَدَّيْهِمَا

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ وَحَبَّاكَ وَأَنَارَ بُرْهَانَكَ وَاجْتَبَاكَ، إِنَّنَا نَرَى الْبَعْضَ مِنَ الشِّيعَةِ يُجَادِلُونَ فِي الْقَوْلِ الَّذِي أَسْنَدْنَاهُ مِنْ قَوْلِ الْمَوَالِي فِي صَدْرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، مِنْ ظُهُورِ الْمَعْنَى فِي الصُّورَتَيْنِ النُّورَانِيَّةِ وَالْبَشَرِيَّةِ، وَهُوَ بَعْضُ الْأَبْوَابِ الْمَشْرُوحَةِ، وَكُنَّا نَحْنُ أَتَيْنَا فِي بَيَانِ احْتِجَاجِهِمْ فِي الْبَابِ الْآتِي تَقَدَّمَ شَرْحُهَا، وَلَكِنْ كَانَ الْقَوْلُ بِتَغْيِيرِ بَعْضِهِ عَنْ بَعْضٍ، فَجَعَلْنَا نُبَيِّنَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خِتَامُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَبِهَذَا أَجِدُ قَوْلَهُمْ وَبَيَانَ احْتِجَاجِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُ الْخَصْمِ الْمُجَادِلِ إِنَّ هَذِهِ الْحُجَجَ الَّتِي أَتَيْتُمُوهَا مِنْ ظُهُورِ الْمَعْنَى وَالْإِسْمِ فِي هَذَيْنِ النَّيْرَيْنِ، إِنَّهُ وَاقِعٌ عَلَيْهِمْ الْقَوْلُ مِنْ أَحَادِيثِ الْمَوَالِي وَأَسَانِيدِهِمْ، إِنَّهُمْ مِنْ ذَاتِيَّاتِ الْبَابِ، يَعْنِي بِهِ عَنْ كِيَانٍ و بَيَانٍ وَحَيْثٍ وَبَقَاءٍ وَمَاءٍ وَسَمَاءٍ وَشَمْسٍ وَقَمَرٍ وَسَلْسَلٍ و سَلْسَبِيلٍ وَجَابِرٍ وَجَبْرَائِيلٍ، فَكَانَ قَوْلُنَا لَهُ:

اِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ إِنَّ ذَاتِيَّاتِ الْبَابِ كِيَانٌ وَبَيَانٌ وَحَيْثٌ وَبَقَاءٌ لِآخِرِ الشَّرْحِ، لَمْ يَكُنْ مَعَ جُمْلَةِ الْأَسَامِي الْمَشْرُوحَةِ، لِأَنَّ الْأَسَامِي الْمَشْرُوحَةَ خِلَافُ النَّيْرَيْنِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّ السَّيِّدَ أَبَا شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَلَّ فِي كِتَابِ "الْأَكْوَارِ النُّورَانِيَّةِ" فِي نَصِّ الْقَوْلِ: «اِسْمُ الْبَابِ الْحَيْثُ، وَالْحَيْثُ هُوَ الْفَلَكُ، وَسَيْرُهُ وَوُقُوعُهُ وَبَيَانُهُ

وَأَسَامِي الَّتِي خِلَافَ النَّيِّرَيْنِ سَمَاءٌ وَمَاءٌ وَسَلْسَلٌ وَسَلْسَبِيلٌ وَجَابِرٌ وَجِبرَائِيلٌ، هِيَ الْبَابُ، وَصْفٌ وَاحِدٌ لَا غَيْرُ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنَّ النَّيِّرَيْنِ هُمَا ذَاتِيَّاتُ الْبَابِ مِنْ بَعْدِ مَعْرِفَةِ مَوْضِعِهِ، وَلَوْ جَازَ أَنَّ النَّيِّرَيْنِ هُمَا ذَاتِيَّاتُ الْبَابِ بَعْدَ مَعْرِفَةِ مَوْضِعِهِ، لَكَانَ قَدْ وَجَبَ أَنَّ الْجُرْمَيْنِ شَخْصٌ وَاحِدٌ وَانَّهُمَا الْبَابُ مِنْ دُونِ جُرْمِهِ»، وَهَذَا كَلَامٌ لَهُ تَصْرِيفٌ عِنْدَ الْعَارِفِينَ الْمُقِرِّينَ، وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْ كُتُبِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَزَّ عِزّهمُ، وَسَوْفَ تَأْتِي مِنْهَا بِحَسَبِ التَّيْسِيرِ، وَفِي نَصِّ هَذَا الْقَوْلِ يَقُولُ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ، رِوَايَتَهُ فِي كِتَابِ "الْعُقُودِ" قَالَ: «مَنْ رَفَعَ شَخْصًا عَنْ رُتْبَتِهِ فَقَدْ ظَلَمَهُ وَخَالَفَ اللَّهَ الَّذِي رَتَّبَهُ، وَمَنْ حَطَّ شَخْصًا عَنْ رُتْبَتِهِ فَقَدْ ظَلَمَهُ» وَقَوْلُهُ قَدَّسَنَا اللَّهُ بِهِ فِي دِيوَانِهِ بِوَصْفِ الْمَوَالِي عَزَّ عِزّهم حَيْثُ قَالَ:

مِـنْهُمْ رَسُـولُ اللَّهِ مِصْـبَاحُ الـدُّجَى ... شَـمْسُ النَّهَـارِ وَالضِّـيَاءُ الْمُرْتَسَـبْ

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾(١)، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ الْقَطِيعِيِّ عَنِ السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ الْوَلِيِّ الْبَاقِرِ عَزَّ عِزّه، وَهُوَ قَوْلُهُ: «**لَا يَنْبَغِي لِلرَّسُولِ أَنْ يُدْرِكَ مُرْسِلَهُ**» وَمِثْلُ هَذَا شَوَاهِدُ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ قَدَّمْنَا بَعْضَهَا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ مِنْ رِوَايَاتِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ عَزَّ عِزّهمُ، وَمِنْ كِتَابِ "الْأَكْوَارِ النُّورَانِيَّةِ"

(1) يس: 40

وَمِنْ قَوْلِ سَيِّدِنَا الْخَصِيبِيِّ، وَمِنْ قَوْلِ الشُّيُوخِ الْمُتَقَادِمِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْبَالِغِينَ، لَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ اتَّفَقَ الْقَوْلُ مِنَ الْجَمِيعِ أَنَّ الشِّينَ هِيَ الْإِسْمُ عَزَّ عِزّهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ يَجُوزُ أَنَّ الشِّينُ وَالْقَافَ حَالٌ وَاحِدٌ وَبِمَعْنَى دَلَائِلِهِمْ وَمَحْضِ رَسَائِلِهِمْ إِنَّ الشِّينَ الرَّسُولُ، وَالْقَافَ الْمُرْسِلُ، لِقَوْلِ مَوْلَانَا الْبَاقِرُ عَزَّ عِزّهُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ: «**لَا يَنْبَغِي لِلرَّسُولِ أَنْ يُدْرِكَ مُرْسِلَهُ**» فَهَلْ كَانَ الْمَوْلَى الْبَاقِرُ عَزَّ عِزّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ الْوَهْمُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُلْحِدُونَ، وَلَكِنْ يَعْلَمُ مَنْ وَقَفَ عَلَى رِسَالَتِنَا هَذِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَارِفِينَ فِي حَيَاتِنَا وَبَعْدَ وَفَاتِنَا أَنَّ الَّذِي تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ مِنْ تَسْمِيَةِ الْبَابِ كِيَانٌ وَبَيَانٌ وَحَيْثٌ وَبَقَاءٌ وَشَمْسٌ وَقَمَرٌ وَمَاءٌ وَسَمَاءٌ، إِلَى آخِرِ الشَّرْحِ، إِنَّهُ لَيْسَ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ الشِّينَ وَالْقَافَ حَالٌ وَاحِدٌ، وَهُمَا الْبَابُ، بَلْ كَمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ مِنْ رِوَايَةِ السَّيِّدِ أَبِي شُعَيْبٍ: «وَإِنَّمَا تَسْمِيَةُ الْبَابِ بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ تَشْرِيفًا لِلْبَابِ».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَتَى الْقَوْلُ فِي الشَّرْحِ أَنَّ الْبَابَ تَسَمَّى فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ ذَاتِيًّا.

نَقُولُ لَهُ: تُسَمَّى ذَاتِيًّا كَهَيْئَةِ مَنْ تَسَمَّى "عَلِيٌّ وَمُحَمَّدٌ"، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ أَوَّلُ الْأَسْمَاءِ، وَهُمَا الْمَعْنَى وَالِاسْمُ، فَإِذَا تَسَمَّى بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ شَخْصَانِ مِنْ أَبْنَاءِ الْبَشَرِ، فَهَلْ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَكُونَا بِمَقَامِ الْمَعْنَى وَالِاسْمِ، الَّذَيْنِ هُمَا أُسُّ الْبِدَا، تَعَالَى اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَإِنَّ الْقَافَ قَدَّمْنَا عَلَيْهِ الْقَوْلَ مِمَّا أَوْضَحَهُ سَيِّدُنَا أَبُو شُعَيْبٍ فِي "الْأَكْوَارِ

النُّورَانِيَّةِ": أَوَّلَ ظُهُورِ الْأَزَلِ بِاسْمِهِ، كَانَ الِاسْمُ ظَاهِرًا كَظُهُورِ الْأَزَلِ بِالْمُهِلِّ الْمُقْمِرِ الْمُبْدِرِ، وَهُوَ كَوْنُهُ قَبْلَ كَوْنِ الِاسْمِ، وَالْبَابُ إِذَا تَسَمَّى بِهِ الْبَابُ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ بُدُوُّ اِسْمِهِ لِلْبَابِ، وَيَكُونَ هُوَ هُوَ، فَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ الْمَوْلَى إِنَّهُ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ إِنَّ الشِّينَ وَالْقَافَ لَيْسَ هُمَا شَخْصًا وَاحِدًا وَلَيْسَ احَدُهُمَا يُدْرِكُ الْآخَرَ، إِذَا أَطْلَقْنَا عَلَيْهِمَا الْقَوْلَ أَنَّهُمَا ذَاتِيَّاتُ الْبَابِ، فَالْبَابُ بَابٌ وَاحِدٌ وَلَوْ تَسَمَّى بِأَلْفِ اِسْمٍ، وَهُوَ سَلْمَانُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ سَلْسَلٌ لَمْ يُدْرِكْ سَلْسَبِيلَ، وَجَابِرٌ لَمْ يُدْرِكْ جِبْرَائِيلُ، فَكَيْفَ يَكُونُ الشِّينُ وَالْقَافُ ذَاتًا وَاحِدَةً لِلْبَابِ، وَأَحَدُهُمَا لَمْ يُدْرِكِ الْآخَرَ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ، بَلْ إِنَّمَا صِحَّتُهُ كَمَا شَرَحَهُ السَّيِّدُ أَبُو شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كِتَابِ "الْأَكْوَارِ النُّورَانِيَّةِ" وَهُوَ تَصْدِيقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[1]، فَاذَا ثَبَتَ الْقَوْلُ مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا أَبِي شُعَيْبٍ أَنَّ الْقَدِيمَ أَبْدَى ظُهُورَ ذَاتِهِ بِالْمُهِلِّ الْمُقْمِرِ الْمُبْدِرِ الَّذِي هُوَ كَوْنُهُ وَنَعْتُهُ وَذَاتُ ظُهُورَاتِهِ، مِنْ أَيْنَ لِلْبَابِ أَنْ يَتَسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ الَّذِي هُوَ كُنْهُ الْقَدِيمِ وَنَعْتُهُ؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[2]، فَالْفَلَكُ هُوَ الْحَيْثُ الَّذِي حَدَّهُ لِلْوُجُودِ، وَهُمَا سَائِرَانِ فِيهِ.

(1) يس: 40
(2) يس: 40

وَمِمَّا يَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الْبَابَ هُوَ الْفَلَكُ، رِوَايَةُ السَّيِّدِ أَبِي سَعِيدٍ فِي كِتَابِ "الْمَعَارِفِ" بِإِسْنَادِهِ عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ: «**قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ** عَزَّ عِزّه **لِسَفِينَةٍ: لَقَدْ مَلَّكَكَ اللَّهُ عِلْمًا حَتَّى مَنَّاكَ فَأَنْتِ فَلَكُ اللَّهِ الْمَشْحُونُ**».

وَبِإِسْنَادِهِ عَنِ إِدْرِيسَ عَنْ زَيْدِ بْنِ طَلْحَةَ عَنْ جَابِرٍ عَنْ مَيْثَمٍ عَنْ عُمَرِ بْنِ الْحُمْقِ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ لِسَفِينَةَ: «**أَنْتَ فِيهِمْ أَوَّلًا، وَوَصِيهِمْ آخِرًا، فَأَنْتَ فَلَكُ اللَّهُ الْمَشْحُونُ**».

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ أَتَى الْقَوْلَ عَنِ الْمَوْلَى وَالْهُدَاةِ وَالشُّيُوخِ الثِّقَاتِ أَنَّ الْمِقْدَادَ تَسَمَّى بِاسْمِ الْفَلَكِ.

فَنَقُولُ لَهُ: هَذَا اِسْمٌ مَوْهُوبٌ مِنْ الْبَابِ تَشْرِيفًا لِلْمِقْدَادِ، كَمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ إِنَّ الْمَعْنَى إِذَا أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ اِسْمَهُ، يُغَيِّبُ الِاسْمَ تَحْتَ تَلَالِي نُورِهِ، وَيَظْهَرُ بِمِثْلِ صُورَتِهِ، وَكَذَلِكَ الِاسْمُ يُشَرِّفُ الْبَابَ بِظُهُورِهِ بِهِ كما شَرَّفَهُ مَعْنَاهُ، وَكَذَلِكَ الْبَابُ يُشَرِّفُ الْمِقْدَادَ، وَعَلَى مِثْلِ هَذَا جَرَى التَّشْرِيفُ، الْأَعْلَى يُشَرِّفُ الْأَدْنَى، الْحَدُّ بِالْحَدِّ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ جُنْدُبٍ بِرِوَايَتِهِ عَنْ عَمَّارٍ فِي كِتَابِ "الْأَكْوَارِ" قَوْلُهُ إِنَّهُ قَالَ عَمَّارٌ: «دَخَلْتُ عَلَى السَّيِّدِ الْأَكْبَرِ الِاسْمُ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ عَزَّ عِزّهُ، وَإِذَا عِنْدَهُ الْمِقْدَادُ، وَهُوَ يُحَدِّثُهُ، وَأَرَاهُ أَنَّهُ يَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِهِ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا بِأَحَدٍ، وَإِنِّي لِمُتَعَجِّبٌ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: **أَدْنُ**

مِنِّي يَا مِقْدَادُ، فَدَنَا مِنْهُ، فَمَدَّ يَدَهُ فَكَشَفَ عَنْ رَأْسِ الْمِقْدَادِ وَكَانَتْ لَهُ وَفْرَةٌ تَنْزِلُ عَلَى كَتِفَيْهِ، فَجَعَلَ مَوْلَايَ مُحَمَّدٌ يَفْتَحُ شَعْرَ وَفْرَتِهِ بِيَدَيْهِ وَأَرَاهُ كَأَنَّهُ يُصَفِّقُهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ، فَتَعَجَّبتُ لِذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ تَعَجُّبِي أَوَّلًا فَقَالَ لِي: **يَا عَمَّارُ، أَنَا اللّهُ، وَأَنَا نُورُ السَّمَوَاتِ، وَالسَّمَوَاتِ سَلْمَانٌ، وَأَنَا نُورُهُ، وَإِنِّي قَدَدْتُ الْمِقْدَادَ مِنْ نُورِي، فَأَنَا أَضْحَكُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ نُورِي وَالْمَشِيئَةُ بِيَدِي لِأَنَّهُ نُورِي، وَأَنَا أُحَدِّثُهُ لِأَنَّهُ نُورِي، أُنْظُرُ إِلَيْهِ وَتَبَيَّنْهُ** فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَتَبَيَّنْتُهُ فِي عَيْنَايَ فَإِذَا ذَاكَ سَلْمَانُ، فَقُلْتُ: هَذَا سَلْمَانُ وَأَنْتَ تَقُولُ لِي إِنَّهُ الْمِقْدَادُ، ثُمَّ قَالَ: **يَا عَمَّارُ مِنْ سَلْمَانَ قَدَدْتُهُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُشْبِهُ مَا قُدَّ مِنْهُ، وَإِنَّ سَلْمَانَ يَظْهَرُ بِالْمِقْدَادِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ، كَمَا أَظْهِرُ أَنَا بِسَلْمَانَ عِنْدَ إِرَادَتِي، نَعَمْ، وَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَظْهَرَ بِهِ ظَهَرْتُ، وَإِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَظْهَرَ لِمَنْ قَسَمْتُهُ مِنَ الْمِقْدَادِ عِنْدَ رِضَائِي بِهِ أَنْ أُقْسِمَهُ مِنْهُ، ظَهَرتْ، إِلَّا وَإِنِّي أُبْدِي إِرَادَتِي إِلَى الْمِقْدَادِ كَمَا يُبْدِي الْأَزَلُ إِرَادَتَهُ إِلَى سَلْمَانَ، وَأَظْهَرُ لَهُ كَما يَظْهَرَ لَهُ، وَأُحَادِثَهُ كَمَا يُحَادِثَهُ وَأُسِرُّ إِلَيْهِ كَمَا يُسِرُّ إِلَيْهِ، كُلُّ ذَلِكَ بِإِرَادَةِ الْأَزَلِ فِيهِ، وَاخْتِصَاصُهُ لَهُ وَلَوْ اِخْتِصَاصُهُ مَا اخْتَصَّهُ، كُلُّ ذَلِكَ يَا عَمَّارُ مَادَّةٌ مَورُودَةٌ، وَقُدْرَةٌ مَوْجُودَةٌ مِنِّي فِيهِ، اِعْرِفْهُ وَلَا تَذْهَبْ عَنْهُ.** فَقَالَ عَمَّارٌ: مَا رَأَيْتُ الْمِقْدَادَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا بِصُورَةِ سَلْمَانَ الَّتِي أَوْجَدَنِي إِيَّاهَا مَوْلَايَ، مَا حَالَ عَنْ عِيَانٍ وَلَا تَغَيَّرَ فِي كِيَانٍ».

فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِ مُحَمَّدِ بْنِ جُنْدُبٍ بِمَا نُقِلَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ

يَاسِرٍ، بِأَنَّ عَمَّارَ رَأَى الْمِقْدَادَ بَيْنَ يَدَيْ الْإِسْمِ وَهُوَ يُحَدِّثُهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِ وَيَصِفُّ لَهُ شَعْرَ وَفْرَتِهُ بِيَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَقَوْلِ السَّيِّدِ الْإِسْمِ: «**يَا عَمَّارُ أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا نُورُ السَّمَوَاتِ، وَالسَّمَوَاتُ سَلْمَانُ، وَأَنَا نُورُهُ، وَإِنِّي قَدَدْتُ الْمِقْدَادَ مِنْ نُورِي، وَأَنَا أُحَدِّثُهُ لِأَنَّهُ نُورِي، أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأُثْبِتُهُ**» وَقَوْلُ عَمَّارٍ: «فَتَبَيَّنْتُهُ فَوَجَدْتُهُ فِي عَيَانِ سَلْمَانَ بَعْدَ أَنْ كَانَ بِصُورَةِ الْمِقْدَادِ» وَقَوْلِ السَّيِّدِ الْإِسْمِ: «**يَا عَمَّارُ، فَمِنْ سَلْمَانَ قَدَدْتُ الْمِقْدَادَ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُشْبِهُ مَا قُدَّ مِنْهُ، إِنَّ سَلْمَانَ يَظْهَرُ بِالْمِقْدَادِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ، كَمَا أَظْهَرُ أَنَا عِنْدَ إِرَادَتِي بِسِلْمَانَ، وَإِنِّي أُبْدِي إِرَادَتِي إِلَى الْمِقْدَادِ كَمَا يُبْدِي الْأَزَلُ إِرَادَتُهُ إِلَى سَلْمَانَ، وَأَظْهَرُ لَهُ كَمَا أَظْهَرَ، وَأُحَادِثُهُ كَمَا يُحَادِثُهُ، وَأُسِرُّ إِلَيْهِ كَمَا يُسِرُّ إِلَيْهِ**» وَحَيْثُ قَوْلُ عَمَّارٍ: «مَا رَأَيْتُ الْمِقْدَادَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا بِصُورَةِ سَلْمَانَ» فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِلْقَوْلِ الَّذِي أَبْدَيْنَاهُ أَنَّ الْمِقْدَادَ يُسَمَّى بِاسْمِ الْفَلَكِ، كَمَا تَسَمَّى بِهِ السَّيِّدُ سَلْمَانُ بِالصِّفَةِ وَالْمَثْلِ، غَنَيْنَا عَنْ طُولِ الْكَلَامِ.

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمُ التَّسْخِيرُ فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ وَفَرْقِ حَدَّيْهِمَا عَنْ حَدَّيْ النَّيْرَيْنِ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّا نَرَى مَنْ يُجَادِلُ فِي أَيَادِي التَّسْخِيرِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، بِأَنَّ دَلِيلَ وُقُوعِهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى هَذَيْنِ النَّيْرَيْنِ اللَّذَيْنِ تَبَيَّنَ لَنَا مَعْرِفَتُهُمَا بِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ، فَلَمَّا عَلِمْنَا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْفِكْرُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ، أَحْوَجْنَا قِسْمُ الضَّرُورَةِ أَنْ نَأْتِيَ فِي بَيَانِ مَا اشْتَكَلَ عَلَى الْخَلْقِ مَعْرِفَتُهُ، وَنُبَيِّنَ مَعْرِفَتَهُ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ فِي الْآيَاتِ، وَفَرْقِ حُدُودِهِمَا عَنْ النَّيْرَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾[1]، وقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[2] وَفِي سُورَةِ الْفَاطِرِ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[3] وَمِثْلُ هَذَا آيَاتٌ عَدِيدَةٌ، فَيَعْلَمُ الْوَاقِفُ عَلَى الْآيَاتِ إِنَّ جَمِيعَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ ذِكْرُ التَّسْخِيرِ فِي جَمِيعِ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَى بِذِكْرِهَا الْبَارِي عَزَّ عِزّهُ لَيْسَتْ هِيَ عَلَى الْأَنْوَارِ السَّمَاوِيَّةِ، لِأَنَّ الْأَنْوَارَ السَّمَاوِيَّةَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ عَالَمُ النُّورِ، هُمْ عَالَمُ الْبَقَاءِ، وَمَعْصُومِينَ مِنَ الدَّنَسِ وَمِنَ الْعَيْبِ وَالرِّيبِ، لَا يُشَاوِبُهُمْ كَدَرٌ وَلَا يُمَازِجُهُمْ ضَرَرٌ، مُخَيَّرُونَ غَيْرُ مُضْطَرِّينَ،

(1) إبراهيم: 33
(2) النحل: 12
(3) فاطر: 13

وَمُحَقَّقٌ عِنْدَ الْعَارِفِينَ أَنَّ مِنْهُمْ الْخَمْسَةَ آلَافٍ الْعَالَمُ النُّورَانِيُّ، وَالْمَائَةُ أَلْفٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ أَلْفٍ الْعَالَمُ الرُّوحَانِيُّ.

وَعِنْدَنَا وَفِي كُتُبِ مَوَالِينَا وَتَشْهَدُ بِصِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ جَمِيعُ الْمِلَّةِ الْخَصِيبِيَّةِ وَالْفِرْقَةِ الشُّعَيبِيَّةِ إِنَّهُ إِذَا كَانَ شَخْصٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْبَشَرِ، الْعَالَمُ الْكَثِيفُ الْجُسْمَانِيُّ، اعْتَمَدَ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي كَرَّتِهِ وَرَجْعَتِهِ وَتَخَلَّصَ مِنْ دَارِ الشَّقَاءِ، وَرَقِيَ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ مَعَ عَالَمِ الصَّفَا، تَنَزَّهَ عَنْ الْهَيْئَةِ الْجُسْمَانِيَّةِ، وَيَهِبُهُ مَوْلَاهُ حُلَّةً نُورَانِيَّةً، وَيَبْقَى مُخَيَّرًا فِي دَارِ الْبَقَا مَعَ عَالَمِ الصَّفَا، إِنْ أَرَادَ لِلسَّمَاءِ يَصْعَدُ، وَإِنْ أَرَادَ لِلْأَرْضِ مَالَهُ مَانِعٌ وَبِهَذَا شَهِدَ سَيِّدُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخَصِيْبِيُّ فِي أَوَّلِ دِيوَانِهِ الْمَحْضِ بَعْدَ ذِكْرِ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ وَالْعَالِمِ الرُّوحَانِيِّ، قَالَ قَدَّسَ اللَّهُ الْعَلِيُّ سِرَّهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، وَهَذَا مِنْ شِعْرِهِ:

وَبَاقِي الْخَلْقِ مَنْقُولٌ وَمُنْتَسَخٌ ... مَا بَيْنَ ذِي ظُلْمٍ أَوْ نَيِّرٍ يَقِدِ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ يَتْلُوهُ ثَانِيَهُ ... إِلَى الثَّمَانِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
فَالنَّيِّرُونَ إِلَى نُورِيَّةٍ رُفِعُوا ... فِي الْقُدْسِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْعَمَدِ
مُحَكَّمُونَ لَهُمْ تَخْيِيرُ أَنْفُسِهِمْ ... مَا يَشْتَهُونَ مِنْ الْجَنَاتِ فِي خُلَدِ
وَفِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ دَائِمٍ أَبَدًا ... فِي ظِلِّ طُوبَى وَعَيْشِ وَاصِلٍ رَغَدِ
إِنْ آثَرُوا حَالَةَ الدُّنْيَا تَكُنْ لَهُمُ ... أَوْ عِصْمَةٌ عُصِمُوا مِنْ ثَائِرٍ نَكِدِ[1]
لَا يَحْزَنُونَ وَلَا يَخْشَوْنَ بَائِقَةً ... وَلَا يَخَافُونَ سُوءًا آخِرَ السَّنَدِ

(1) في الديوان: سائِرِ النَّكَدِ.

فَيَالَيْتَ شِعْرِي إِذَا كَانَ شَخْصٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْبَشَرِ الَّذِينَ هُمْ عَالَمُ الْفَنَاءِ خَلُصَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ مِنْ كَثَافَاتِ الْأَبْدَانِ، وَرَقِيَ إِلَى مَحَلِّ الْجِنَانِ مَعَ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ، يَكُونُ هَذَا جَزَاؤُهُ مِنَ الرَّحْمَنِ، وَيَكْفِيهِ مُؤْنَةُ الْحُطَامِ وَتَكَالِيفُ الْأَيَّامِ، وَيَعُودُ مُخَيَّرًا لَا يَمْنَعُهُ عَمَّا يَخْتَارُ مَانِعٌ، وَلَا يُنَازِعُهُ مُنَازِعٌ، فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى عَالَمِ النُّورِ الَّذِينَ هُمُ الْعَالَمُ الصَّغِيرُ الرُّوحَانِيُّ الْكَائِنُ امْتِدَادُهُمْ مِنْ نُورِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ، وَامْتِدَادُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ مِنْ نُورِ الْبَابِ، وَامْتِدَادُ نُورِ الْبَابِ مِنْ نُورِ الْحِجَابِ وَامْتِدَادُ نُورِ الْحِجَابِ مِنْ نُورِ ذَاتِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، فَكَيْفَ يَكُونَانِ مُسَخَّرَيْنِ لَنَا مُكَلَّفَيْنِ لِإِصْلَاحِنَا، وَنَحْنُ عَالَمُ الْمِزَاجِ، وَمِنَّا الْمُخَالِفُ وَالْآبِقُ وَالْفَاسِقُ وَالْعَائِقُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ. فَيَعْلَمُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَلُبٌّ وَأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ أَنَّ التَّسْخِيرَ وَالتَّكْلِيفَ وَاقِعٌ بِهَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ الدَّائِبَيْنِ الْمُسَخَّرَيْنِ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ، وَهُمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ، وَهُمَا بِشَخْصِ الشِّينِ وَالْقَافِ مَضْرِبُ الْمَثَلِ بِذَمٍّ، وَهُمَا الْأَوَّلُ وَالثَّانِي، وَبِهَذَا قَالَ لَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزُّهُ[1]: «**لَا تَغْضَبَا، أَنْتُمَا شَمْسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقَمَرُهَا**» وَقَالَ أَيْضًا: «**لَعَنَ اللَّهُ شَمْسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقَمَرَهَا**» وَقَالَ أَيْضًا رَسُولُ اللَّهِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ وَسَهَفٌ عَنْ يَمِينِهِ وَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي عَنْ شِمَالِهِ: «**مَعَاشِرَ الْحَضْرَةِ أُعْلِمُكُمْ أَنَّهُ رَبِّي**» وَأَوَّمَأَ بِيَدِهِ إِلَى سَهْفٍ «**أَنْزَلَ عَلَيَّ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، وَأَلْزَمَنِي قِرَاءَتَهَا وَتَفْسِيرَهَا بَاطِنًا وَظَاهِرًا**» فَقَالُوا: «**قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ**» فَقَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَقَالَ:

---

(1) قول الرسول عزَّ عِزّهُ، وهو ما سيأتي لاحقاً

«**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**» وَأَوْمَأ إِلَى سَهْفٍ، «﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ**﴾» وَأَوْمَأ بِيَدِهِ إِلَى الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، «﴿**وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾» وَأومَأ بِيَدِهِ إِلَى سَهْفٍ. يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صَوْحَانَ فِي كِتَابِ "التَّنْزِيهِ" بِروَايَتِهِ عَنْ الْمَوْلَى الْحَسَنِ الأَوّلِ المُجْتَبَى عَزَّ عِزّهُ قَالَ: «**إِنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ هُمَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**» وَقَدْ دَلَّ الْمَوَالِي أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ سُمُّوا فِي أَسَامِي هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ، لِأَنَّهُمَا شَخْصَيْهِمَا، وَقَدْ دَلَّ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ فِي قَوْلِهِ حَيْثُ قَالَ: «**لَعَنَ اللَّهُ شَمْسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَقَمَرَهَا**» عَنَى بِقَوْلِهِ عَلَى الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ رِوَايَةُ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ بِرِوَايَتِهِ عَنْ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ، قَالَ جَابِرٌ: «دَخَلْتُ عَلَى مَوْلَايَ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ طَاسَتَانِ، أَحَدُهُمَا ذَهَبٌ، وَالثَّانِيةُ فِضَّةٌ، وَهُوَ يَقْرَعُ هَذِهِ فِي إِصْبَعِهِ وَيُثْنِي فِي الْأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: **يَا جَابِرٍ هَلْ تَعْرِفُهُمَا؟** فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ لَا أَعْرِفُهُمَا إِلَّا رُؤْيَا الْعَيْنِ، فِضَّةٌ وَذَهَبٌ، فَقَالَ: **يَا جَابِرُ فَهَلْ هُمَا مَحْمُودَانِ أَمْ مَذْمُومَانِ؟** فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ لَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمْتَنِي وَأَنْتَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، فَقَالَ: **يَا جَابِرُ، لَعَنَهُمَا اللَّهُ وَلَعَنَ مَنْ يُحِبُّهُمَا فَهُمَا الْأَوَّلُ وَالثَّانِي**». فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى أَقَاوِيلِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ فِيمَا بَيَّنُوا مِنْ الْحُجَجِ الْمَشْهُورَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ الَّتِي يَشْهَدُ لَهَا صِحَّةُ الْعَقْلِ وَيَنْقَطِعُ دُونَهُمَا الْعُذْرُ بِأَنَّهُمَا هَذَانِ الْحَجَرَانِ الْمَذْكُورَانِ وَشَخْصَاهُمَا تَسَمَّيَا فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ عَنْ مَوْلَايَ فِي حُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ فِي مَعْرِفَةِ هَذَيْنِ النَّيِّرَيْنِ، أَنَّهُمَا الْعَيْنُ وَالْمِيمُ،

كَمَا بَيَّنَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنَّ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ هُمَا الْأَوَّلُ وَالثَّانِي، وَأَنَّ اِسْمَيْ النَّيْرَيْنِ وَاقِعَانِ عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَتَلَقَّبَا بِهِمَا، كَمَا هُوَ وَاقِعٌ فِي وُجُودِ الْبَشَرِ اسْمَ الإِمَامِيَّةِ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، وَتَلَقَّبَا بِهِمَا الْحَدُّ فِي الْحَدِّ، وَإِنَّ فِي قَوْلِهِ وَاللَّهِ فَرْقًا فِي حَالِ اسْمَيْهِمَا عَنْ إِحْدَى النَّيْرَيْنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾[1]، فَدَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" إِنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ الضِّدُّ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ هُمَا الْأَوَّلُ وَالثَّانِي؟ نَقُولُ لَهُ: إِنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ إِذَا تَخَلَّصَتْ رُوحَاهُمَا مِنَ الْقُمُصِ الْبَشَرِيَّةِ، تَعُودُ إِلَى الْخَاءَاتِ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الرَّسْخِ بَعْدَ سُلُوكِ رُوحَيْهِمَا فِي النَّسْخِ وَالْفَسْخِ وَالْمَسْخِ وَالْوَسَخِ تَعُودُ إِلَى الرَّسْخِ وَالسَّبْكِ فِي الْبَوَادِيقِ وَالدَّقِّ فِي الْمَطَارِقِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ، إِلَى لِقَاءِ الْقَائِمِ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ مَوْلَانَا الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الصِّرَاطِ" حَيْثُ قَوْلُهُ: «**فَالذَّهَبُ بِشَخْصِ الثَّانِي، الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، وَهُوَ إِبْلِيسُ الْأَبَالِسَةِ، وَهُوَ أَصْلُ الطُّغْيَانِ وَالْكُفْرِ، وَهُوَ أَظْلَمُ فِي كَوْنِهِ وَكَظْمِهِ وَكَدَرِهِ، وَالْفِضَّةُ بِشَخْصِ الْأَوَّلِ، وَالْأَوَّلُ كَانَ يَتْبَعُ طَاعَةَ الثَّانِي، فَقَالَ الْأَوَّلُ: لِي شَيْطَانٌ يَعْتَرِينِي، فَإِذَا مِلْتُ عَدِّلْنِي، وَهُوَ الثَّانِي لَعَنَهُ اللَّهُ، وَالْحَدِيدُ شَخْصُ الثَّالِثِ، أَلَا تَرَى إِلَى شِدَّةِ الْحَدِيدِ وَظُلْمَتِهِ وَشِدَّتِهِ فِي كَوْنِهِ، وَهُوَ أَظْلَمُ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ، وَهُوَ الَّذِي وَازَرَ الثَّانِيَ وَعَاضَدَهُ وَتَابَعَهُ وَبَايَعَهُ**

---

(1) القيامة: 7-8

وَكَتَبَ لَهُ فِي الصَّحِيفَةِ أَنْ لَا يُطِيعُوا مُحَمَّدًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي غَلَبَ وَتَغَلَّبَ عَلَى الْخِلَافَةِ وَغَسَلَ الْمَصَاحِفَ وَنَفَى أَبَا ذَرٍّ، وَأَوَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُوَ الَّذِي كَانَ نَفَاهُ الرَّسُولِ وَنَفَى بَنِيهِ، وَكَفَلُوهُمْ أَتْبَاعُ الثَّلَاثَةِ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِهِ وَقَوْمِهِ، وَالرَّصَاصُ أَشْخَاصُ أَبْنَاءِ الْعَبَّاسِ الْمُتَلَبِّسِينَ بِالْخِلَافَةِ، الْمُتَسَمَّايِينَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ أَلْعَنُ الْجَمِيعِ، وَالنُّحَاسُ هُوَ بِشَخْصِ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ نَصَّبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلضَّلَالَةِ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ، وَصَدُّوا الْعَالَمَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَمَا أَوْرَدُوهُ مِثْلُ أَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ وَالشَّافِعِيِّ وَأَبِي حُنَيْفَةَ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَمْثَالِهِمْ، وَأَمَّا الْحِجَارَةُ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الرُّسُوخِ فَهُمْ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ».

فَاسْمَعْ لِقَوْلِ الْمَوْلَى جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ بِمَا دَلَّ بِمَعْرِفَةِ الْمَعَادِنِ الَّتِي تَسَمَّى بِهَا الْأَشْخَاصُ الثَّلَاثَةُ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ جِنْسِهِمْ وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ أَنَّ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ بِشَخْصِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، لِأَنَّهُمَا هَذَانِ الْحَجَرَانِ أَعْلَى مَعَادِنِ شَكْلِهِما، وَهُوَ ذَلِكَ عَلُوُّ دَرَجَةِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فِي مَنْزِلَةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى مَنْ كَانَ دُونَهُمَا بِالْكُفْرِ وَالْجَهَالَةِ، فَجَعَلَ اللَّهُ حَجَرَيْهِمَا أَعْلَى الْمَعَادِنِ وَأَسْنَاهَا، وَسُمُّوْا رُؤَسَاءَ فِي شَكْلِ الْجِنْسَيْنِ جِنْسِ الْآدَمِيِّينَ وَجِنْسِ الْمَعَادِنِ، وَهُوَ سَبَبُ وُقُوعِ التَّسَمَيْةِ لَهُمَا بِاسْمِ الشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِمَا النُّطْقُ فِي الْقُرْآنِ بِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ آيَاتِ التَّسْخِيرِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى وُقُوعِ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى النَّيْرَيْنِ؟

نَقُولُ لَهُ: وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، لَيْسَ يُمْكِنُ صِحَّةُ الْقَوْلِ أَنْ يَقَعَ التَّسْخِيرُ عَلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، إِلَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَأَعْلَى دَرَجَةً، وَأَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى اللَّهِ وَسِيلَةً، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ يَكُونُونَ مُسَخَّرِينَ لَنَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَيْرَةِ وَالتَّيْهَانِ وَالشَّكِّ بَعْدَ الْعِرْفَانِ، بَلْ إِنَّ التَّسْخِيرَ وَاقِعٌ عَلَى هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ الْمُسَخَّرَيْنِ بِأَيْدِي بَنِي آدَمَ، وَبِهِمْ تُقْضَى سَائِرُ الْحَوَائِجِ وَاللَّوَازِمِ لِبَنِي آدَمَ، وَبِهِمْ تَقُومُ نُفُوسُ الْجَبَابِرَةِ وَتَعْتُوا نُفُوسُ الْمُتَمَرِّدِينَ الْكَافِرِينَ، وَبِهِمْ يَتَسَلَّطُونَ بِالظُّلْمِ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُمْ، وَبِهِمْ يَرْتَكِبُونَ دُرُوبَ الْمَعَاصِي وَالْفَوَاحِشِ وَالذُّنُوبِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ السَّيِّدُ الْخَصِيبِيُّ فِي رِسَالَتِهِ "الرُّسْتُبَاشِيَّةِ" عَنِ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزُّهُ وَقَوْلُهُ فِيمَا إِنَّهُمْ رَسَخُوا فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَرُدِّدُوا فِي الْمَعَادِنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾(1) وَلَمْ يَكُنْ فِي صُدُورِهِمْ أَكْبَرُ مِنَ الدَّرَاهِمِ قَدْرًا وَلَا أَرْفَعُ وَلَا أَعْلَى مَنْزِلَةً، وَكَذَلِكَ هُمْ فِي الرَّسْخِ مَحْبُوبُونَ وَعَبَدُوهُمْ وَاتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا، وَقَالَ الْمَوْلَى عَزَّ عِزُّهُ: **«مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا عَبَدَهُ»** وَالْمُحِبُّ لِلَّهِ فَلَهُ يَعْبُدُ، وَمَا فِي نُفُوسِ جَمِيعِ مَعَاشِرِ الطُّغَاةِ أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَالرُّسُوخِيَّةِ، وَكُلَّمَا وَصَلَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ عَلَى الْأَعَاظِمِ مِنْهُمْ عَظُمَ قَدْرُهُ عَلَيْهِمْ، وَسَمُوْهُ

---

(1) الإسراء: 50

لَدَيْهِمْ، وَاشْتَدَّ بِهِ عُتُوُّهُمْ وَطُغْيَانُهُمْ عَلَى جِهَةِ مَا مَدَّتْ إِلَيْهِ ذَاتُهُما وَاحْتَوَتْ عَلَيْهِ حِلَاتُهُمَا، وَمَازَجَتْ جَوْهَرُهُ بِظُلْمَتِهِمَا، وَهُوَ كُلَّمَا وَثِقَ بِهَا وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا تَنَاقَصَ عَنْ طَلَبِ وُجُودِ الْخَلَاصِ، وَتَأَخَّرَ عَنْ الْحَقِيقَةِ وَقَامَ عَلَى الضَّلَالِ، وَقَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزُّهُ: «**لَسَوْفَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَكُونُ أَحَدُكُمْ بِدِرْهَمِهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِرَبِّهِ**» فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ بِالضِّدِّ يَكُونُ أَشَدَّ إِيمَانًا وَأَوْثَقَ عَزْمًا وَأَوْضَحَ يَقِينًا، وَقَالَ أَيْضًا: «**مَنْ عَزَّ عَلَيْهِ دِرْهَمُهُ، هَانَ عَلَيْهِ أَخُوهُ، وَمَنْ عَزَّ عَلَيْهِ أَخُوهُ، هَانَ عَلَيْهِ دِرْهَمُهُ**».

وَنَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿دَآئِبَيْنِۖ﴾[1] أَيْ سَائِرِينَ بَيْنَ أَيْدِي بَنِي آدَمَ وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓۚ﴾[2] فَهُمْ زُحَلُ وَمُشْتَرِي وَمِرِّيخٌ وَزُهْرَةٌ وَعُطَارِدٌ، وَهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ زُحَلُ الرَّصَاصُ، وَالْمُشْتَرِي الْقَصْدِيرُ، وَالْمِرِّيخُ الْحَدِيدُ، وَالزُّهْرَةُ النُّحَاسُ، وَعُطَارِدُ الزِّئْبَقُ وَأَسْمَاؤُهُمْ هَذِهِ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ بِعِلْمِ جَابِرٍ، فَهُمْ هَذِهِ الْمَعَادِنُ الْمُسَخَّرَاتُ لِبَنِي آدَمَ، وَبِهِمْ تُقْضَى حَوَائِجُ الْخَلِيقَةِ مِنْ حَالِ الْمَعَاشِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾[3] فَالْأَجَلُ هُوَ ظُهُورُ الْقَائِمِ، فَعِنْدَ ظُهُورِ الْقَائِمِ، تَبْطُلُ الْمُعَامَلَةُ بِالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، وَتَنْقَطِعُ دُوَلُهُمْ وَدَوْلَةُ أَصْحَابِهِمْ، وَمَنْ هُمْ أَشْخَاصُهُمْ.

---

(1) إبراهيم: 33
(2) النحل: 12
(3) الرعد: 2

الْبَابُ التَّاسِعَ عَشَرَ
فِي مَعْرِفَةِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ وَمَعْرِفَةِ حَدَّيْهِمَا مِنْ حَدَّيْهِمَا

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ نَوْفَلَ ابْنَ الْحَارِثِ وَمُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَدْ ذَكَرَهُمَا صَاحِبُ كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالْدُّرُجِ" أَنَّهُمَا شَمْسٌ وَقَمَرٌ.

نَقُولُ لَهُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

اِعْلَمْ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ هَذَيْنِ الْوَلِيَّيْنِ وَاقِعٌ عَلَيْهِمُ النَّصُّ فِي كِتَابِ "الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ" بِأَنَّهُمَا مُخْتَارَانِ رُؤَسَاءِ دَرَجَتَيْنِ مِنْ دُرُجِ الْأَبْوَابِ وَالْأَيْتَامِ، وَحَقِيقَةُ مَرَاتِبِهِمْ مِنَ الْمُخْتَصِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ مِنْ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَقْتَبِسُونَ أَنْوَارَهُمْ مِنْ عَمُودِ الشَّبَحِ، مِنَ الْأَرْبَعِ دُرُجٍ مِنْ فَوْقِ دَرَجِهِمْ، قَالَ الْمُفَضَّلُ: «قُلْتُ سَيِّدِي فَمَا هَذَا الَّذِي يُسَمَّى عَمُودَ الشَّبَحِ؟ **قَالَ: الدُّرُجُ الْأَرْبَعُ، لِأَنَّ الَّذِي فَوْقَ دَرَجَةِ الشُّمُوسِ دَرَجَةُ الْأَنْوَارِ وَالسِّمَارِ وَالْحُجُبِ وَالْأَسْمَاءِ، فَالْأَسْمَاءُ تَقْتَبِسُ عِلْمَهَا مِنْ اللَّهِ وَتُلْقِيهِ**(١) **إِلَى الْحُجُبِ، وَالْحُجُبُ تُلْقِيهِ إِلَى الْآيَاتِ، وَالْآيَاتُ تُلْقِيهِ إِلَى الْأَنْوَارِ، وَالْأَنْوَارُ تُلْقِيهِ إِلَى الشُّمُوسِ وَالشُّمُوسُ تُلْقِيهِ إِلَى الْأَقْمَارِ، وَكُلٌّ مِنَ اللَّهِ فِي مَزِيدٍ**» وَقَدْ أَثْبَتَ فِي آخِرِ

(1) في هامش المخطوطة: وقيل تلقيه إلى السمار.

شَرْحِهِ أَنَّ الشَّمْسَ أَبُو عُبَيْدَةَ نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْقَمَرَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ الْعَبْدِيُّ، فَانْظُرْ يَا أَخِي بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ كَيْفَ قَوْلُهُ أَنَّ الشَّمسَ وَالْقَمَرَ يَقْتَبِسَانِ أَنْوَارَهُمَا مِنْ عَمُودِ الشَّبَحِ مِنَ الْأَرْبَعِ دُرُجٍ الَّتِي فَوْقَ دَرَجِهِمْ، وَاللَّهُ عَزَّ شَأْنُهُ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قَصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾(١) وَقَدْ تَحَقَّقَ عِنْدَ كُلِّ الْمِلَّةِ الْخَصِيبِيَّةِ أَنَّ الْعَيْنَ الْحَمِيئَةَ هِيَ الْمَعْنَى، وَلَا يَغْرُبُ بِمَعْنَاهُ عَنْ قُدْرَتِهِ إِلَّا الْمِيمُ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾(٢)، وَقَدْ تَحَقَّقَ عِنْدَ الْمِلَّةِ الْخَصِيبِيَّةِ أَنَّ امْتِدَادَ الظِّلِّ هُوَ ظُهُورُ الْمَعْنَى بِالصُّورَةِ الْمَرْئِيَّةِ، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا أَيْ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ غَيْبًا، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾(٣) هُوَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ عَزَّ عِزّهُ، دَلَّ عَلَى مَعْنَوِيَّةِ مَوْلَاهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ نَادَى مُصَرِّحًا فِي يَوْمِ خَمَّ الْغَدِيرَ عَلَى رُؤُسِ الْأَشْهَادِ سَمِعَهُ الْحَاضِرُ وَالْغَائِبُ، وَمَنْ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْقِبْلَةِ وَالشَّمَالِ، وَمَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَفْهَمُ كُلُّ ذِي لُغَةٍ بِلُغَتِهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ(١) إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾(٤)، هُوَ إِغْرَابُهُ بِهِ، لِأَنَّ بُدُوَّهُ مِنْهُ وَمُعَادَهُ إِلَيْهِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ آيَاتٌ عَدِيدَةٌ وَأَخْبَارٌ مَدِيدَةٌ مِنْ كُتُبِ مَوَالِينَا أَهْلِ الْبَيْتِ، وَمِنْ أَقْوَالِ الشَّيْخِ(٥) الْبَالِغِينَ وَالثِّقَاةِ الْعَارِفِينَ، وَالرِّجَالِ الْمُوَحِّدِينَ، تُنْبِي عَنْ

---

(1) الكهف: 86
(2) الفرقان: 45
(3) الفرقان: 45
(4) الفرقان: 46
(5) الشيوخ.

الشِّينِ أَنَّهَا هِيَ السَّيِّدُ الْمِيمُ عَزَّ عِزّهُ، فَإِذَا كَانَ ثَبَتَ الْقَوْلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ وَمِنْ أَخْبَارِ النَّبِيِّينَ وَأَقْوَالِ الْمُوَحِّدِينَ أَنَّ الشِّينَ هِيَ الِاسْمُ الْعَظِيمُ وَالْحِجَابُ الْكَرِيمُ، مَنْ تَكُونُ هَذِهِ الْأَرْبَعُ دُرُجٍ الَّتِي تَعْلُو عَلَى دَرَجَةِ الشِّينِ، وَلَكِنْ يَعْلَمُ مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ أَنَّ قَوْلُ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ فِي تَرْتِيبِ الْأَشْخَاصِ، لَهُ بَاطِنٌ غَيْرُ الظَّاهِرِ، لِأَنَّ فِي حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ الْبَابُ وَاحِدٌ أَبَدًا، وَالْأَيْتَامُ خَمْسَةٌ أَبَدًا، وَالنُّقَبَاءُ اثْنَى عَشَرَ أَبَدًا، الْأَشْخَاصِ مِنْ كُتُبِ الْمَوَالِي، لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمْ عَنْ رُتْبَتِهِ وَلَا يَنْقُص، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ لَا يَحِلُّهُ غَيْرُهُ، وَكُلُّ شَخْصٍ مِنْهُمْ لَا يَعْلُو عَلَيْهِ مَنْ هُوَ دُونَهُ، فَبَقِيَ الْقَوْلُ إِنَّ الْأَرْبَعَ دُرُجٍ الَّذِينَ هُمُ الْأَبْوَابُ وَالْأَيْتَامُ وَالنُّقَبَاءُ.

---

(١) لَا يَغِيبُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٍ فِي مَعْنَاهُ، وَيَصِيرَانِ شَيْئًا وَاحِدًا وَاخْتِلَاطً وَمُمَازَجَةً، كَلَّا، بَلْ يَغِيبُ عِلْمُ مُحَمَّدٍ عَنْ إِدْرَاكِ مَعْنَاهُ، وَقَوْلُنَا مَعَادُهُ إِلَيْهِ يَعْنِي لَا يَفْعَلُ الِاسْمُ شَيْءً إِلَّا بِأَمْرِ مَعْنَاهُ إِلَى أَنْ عَادَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ.

وَالنُّجَبَاءُ، أَجَلُّ مَرَاتِبِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ النُّورَانِيِّ الْخَمْسَةُ آلَافٍ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْخَاصِ الدَّاخِلَةِ فِي تَرْتِيبِ الْبَابِ، وَالْأَيْتَامِ الْخَمْسَةِ، وَالنُّقَبَاءِ الِاثْنَى عَشَرَ، وَالنُّجَبَاءِ الثَّمَانِيَةِ وَعِشْرُونَ، إِذَا أَثْبَتْنَا أَنَّ اقْتِبَاسَهُمْ مِنَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي حَلُّوا بِهَا يَكُونُ اقْتِبَاسُ الْأَعْلَى مِنَ الْأَدْنَى، وَهِيَ الْأَشْخَاصُ الدَّاخِلَةُ فِي رُتْبَةِ الْبَابِ الَّتِي هِيَ دُونَ الْبَابِ، إِنْ ثَبَتَ الْقَوْلُ إِنَّ اقْتِبَاسَهُمْ مِنَ الْبَابِ فَتَكُونُ الْأَشْخَاصُ الدَّاخِلَةُ مِنْ الْخَمْسَةِ الْآلَافِ فِي رُتْبَةِ الْبَابِ وَاسْطِةٌ بَيْنَ الْبَابِ وَالْأَيْتَامِ، وَالْأشْخَاصُ الدَّاخِلَةُ مِنَ الْخَمْسَةِ الْآلَافِ فِي رُتْبَةِ الْأَيْتَامِ الَّتِي هِيَ دُونَ الْأَيْتَامِ الْخَمْسَةِ، إِذَا ثَبَتَ اقْتِبَاسُهُمْ مِنَ الْأَيْتَامِ فَيَكُونُونَ وَاسِطَةً بَيْنَ الْأَيْتَامِ وَالنُّقَبَاءِ، وَالْأَشْخَاصُ الدَّاخِلَةُ مِنَ الْخَمْسَةِ آلَافٍ فِي رُتْبَةِ النُّقَبَاءِ الَّتِي هِيَ دُونَ النُّقَبَاءِ الِاثْنَى عَشَرَ، إِذَا ثَبَتَ الْقَوْلُ إِنَّ اقْتِبَاسَهُمْ مِنْ النُّقَبَاءِ، فَيَكُونُونَ وَاسِطَةً بَيْنَ النُّقَبَاءِ وَالنُّجَبَاءِ وَالْأَشْخَاصُ الدَّاخِلَةُ مِنَ الْخَمْسَةِ الْآلَافِ فِي رُتْبَةِ النُّجَبَاءِ الَّتِي هِيَ دُونَ النُّجَبَاءِ الثَّمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ، إِذَا ثَبَتَ الْقَوْلُ إِنَّ اقْتِبَاسَهُمْ مِنَ النُّجَبَاءِ فَيَكُونُونَ وَاسِطَةً بَيْنَ النُّجَبَاءِ وَالْمُخْتَصِّينَ، وَهَكَذَا يَجْرِي فِي هَذَا الْمَجْرَى إِلَى آخِرِ الْمَرَاتِبِ. فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى تَرْتِيبِ الْأَشْخَاصِ فِي الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ بِمَا دَلَّ الْقَوْلُ فِي اخْتِلَافِ اقْتِبَاسِهِمْ، لِأَنَّ بَيَانَ الْقَوْلِ إِنَّ اقْتِبَاسَهُمْ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَمِنْ هَا هُنَا اخْتَلَفَ اقْتِبَاسُ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ وَمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ بِمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ عَنْهُمْ، لِأَنَّ مَعْرِفَةَ اقْتِبَاسِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ فِي الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ فِي الظَّاهِرِ الْأَعْلَى يَقْتَبِسُ مِنَ الْأَدْنَى، وَفِي اقْتِبَاسِهِمْ فِي الْبَاطِنِ، الْأَدْنَى يَقْتَبِسُ مِنَ

الْأَعْلَى، هَكَذَا جَرَى تَرْتِيبُ الْأَشْخَاصِ، وَهَذَانَ الشَّخْصَانِ نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ سُمِّيَ رُؤَسَاءَ دَرَجَتَيْنِ مِنْ جِهَةِ اقْتِبَاسِهِمُ الظَّاهِرُ، لَيْسَ مِنْ جِهَةِ اقْتِبَاسِهِمُ فِي الْبَاطِنِ، وَإِذَا ثَبَتَ الْقَوْلُ إِنَّهُمْ سُمُّوْا رُؤَسَاءَ مِنْ اِقْتِبَاسِ الْبَاطِنِ فَيَدُلُّ الْقَوْلُ إِنَّ الْخَمْسَةَ كَوَاكِبِ النُّجُومِ السَّيَّارَةِ تَقْتَبِسُ نُورَهَا مِنَ الْأَدْنَى مِنْهَا مَنْزِلَةً، لِأَنَّ الْخَمْسَةَ النُّجُومِ السَّيَّارَةِ هُمُ الْخَمْسَةُ الْأَيْتَامُ، وَهُمْ رُؤَسَاءُ الْمَلَائِكَةِ، وَهَذَانَ الشَّخْصَانِ حَقِيقَةُ رُتْبَتِهِمْ مِنَ الْمُخْتَصِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ، فَيَجِيءُ فِي نَقْضِ هَذَا الْقَوْلِ مَا قَالَهُ سَيِّدُنَا الْخَصِيبِيُّ فِي كِتَابِ "الْعُقُودِ" حَيْثُ قَوْلِهِ: «إِنْ تَعْلَمْ أَنَّ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ النُّورَانِيَّ الْخَمْسَةُ آلَافٍ، لَا يَسْتَوِي مِنْهُمُ اِثْنَانِ بِمَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دَرَجَةٌ لَا يَحِلُّهَا غَيْرُهُ، فَمَنْ رَفَعَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَنْ رُتْبَتِهِ فَقَدْ خَالَفَ اللَّهَ الَّذِي رَتَّبَهُ مَرْتَبَةً، وَمَنْ أَحَادَ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَنْ رُتْبَتِهِ، فَقَدْ ظَلَمَهُ» فَدَلَّ الْقَوْلُ إِنَّ اقْتِبَاسَ الْبَاطِنِ غَيْرُ اقْتِبَاسِ الظَّاهِرِ وَصَحَّ عِنْدَ الْعَارِفِينَ إِنَّ اقْتِبَاسَهُمُ فِي الظَّاهِرِ سِتْرٌ عَلَى اقْتِبَاسِهِمُ فِي الْبَاطِنِ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِبَاطِنِهَا، وَالظَّاهِرُ سِتْرٌ لِإِخْفَاءِ سِرِّ اللَّهِ الْمَكْتُومِ عَنْ أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ وَالْإِصْرَارِ، وَالِاقْتِبَاسُ الَّذِي وَقَعَ عَلَى أَشْخَاصِ الْمَرَاتِبِ وَالدُّرَجِ فَهَذَا وَاقِعٌ فِي وُجُودِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ عِزّهُ وَالْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا ظَاهِرِينَ مَعَهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ، لِأَنَّهُ فِي مَعْرِفَةِ أَهْلِ الظَّاهِرِ إِنَّ الْخَمْسَةَ الْأَيْتَامِ رَوَوْا إِنَّ اقْتِبَاسَهُمُ مِنْ مَوْلَانَا الْعَيْنُ عَزَّ عِزّهِ، وَإِنَّ الْعَيْنَ اقْتَبَسَ عِلْمَهُ مِنَ السَّيِّدِ الْمِيمِ عَزَّ عِزّهُ، وَإِنَّ السَّيِّدَ الْمِيمَ اقْتَبَسَ عِلْمَهُ مِنْ جِبْرِيلَ، وَهَكَذَا جَرَى فِي ظُهُورَاتِ مَوْلَانَا

فِي الْقِبَابِ السَّبْعَةِ الذَّاتِيَّةِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَأَنَّ لَيْسَ الْعَيْنُ مُحْتَاجًا لِلْمِيمِ أَنْ يُعَلِّمَهُ، وَلَا الْمِيمِ مُحْتَاجًا لِجِبْرَائِيلَ أَنْ يُعَرِّفَهُ وَإِنَّ هَذَا الِاقْتِبَاسَ الْوَاقِعَ عَلَى الْوُجُودِ بَيْنَ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ وَالْعَالَمِ الْبَشَرِيِّ تَصْدِيقٌ فِي الْمَنْظَرِ وَتَكْذِيبٌ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْجَوْهَرِ.

وَبِمِثْلِ هَذَا قَالَ الْعَالِمُ فِي كِتَابِ "الْأَسْوَسِ" حَيْثُ قَالَ السَّائِلُ: «فَمَا تَصْدِيقُ الرَّبِّ مِنْ تَكْذِيبِهِ؟» قَالَ الْعَالِمُ: «**مِثْلُ الْقَمَرِ يُورِي إِنَّ ضِيَائَهُ مِنْ ضِيَاءِ الشَّمْسِ**» وَكَذَلِكَ الْأَوْصِيَاءُ رَوَتْ أَنَّهَا أَخَذَتْ عُلُومَهَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَهِيَ تُؤَدِّيهِ إِلَى الْخَلْقِ، وَهَذَا تَصْدِيقٌ فِي الْمَنْظَرِ تَكْذِيبٌ فِي الْحَقِيقَةِ، وَكَذَلِكَ وَقَعَ ظَاهِرُ اقْتِبَاسِ الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ وَالْعَالَمِ الْبَشَرِيِّ وَعِنْدَ الْمُحِقِّينَ الْبَالِغِينَ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ نَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ وَمُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ سُمِّيَا فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ شَمْسًا وَقَمَرًا.

نَقُولُ لَهُ: سُمِّيَا رُؤَسَاءَ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُمْ مِنْ رُتْبَتِهِمْ مِنَ الْمُخْتَصِّينَ وَالْمُخْلِصِينَ، وَلَيْسَ يُمْكِنُ أَنَّهُمَا سُمِّيَا رُؤَسَاءَ عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمَا مَنْزِلَةً، وَإِنَّ تَسْمِيَتَهُمَا فِي أَسَامِي النَّيِّرَيْنِ اقْتِبَاسٌ وَهُمَا شَمْسٌ وَقَمَرٌ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَهُمَا، وَإِنَّ جَمِيعَ مَا يَأْتِي فِي الْقَوْلِ مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّقْدِيرِ وَالْكُسُوفِ وَالْعَجْزِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى النَّيِّرَيْنِ، فَهُوَ يَقَعُ عَلَى هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ، نَوْفَلُ بْنُ الْحَارِثِ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، كَمَا أَتَى الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ

فِي الزَّجْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ عَلَى السَّيِّدِ الْمِيمِ مِثْلُ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾(1)، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾(2)، وَمِمَّا يُشَاكِلُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، دَلِيلُ ذَلِكَ إِنَّ وُقُوعَهَا عَلَى السَّيِّدِ الْمِيمِ وَفِي حَقِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ إِنَّ السَّيِّدَ الْاِسْمَ يَتَنَزَّهُ وَيَتَعَاظَمُ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَقَعُ الْقَوْلُ عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَكَذَلِكَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَتَنَزَّهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْعَوَالِمِ النُّورَانِيَّةِ، لِأَنَّهُ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ خَلَلٌ وَلَا زَلَلٌ وَهُمْ غَيْرُ مُتَكَلِّفِينَ، وَإِنَّمَا الْقَوْلُ تَأْدِيبٌ وَتَحْذِيرٌ وَنَهْيٌ وَزَجْرٌ لِعَالَمِ الْأَبْشَارِ ذَوِي الطِّينَةِ الْمَمْزُوجَةِ بِالْفِكْرِ، وَمِنْهُمْ يَجْرِي مَا هُوَ مَذْكُورٌ وَعَلَيْهِمْ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، فَهِمَ مَنْ فَهِمْ.

---

(1) طه: 131
(2) الضحى: 6-8

الْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي مَعْرِفَةِ الرُّوحِ الْعَاقِلَةِ مِنَ الرُّوحِ الْمُسَوِّلَةِ، وَتَدْبِيرِ الْأَكْوَانِ الَّتِي فِي طَبَائِعِ الْخَلْقِ

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِنَّ الْأَكْوَانَ السَّبْعَةَ لَهَا سَبْعَةُ أَشْخَاصٍ، وَكُلُّ شَخْصٍ لَهُ كَوْنٌ مُفْرَدٌ عَنْ غَيْرِهِ بِتَدْبِيرِ الطَّبَائِعِ فِي هَذَا الْخَلْقِ، كَمَا تَقَدَّمَ الشَّرْحُ، بَيَانُ ذَلِكَ إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأَرْضِيَّةَ دَالَّةٌ عَلَى أَشْخَاصِهَا، أَيْ شَخْصُهَا قَنْبَرُ بْنُ كَادَانَ الدَّوْسِيُّ، وَهُوَ الْكَوْنُ التُّرَابِيُّ، وَالطَّبِيعَةُ النَّارِيَّةُ هِيَ الْكَوْنُ النَّارِيُّ دَالَّةٌ عَلَى شَخْصِهَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَالطَّبِيعَةُ الْمَائِيَّةُ دَالَّةٌ عَلَى شَخْصِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَالطَّبِيعَةُ الرِّيَاحِيَّةُ دَالَّةٌ عَلَى شَخْصِهَا أَبِي ذَرٍّ، وَالْكَوْنُ الْجَوْهَرِيُّ دَالٌّ عَلَى شَخْصِهِ الْمِقْدَادِ وَالْكَوْنُ النُّورَانِيُّ دَالٌّ عَلَى شَخْصِهِ سَلْمَانَ، وَهُوَ الْبَصَرُ، وَالْعَقْلُ شَخْصُهُ قُدْسُ الْمَعْرِفَةِ السَّيِّدُ الْمِيمُ، وَهُوَ مِنَ الْأَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٍ، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ السِّتَّةِ، بَلْ هُوَ مُفْرَدٌ عَنْهَا، وَلَوْلَا هَذِهِ الْأَكْوَانُ مَا اسْتَقَامَ الْخَلْقُ وَلَا جَاءَتْ وَلَا سَرَتْ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَوَزَنَهَا بِالْفِعْلِ وَالتَّدْبِيرِ وَجَعَلَهَا تُدَبِّرُ بَعْضَهَا بَعْضًا، وَخَلْقاً تُعَلِّمُ خَلْقاً، وَأَوْرَى الْغِيبَةَ عَنْهَا إِلَى حِينِ يَظْهَرُ لَهَا، وَأَدَّبَهَا فِي مَا أَدَّبَهَا، وَإِنَّ الْخَلْقَ غَيْرُ مُحْتَاجَةٍ إِلَى هَذِهِ الْأَنْوَارِ.

نَقُولُ لَهُ: عُقُولُ هَذَا الْخَلْقِ لَهَا مُدَبِّرٌ يُدَبِّرُهَا، أَمْ هِيَ تُدَبِّرُ حَالَهَا؟

فَإِذَا قَالَ: تُدَبِّرُ حَالَهَا.

نَقُولُ لَهُ: قَدْ ثَبَتَ الْقَوْلُ إِنَّا نَجِدُ عُقُولَ الْخَلْقِ تَزْدَادُ ثُمَّ تَتَنَاقَصُ وَتَعُودُ مِنْ الْكِبَرِ إِلَى الصِّغَرِ وَمِنْ الصِّغَرِ إِلَى الْكِبَرِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ بَعْدَ مَا يَكْمُلُ أَشُدَّهُ مِنَ السَّمَعِ وَالْبَصَرِ وَالْعَقْلِ وَالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ يَعُودُ مِنَ الزِّيَادَةِ إِلَى النَّقْصِ، وَنَجِدُ الرَّجُلَ دَارِكاً مَعْرِفَتَهُ، كاملاً عَقْلَهُ وَلُبَّهُ، وَزَائِدًا بَصَرُهُ وَجَمِيعُ حَوَاسِّهِ جَيِّدَةٌ، وَتَمُرُّ عَلَيْهِ بِوَقْتٍ غَيْرِ ذَلِكَ تَجِدُ عَقْلَهُ ضَعِيفًا وَتَتَلَاشَى جَمِيعُ حَوَاسِّ بَدَنِهِ، وَأَيْضًا نَجِدُ مَثْلَ كُهُوفٍ وَجِبَالٍ وَرِمَالٍ وَأَوْدِيَةٍ وَبِحَارٍ وَمِنْ سَائِرِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ تَعُدْ مِنَ الْكِبَرِ إِلَى الصِّغَرِ، وَلَا مِنَ الصِّغَرِ إِلَى الْكِبَرِ، بَلْ إِنَّهَا تُقِيمُ عَلَى فَرْدِ حَالٍ حَتَّى تَتَلَاشَى، وَلَمْ تَجِدْ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ إِلَّا فِي هَذَا الْخَلْقِ، فَدَلَّ الْقَوْلُ إِنَّ زِيَادَةَ الْجَوَارِحِ وَنُقْصَانَهَا مِنَ الْأَشْخَاصِ الْمُوكَّلَةِ عَلَى إِقَامَتِهَا، تُعْطِي إِلَى أَوْقَاتٍ وَتَقْطَعُ فِي أَوْقَاتٍ، وَلَوْ أَنَّ الرَّجُلَ عَقْلَهُ وَلُبَّهُ مَعَهُ أَبَدًا لَقَدْ كَانَ فِي أَيِّ وَقْتٍ أَرَادَ مِنْ جَوَارِحِهِ شَيْئًا نَالَهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الْأَكْوَانُ أَشْخَاصُهَا هِيَ أَكْوَانُهَا أَمْ أَشْخَاصُهَا بِخِلَافِ أكْوَانِهَا؟

نَقُولُ لَهُ: غَيْرُ مُمْكِنٍ أَنْ نَقُولَ أَشْخَاصُهَا هِيَ أَكْوَانُهَا، فَإِذَا قُلْنَا إِنَّ أَشْخَاصَهَا هِيَ أَكْوَانُهَا، نَكُونُ رَجَعْنَا إِلَى قَوْلِ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ يُحِلُّونَ اللَّهَ فِي الْأَجْسَامِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ نَقُولُ إِنَّمَا نَقُولُ كَهَيْئَةِ الصَّانِعِ

الَّذِي يُدَبِّرُ صَنْعَتَهُ، وَلَا نَقُولُ إِنَّ حَرَكَتَهُمْ حَرَكَةُ الصَّانِعِ الَّذِي يَصْنَعُ صَنْعَتَهُ مُتَكَلِّفًا بِهَا بِالْجِدِّ وَالْعَنَاءِ، بَلْ نَقُولُ تَجْرِي حَرَكَةُ هَذِهِ الْحَوَاسِّ الْمَذْكُورَةِ مِنْ أَجْرَامِهِمْ الْمُرَكَّزَةِ عَلَى الْأَفْلَاكِ، تُدَبِّرِ أَهْلَ الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ إِزَالَةٍ عَنْ كِيَانِهَا، وَهِيَ قُدْرَةٌ مِنْ قَادِرٍ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى قُدْسِ الْمَعْرِفَةِ أَنَّهُ أَعْلَى الْأَكْوَانِ وَأَفْخَرُهَا؟

نَقُولُ لَهُ: كَوْنُ قُدْسِ الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلُ، يُحِيطُ بِالْأَكْوَانِ السِّتَّةِ وَيُدِيرُهَا وَيُوَفِّقُهَا، وَالْأَكْوَانُ الَّتِي هِيَ دُونَهُ لَا تُحِيطُ بِهِ وَلَا تُدَبِّرُهُ، وَإِنَّ مَنْ كَانَ فِيهِ الْأَكْوَانُ السِّتَّةُ وَكَوْنُ قُدْسِ الْمَعْرِفَةِ نَاقِصٌ مِنْهُ، يَتِيهُ وَيَعُودُ حَيْرَانًا وَهُوَ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ، وَلَا يَأْخُذُ كَسْبًا مِنْ عُقُولِ النَّاسِ، وَإِنْ يَكُنْ رَجُلٌ نَحِيلُ الْجِسْمِ قَلِيلَ الْقُوَّةِ وَجَمِيعُ الْأَكْوَانِ الَّتِي مَدَبِّرَةُ جَسَدِهِ نَاقِصٌ مِنْ بَعْضِهَا، وَالْعَقْلُ مُتَّسِعٌ عَلَيْهِ، تَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مُحْتَاجِينَ إِلَى مَعَارَقَةٍ، وَلَا يَقَعُ عَلَى قَوْلِهِ جِدَالٌ وَلَا فِي مَعَارِفِهِ اخْتِلَالٌ.

يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الزَّاهِرِيِّ فِي كِتَابِ "الْحُجُبِ وَالْأَنْوَارِ" قَوْلُهُ: «إِنَّ الْكَوْنَ النُّورَانِيَّ الْعَقْلِيَّ انْبَجَسَ مِنْ نُورِ الْمِيمِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٍ، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» ثُمَّ قَالَ: «سَأَلْتُ الْعَالِمَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَالنَّفْسِ وَالرُّوحِ، فَقَالَ عَزَّ عِزُّهُ: **إِنَّ الْإِنْسَانَ**

اسْمُ لِمَعْنَى الرُّوحِ، وَالْبَدَنُ بَدَنُ الرُّوحِ، وَالْبَدَنُ مُؤَاتٍ لِلرُّوحِ مَادَامَ حَيًّا، وَالرُّوحُ الْفَاعِلَةُ هِيَ الْحَاسَّةُ الدَّارِكُ، وَهِيَ نُورٌ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٍ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ، وَهِيَ ليست بِخَالِقةٌ وَلَا مَخْلُوقَةٌ، بَلْ هِيَ قُدْرَةٌ مِنْ قَادِرٍ، مِنَ اللَّهِ بَدَتْ وَإِلَيْهِ تَعُودُ، وَأَمَّا النَّفْسُ وَالْبَدَنُ غِلَافُ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ مُدَبِّرَةُ الْبَدَنِ، وَالنَّفْسُ وَالْبَدَنُ هُمَا حِجَابُ الرُّوحِ».

فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى بَيَانِ ذَلِكَ الشَّرْحِ، إِنَّ رُوحَ الْعَقْلِ مِنَ السَّيِّدِ الْمِيمِ مِنَ الْأَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٍ، وَإِنَّ هَذِهِ الرُّوحَ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهَا عَذَابٌ، وَإِنَّ الْعَذَابَ عَلَى الرُّوحِ الشَّهْوَانِيَّةِ، لِأَنَّ الرُّوحَ الشَّهْوَانِيَّةَ خِلَافُ الرُّوحِ الْعَقْلِيَّةِ، وَذَلِكَ إِنَّ الرُّوحَ الشَّهْوَانِيْةَ إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الإِنْسَانِ أَخْرَجَتْهُ مِنَ الطَّاعَةِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ، وَمِنَ الْيَقِينِ إِلَى الشَّكِّ.

وَقَالَ الْحَكِيمُ فِي هَذَا الشَّرْحِ: «إِنَّ الرُّوحَ الشَّهْوَانِية إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الإِنْسَانِ كَانَ فِي مَنْزِلَةِ الْبَهَائِمِ، وَالرُّوحُ الْعَقْلِيَّةُ مَسْكَنُهَا فِي الدِّمَاغِ إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى إِنْسَانٍ تَكُونُ سِيرَتُهُ جيدَةٌ فِي مَنْزِلَةِ الْمَلَائِكَةِ».

فَدَلَّ الْقَوْلُ أَنَّ رُوحَ الْعَقْلِ لَيْسَتْ مُرَكَّبَةً كَهَيْئَةِ طَبَائِعِ الْجَسَدِ لِأَنَّهَا نُورٌ بَسِيطٌ مُدْرِكَةُ الْجَسَدِ، وَالْجَسَدُ يَسْتَضِيئُ مِنْ ضَوْءِهَا، وَإِذَا تَأَلَّمَ بِالْجَسَدِ شَيءٌ مِنَ الْحَوَاسِّ خَرَجَ ذَلِكَ النُّورُ إِلَى كَوْنِهِ الَّذِي بَدَا مِنْهُ وَدَلِيلُ ذَلِكَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا وَقَعَ فِي عَذَابٍ يَقُولُ "طَارَ عَقْلِي" وَإِذَا نُكِبَ فِي نَكْبَةٍ وَأُصِيبَ فِي مُصِيبَةٍ يَقُولُ "مَا بَقِيَ لِي عَقْلٌ" وَهُوَ صَادِقٌ، لِأَنَّهُ

يَكُونُ نُزِعَ الْعَقْلُ مِنْهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا السَّبَبُ الَّذِي أَوْجَبَ رُوحَ الْعَقْلِ إِلَى الرُّوحِ الشَّهْوَانِيَّةِ حَتَّى تَوَارَتْ مَعَهَا فِي فَرْدِ جِسْمٍ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا مُوَافَقَةٌ؟

نَقُولُ لَهُ: إِنَّ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّةَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَى الرُّوحِ الشَّهْوَانِيةِ فَإِنْ أَطَاعَتْهَا نَجَتَ، وَإِنْ خَالَفَتْهَا تَعَاقَبَتْ، وَعَلَى قَدْرِ طَاعَتِهَا لَهَا تَكُونُ نَجَاتُهَا، وَعَلَى قَدْرِ مَعْصِيَتِهَا لَهَا تَكُونُ عُقُوبَتُهَا، وَذَلِكَ أَنَّ إِبْلِيسَ أَجَابَ لِلْبَارِي فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، فِي كِتَابِ اللَّهِ أَخْبَرَ عَنْهُ:

أَوَّلُهَا أَنَّهُ قَالَ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[١].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾[٢].

وَقَوْلُهُ : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[٣].

فَدَلَّ إِنَّهُ أَجَابَ إِنَّ لَهُ رَبًّا، وَإِنَّ رَبَّهُ لَهُ عِزَّةٌ، وَإِنَّهُ خَالِقٌ، وَلَهُ حِسَابٌ وَعِقَابٌ وَعَذَابٌ وَثَوَابٌ، فَاعْلَمْ إِنَّ نَفْسَ إِبْلِيسَ وَرُوحَهُ الْمُسَوِّلَةُ أَجَابَتْ لِلرُّوحِ الْعَقْلِيَّةِ وَأَطَاعَتْهَا فِي هَذَا الْقَوْلِ، وَلَكِنَّهَا رَجَعَتْ بَعْدَ الإِقْرَارِ إِلَى

(1) الأعراف: 12
(2) الحجر: 37-38
(3) ص: 82

الْجُحُودِ وَالإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ وَالْإِصْرَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ بَايَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاطِنَ فِي مَيَاثِيقِ السَّيِّدِ الْاسْمِ عَزَّ عِزَّهُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعُوا عَنْ الإِقْرَارِ لِلْحَجْدِ وَالإِنْكَارِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الذَّمَّ وَالْخِزْيَ وَاللَّعْنَ بِعِرْفَانِهِمْ لِلْحَقِّ وَجُحُودِهِمْ لَهُ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ رِوَايَةُ السَّيِّدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخُصَيْبِيُّ فِي كِتَابِ "الْهِدَايَةِ" عَنْ سَكْدْ حَيْثُ قَالَ فِي مُبَايَعَةِ خَمِّ غَدِيرٍ: «بَخٍ بَخٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَصْبَحْتَ مَوْلَانَا وَمَوْلَى الْخَلَائِقِ جَمِيعًا»، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ قَرَّ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِوِلَايَةِ الْعَيْنِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَحَدَ وَأَنْكَرَ وَكَذَّبَ وَضَلَّ وَغَوَى.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِذَا بَدَا مِنَ النَّفْسِ شَكْلَانِ خُبْثٌ وَاخْتِلَافٌ وَظُنُونٌ فَاسِدَةٌ وَشَهْوَانِيةٌ، وَبَدَا مِنْهَا إِيمَانٌ وَزُهْدٌ وَوَرَعٌ وَطَهَارَةٌ، فَهَذَا مِمَّا يَدُلُّ إِنَّ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّةَ مُشَاكِلَةٌ لِلرُّوحِ الْمُسَوِّلَةِ بِالْعَمَلِ.

نَقُولُ لَهُ: مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُمَا شِرْكٌ، بَلْ إِنَّمَا الرُّوحُ الْعَقْلِيَّةُ رَسُولٌ إِلَى الرُّوحِ الشَّهْوَانِيَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ الْقَوْلُ، إِذَا بَدَا مِنَ النَّفْسِ الْمُسَوِّلَةِ طَهَارَةٌ وَزُهْدٌ وَوَرَعٌ وَخُشُوعٌ فَهُوَ مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيَّةِ وَطَاعَتِهَا لَهَا، وَإِذَا بَدَا خُبْثٌ وَإِضْرَارٌ وَاخْتِلَالُ أُمُورٍ فَاسِدَةٍ وَشَهَوَاتٌ رَدِيئَةٌ فَهِيَ مِنَ الرُّوحِ الْمُسَوِّلَةِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ الرُّوحِ الْعَقْلِيَّةِ، وَيَكُونُ كَمَا أَنَّ الْقَوْلَ عَنِ الْمَوْلَى انْقَطَعَ عَنْهَا جَوْهَرُ السَّبِيلِ، يَعْنِي الْعَقْلَ، وَذَلِكَ إِنَّ رُوحَ الْعَقْلِ أَصْلُهَا مِنَ السَّيِّدِ الْمِيمِ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ جُزْءٍ كَمَا تَقَدَّمَ الْقَوْلُ، وَالرُّوحُ الْمُسَوِّلَةُ مَعْدِنُهَا مِنْ إِبْلِيسَ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ رُوحِ مُؤْمِنٍ وَرُوحِ الْكَافِرِ؟

فَنَقُولُ لَهُ: رُوحُ الْمُؤْمِنِ مُؤَيَّدَةٌ مِنَ اللَّهِ بِرُوحِ الْقُدْسِ الْعَقْلِيَّةِ وَضَعِيفَةٌ مَعَهُ الرُّوحُ الْمُسَوِّلَةُ، وَالْكَافِرُ مُؤَيَّدَةٌ بِهِ الرُّوحُ الْمُسَوِّلَةُ وَضَعِيفَةٌ مِعَهُ الرُّوحُ الْعَقْلِيَّةُ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي فِي الْمُؤْمِنِ فَهِيَ الَّتِي تَحْرُزُ النَّفْسَ الْمُسَوِّلَةَ وَتَهْدِيهَا وَتَمْنَعُهَا عَنِ الشَّهَوَاتِ الْفَاسِدَةِ، وَلَا تُخْلِي لَهَا سَبِيلًا فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهَا الشِّرِّيرَةِ، وَكَذَلِكَ الرُّوحُ الْمُسَوِّلَةُ الَّتِي هِيَ فِي الْكَافِرِ الَّتِي تَمْنَعُ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّةَ وَتُعَطِّلُ جَمِيعَ حَرَكَاتِهَا وَلَا تُخْلِي لَهَا سَبِيلًا، الْحَدُّ بِالْحَدِّ وَالنَّعْلُ بِالنَّعْلِ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزَّهُ فِي كِتَابِ "الصِّرَاطِ" حِينَ قَالَ الْمُفَضَّلُ: «يَا مَوْلَايَ هَلْ دَعْوَةُ إِبْلِيسَ مُسْتَقِرَّةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْجُحُودِ؟ فَقَالَ: **نَعَمْ مُسْتَقِرَّةٌ بِالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ**» وَقَوْلُ يَعْقُوبَ لِبَنِيهِ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾[1] الْآيَةَ.

وَأَمَّا نَفْسُ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ لَهَا زَاجِرًا وَوَاعِظًا يَأْمُرُهَا وَيَنْهَاهَا، وَهُوَ الَّذِي يَعْرِفُهَا وَيَكْشِفُ لَهَا قَبِيحَ مَعَانِي الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَحُسْنَ الْمَعَانِي الصَّادِقَةِ، وَيُبَيِّنُ لَهَا شَرَّ الْعُقُوبَةِ وَهَوْلَ الْحِسَابِ، وَذَلِكَ مِنْ جَوْهَرِ الرُّوحِ الرُّوحَانِيَّةِ، فَإِنْ اسْتَقَرَّتْ الرُّوحَانِيَّةُ مَعَ الْمُؤْمِنِ مِنْ زَجْرِهَا النَّفْسَ الْمُسَوِّلَةَ، وَعَارَضَتْ ظُلْمَتَهَا بِجَوْهَرِ الرَّحْمَةِ، فَتَرْتَعِدُ النَّفْسُ الْمُسَوِّلَةُ

(1) يوسف: 18

وَتُفْسِدُ مَشَاكِلَهَا، وَإِنْ خَالَفَتْ الْمُسَوِّلَةَ لِمَا يَعْرِضُ لَهَا مِنْ جَوْهَرِ الرَّحْمَانِيَّةِ تُمَكِّنُ لَهَا طَرِيقُ الْجَهْلِ وَسُوءِ الْأَعْمَالِ، وَتَسْتَحْسِنُ الْأَعْمَالَ الشِّرِّيرَةَ وَتَفْتَخِرُ بِهَا بِمَحَاضِرِ الْجَهْلِ.

وَقَالَ فِي مِثْلِ هَذَا صَاحِبُ كِتَابِ "الطَّالِقَانِ": «إِنَّ مِنْ شَأْنِ النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ الطَّاهِرَةِ الْفَاضِلَةِ أَنْ تَرْتَفِعَ عَنْ قَبَائِحِ الْأَفْعَالِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْكَذِبِ وَالْفُجُورِ، وَتَرَى لَهَا لَذَّةً وَسُرُورًا لِطَهَارَتِهَا وَفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا وَمَنْزِلَتِهَا، فَإِذَا عَايَنَتْ كُلِّيَّتَهَا اشْتَاقَتْ إِلَى رُوحَانِيَّتِهَا وَالرُّجُوعِ إِلَى نُورَانِيَّتِهَا، وَأَمَّا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ الْمُظْلِمَةُ فَإِنَّهَا لَا تَرْتَدِعُ عَنْ قَبَائِحَ تَفْعَلُهَا وَلَا عَنْ فَوَاحِشَ تَرْكَبُهَا، وَلَا تَمْتَنِعُ عَنْ الْفِسْقِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ، وَلَوْ تَرَى لَهَا فِي ذَلِكَ حَظًّاً وَلَذَّةً وَسُرُورًا، وَتَرَى الْحَقَّ بَيَانًا فَتَجِدُهُ وَتَكْفُرُ بِمَنْ دَانَ بِهِ، وَتُحِبُّ الْعَاجِلَةَ وَتُكَذِّبُ الْآخِرَةَ، فَشَتَّانِ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ إِلَى السَّعِيرِ: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٢٠﴾[1]».

(1) الحشر: 20

الْبَابُ الْوَاحِدُ وَالْعِشْرُونَ

فِي مَعْرِفَةِ صُورَةِ الْوُجُودِ وَامْتِدَادِهَا مِنَ الذَّاتِ

اِعْلَمْ رَحِمَك اللَّهُ إِنَّ مَحْض مَا قَرَّرْنَاهُ وَغَامِض مَا عَلِمْنَاهُ مِنْ أَسَانِيدِ الرِّوَايَاتِ، وَبَاطِنِ الْإِشَارَاتِ، وَبَانَ لَنَا مَعْنَاهُ، وَاتَّضَحَ لَنَا بَيَانُ نَجْوَاهُ، عَنْ صُورَةِ الْوُجُودِ وَامْتِدَادِهَا، وَهِيَ الذَّاتُ الْعَالِيَةُ الَّتِي تَوَالَتْ إِلَيْهَا عُقُولُ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَشَهِدْتُ لَهَا بِصِحَّةِ الضَّمَائِرِ، مِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَلِيُّ عَنْ سَيِّدِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمْدَانَ الْخُصَيْبِيِّ شَرَّفَ اللَّهُ مَقَامَهُ، قَالَ حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ الْغزَارِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ صَدَقَةَ الْعَنْبَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ الزَّاهِرِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ رِضْوَانَ بْنِ يَحيى، عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ الْجُعْفِيِّ، قَالَ الْمُفَضَّلُ: «خَلَوْتُ بِمَوْلَايَ الصَّادِقِ الْوَعْدِ عَزَّ عِزّهُ فَوَجَدْتُ مِنْهُ فُرْصَةً كُنْتُ أَتَمَنَّاهَا تَحْصُلُ لِي، فَأَنَسْتُ مِنْهُ لسِرٍّ لَهُ، وَاسْتَبْشَرْتُ بِهِ، وَاسْتَقَرَّتْ نَفْسِي لِلْمَسْأَلَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ، أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَمَّا جَرَى فِي خَاطِرِي عَنْ ظُهُورِ الْمَعْنَى فِي الصُّورَةِ الْمَرْئِيَّةِ، هَلْ هِيَ الذَّاتُ أَمْ لَا؟ وَهَلْ الذَّاتُ تَتَجَزَّأُ أَوْ تُتَصَوَّرُ أَوْ تَتَبَعَّضُ أَوْ تَحُوْلُ عَنْ كِيَانِهَا أَوْ تُتَوَهَّمُ فِي الْعُقُولِ؟ وَكَيْفَ ظَهَرَ الْبَارِي لِلْخَلْقِ بِحَرَكَةٍ وَسُكُونٍ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ الظُّهُورُ وَالْغِيْبَةُ لِلْخَلْقِ الضَّعِيفِ؟ وَكَيْفَ يُطِيقُ الْمَخْلُوقُ لِلْخَالِقِ يُرِيهِمْ؟ وَكَيْفَ يَفْهَمُ الْخَلْقُ وُجُودَهُ؟» يُرْفَعُ إِلَى قَوْلِ مَوْلَانَا جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَزَّ عِزّهُ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ قَالَ: «**يَا مُفَضَّلُ، إِنَّ**

ظُهُورَ مَوْلَاكَ الْأَزَلُ بَيْنَ خَلْقِهِ عَجِيبٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا عَالِمٌ خَبِيْرٌ، وَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الصَّعْبُ الْمُسْتَصْعَبُ، يَا مُفَضَّلُ إِنَّ الذَّاتَ لَا يُقَالُ لَهَا نُورًا لِأَنَّهَا مُنِيرَةُ كُلِّ نُورٍ، وَإِنَّ مَوْلَانَا الْقَدِيمَ الْأَزَلَ أَقَامَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ فِكْرٍ وَلَا وَهْمٍ، لِإِظْهَارِ الْمَشِيئَةِ، وَكَوَّنَ الْمُنْشِئَ لِلشَّيْءِ وَهُوَ الْمِيمُ لِلسِّينِ فَأَشْرَقَ مِنْ ذَاتِهِ نُورًا شَعْشَعَانِيًّا لَا تَثْبُتُ لَهُ الْأَنْوَارُ، وَأَظْهَرَ النُّورَ ضِيَاءًا لَمْ يَبِنْ مِنْهُ، وَأَظْهَرَ الضِّيَاءَ ظِلًّا، فَقَامَتْ صُورَةُ الْوُجُودِ بَيْنَ الضِّيَاءِ وَالظِّلِّ، وَجَعَلَ بَاطِنَهَا الضِّيَاءَ وَالنُّورَ، وَالذَّاتُ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾(١)، يَعْنِي مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الذَّاتِ، فَالصُّورَةُ الْأَنْزَعِيَّةُ هِيَ ذَاتُ الضِّيَاءِ وَالظِّلِّ، وَهِيَ الذَّاتُ الَّتِي لَمْ تَتَجَزَّأْ وَلَمْ تَتَبَعَّضْ وَلَمْ تَتَغَيَّرْ فِي قَدِيمِ الدُّهُورِ، وَلَا فِيمَا يَحْدُثُ فِي الْأَزْمَانِ، وَبَاطِنُهَا الْمَعْنَوِيَّةُ اللَّاهُوتِيَّةُ، وَتِلْكَ الصُّورَةُ هَيُولَى الْهَيُولَاتُ وَفَاعِلَةُ الْمَفْعُولَاتِ وَأُسَّ الْحَرَكَاتِ، مُعِلَّةُ كُلِّ عِلَّةٍ، لَا يَعُلُّهَا شَيْءٌ، وَلَا يَعْلَمُ مَا هِيَ إِلَّا هِيَ».

وَبَيَانُ ذَلِكَ يَا أَخِي إِنَّ احْتِجَابَ الذَّاتِ يَنْقَسِمُ عَلَى وَجْهَيْنِ، إِذَا أَرَادَ الْأَزَلُ أَنْ يَحْجُبَ ذَاتَهُ يَكُونُ لِذَاتِهِ ثَلَاثَةُ حُجُبٍ يَحْتَجِبُ بِهَا، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ ذَاتَهُ يَكُونُ لِذَاتِهِ ثَلَاثَةُ حُجُبٍ يَسْتُرُ ذَاتَهُ بِهَا، فَنُحِبُّ أَنَّنَا نَأْتِي فِي بَيَانِهِمْ لِكَيْ لَا يَشْتَبِهَ الْقَوْلُ عَلَى قَارِئِهَا.

(1) الفرقان: 45

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِذَا أَرَادَ الْأَزَلُ يَحْجُبَ ذَاتَهُ فَإِنَّ ذَاتَ الْمَعْنَى لَا يُمَازِجُهَا شَيْءٌ، بَلِ الِاسْمُ هُوَ حِجَابُ النُّورِ الَّذِي أَشْرَقَ مِنْهُ الْمَعْنَى، وَهُوَ حِجَابُ الِاسْمِ، لِقَوْلِ الْمَوْلَى الصَّادِقِ عَزَّ عِزَّهُ: «**إِذَا أَرَادَ الْمَعْنَى أَنْ يَحْتَجِبَ بِاسْمِهِ فَالِاسْمُ لَيْسَ هُوَ قَمِيصًا يَلْبَسُهُ، بَلْ يَغِيبُ الِاسْمُ تَحْتَ تَلَالِي نُورِهِ وَيَظْهَرُ بِمِثْلِ صُورَتِهِ، وَأَرَادَ الْأَزَلُ أَنْ يُظْهِرَ ذَاتَهُ وَأَرَادَ أَنْ يُفْرِدَهَا بِلَا تَجَزِّي وَلَا انْفِصَالٍ، فَكَوَّنَ لِذَاتِهِ ثَلَاثَةَ حُجْبٍ خَاصَّةٌ بِاسْمِ حُجُبِهِ الْأَوَّلَيْةِ، وَهِيَ نُورٌ وَضِيَاءٌ وَظِلٌّ**» وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ نُؤْتِيَ فِي بَيَانِهِمْ كَمَا قَدْ أَتَيْنَا فِي بَيَانِ حُجُبِهِ الْأَوَّلِيَّةِ مِمَّا رَوَاهُ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزَّهُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ ذَاتَهُ بِنُورِهِ، وَحَجَبَ نُورَهُ بِضَيَاهُ، وَحَجَبَ ضِيَاهُ بِظِلِّهِ**» فَدَلَّ الْقَوْلُ إِنَّ الذَّاتَ مَحْجُوبَةٌ بِثَلَاثَةِ حُجُبٍ: نُورٍ وَضِيَاءٍ وَظِلٍّ، وَأَمَّا صُورَةُ الْوُجُودِ قَامَتْ مِنَ الضِّيَاءِ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾(١)، يَعْنِي لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ غَيْبًا، لِأَنَّ الذَّاتَ اسْتَتَرَتْ بِالنُّورِ، وَالنُّورُ اسْتَتَرَ بِالضِّيَاءِ وَالضِّيَاءُ اسْتَتَرَ بِالظِّلِّ، وَالظِّلُّ جَعَلَهُ قُمُصَ النُّورِ، وَهُوَ صُورَةُ الْوُجُودِ الَّتِي عُرِفَ الْبَارِي بِهَا، وَعَنْهُ مِمَّا قَالَ الْحَكِيمُ مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ الزَّاهِرِيُّ عَنْ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَزَّ عِزَّهُ حَيْثُ قَالَ لِبَابِهِ جَابِرٍ: «**يَا جَابِرُ، لَا تَصْلُحُ الرُّوحُ الْأَزَلِيَّةُ الْعُلْوِيَّةُ أَنْ تُرَى وَتُوجَدَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ غِلَافٌ فِي جَوْفِ غِلَافٍ، وَغِلَافٌ عُلْوِيٍّ فِي جَوْفِ غِلَافٍ سُفْلِيٍّ، وَهُوَ الْحِجَابُ الظِّلِّيُّ وَهُوَ دُونَ الْعُلْوِيِّ، وَلَوْ ظَهَرَتِ الرُّوحُ الْعُلْوِيَّةُ فِي النُّورَانِيَّةِ بِغَيْرِ حِجَابٍ**

(1) الفرقان: 45

لَأَطْفَأَ نُورَهَا كُلُّ نُورٍ غَيْرِهِ، وَهَذِهِ الْحُجُبُ يَنْزِلُ بِهَا الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَظْهَرُ بِهَا مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ وَلَا إِزَالَةٍ عَنْ جَوْهَرِيَّتِهِ».

فَانْظُرْ يَا أَخِي إِلَى قَوْلِ الْمَوْلَى أَنَّ الرُّوحَ فِي النُّورَانِيَّةِ تَظْهَرُ فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ حُجُبٍ مِنْ غَيْرِ حُلُولٍ وَلَا إِزَالَةٍ عَنْ جَوْهَرِيَّتِهَا، وَإِلَى قَوْلِهِ إِنَّهَا لَوْ ظَهَرَتْ بِغَيْرِ حِجَابٍ لَأَطْفَأَ نُورَهَا كُلُّ نُورٍ غَيْرِهِ، وَهَكَذَا الْغِلَافُ لَوْ ظَهَرَ لِلْغِلَافِ السُّفْلِيِّ بِغَيْرِ حِجَابٍ لَأَطْفَأَ نُورَهُ كُلَّ نُورٍ غَيْرِهِ.

وَكَذَلِكَ شَيْخُنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ حَمْدَانَ الْخَصِيبِيُّ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ أَخْبَرَ فِي رِسَالَتِهِ "الرُّسْتَبَاشِيَّةِ" «أَنَّ نُورَ اللَّاهُوتِ لَمْ يَثْبُتْ شَيْءٌ إِلَى نُورِهِ، لِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾(١) وَالْجَبَلُ هُوَ جِسْمُ مُوسَى، وَالصُّورَةُ الَّتِي كَانَ ظَاهِرًا بِهَا فِي الْبَشَرِيَّةِ، وَالْجِسْمُ جَعْلَهُ دَكًّا لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ إِلَى نُورِ اللَّاهُوتِ، بَلْ تَلَاشَى الْجِسْمُ وَقَامَ مُوسَى بِالنُّورَانِيَّةِ دُونَ الْجُسْمَانِيَّةِ نُورًا مُجَرَّدًا مِنْ هَيْكَلِهِ، وَأَمَّا رُؤْيَةُ مُوسَى الْهَيْئَاتِ هَيْئَةً وَاحِدَةً، فَلَمَّا كَشَفَ الْحِجَابَ الظِّلِّيَّ بَانَ لِمُوسَى نُورُ اللَّاهُوتِ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فَانْظُرْ إِلَى مَا شَرَحْنَاهُ مِنَ الْقَوْلِ الْمُتَقَدِّمِ وَمِنْ قَوْلِ شَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَصِيبِيِّ عَنْ صُورَةِ الظِّلِّ الَّتِي اسْتَتَرَ الْبَارِي بِهَا فَكَانَتْ هِيَ مَوْضِعُ الْإِشَارَةِ، وَمِنْهَا يَكُونُ التَّعْرِيفُ لِذَاتِهِ، لِأَنْ لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَّا مِنَ اللَّهُ مِنْ صُورَةِ الْوُجُودِ، وَلَيْسَ لَنَا اسْتِطَاعَةٌ إِلَى نُورِ الذَّاتِ، لِأَنَّ

(1) الأعراف: 143

مُوسَى مِنَ النُّورِ أَبْدَاهُ فَمَا اسْتَطَاعَ إِلَى نُورِ اللَّاهُوتِ، بَلْ نَقُولُ إِنَّهُ انْعَدَمَ الْجِسْمُ لِأَنَّ مُوسَى مَعْدِنُهُ النُّورُ، فَلَمَّا تَلَاشَى الْجِسْمُ ظَهَرَ النُّورُ لِلنُّورِ عَلَى قَدْرِ الِاسْتِطَاعَةِ.

وَقَالَ أَيْضًا فِي الرِّسَالَةِ "الْمُفَضَّلِيَّةِ" قَالَ الْمَوْلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزُّهُ: **«يَا مُفَضَّلُ، أَمَا سَمِعْتَ الْإِشَارَةَ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيْتُونَةٖ لَّا شَرْقِيَّةٖ وَلَا غَرْبِيَّةٖ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾(١) وَأَنَا يَا مُفَضَّلُ أُفَسِّرُ لَكَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَهِيَ فِي وُجُودِ مَوْلَاكَ وَظُهُورِهِ، اِعْلَمْ أَنَّ الْمِشْكَاةَ هِيَ الصُّورَةُ الْمَرْئِيَّةُ الْأَنْزَعِيَّةُ، وَالْمِصْبَاحُ مَا بَطَنَ وَهُوَ الضِّيَاءُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ لَكَ، وَالزُّجَاجَةُ الَّتِي كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ هُوَ النُّورُ الَّذِي بَدَا مِنْ الذَّاتِ، وَالشَّجَرَةُ الَّتِي تَوَقَدُ مِنْهَا هِيَ الذَّاتُ الَّتِي لَا تُحَدُّ وَلَا تُوصَفُ، وَهِيَ زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ، مَعْنَى قَوْلِهِ: لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَعْنِي لَا تُوصَفُ بِأَيْنَ وَلَا بِحَيْثَ، بَلْ هِيَ عَامَّةٌ فِي الْأَكْوَانِ السِّتَّةِ، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٞۚ﴾ أَعْنِي نَارَ الْإِنْكَارِ مِنَ الْعَالَمِ الْمُظْلِمِ أَهْلِ الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ وَالْإِصْرَارِ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا جَمِيعَ مَا سَمِعُوهُ وَمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْمَعَاجِزِ وَالْقُدَرِ سَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ**

(1) النور: 35

وَلَوْلَا إِنْكَارُهُمْ وَكُفْرُهُمْ وَإِصْرَارُهُمْ لَمَا كَانَ رَجُلَانِ اخْتَلَفَا فِي التَّوْحِيدِ وَقَوْلُهُ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ يَعْنِي الصُّورَةَ الظِّلِّيَّةُ الَّتِي ظَهَرَتْ لِلْوُجُودِ وَظَنُّوا إِنَّهَا بَشَرِيَّةٌ هِيَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ نُورُ الضِّيَاءِ وَمِنْ وَرَاءِهَا نُورُ الذَّاتِ وَلِسَانُ الْإِشَارَةِ، وَمِنْهُ نَطَقَتْ صُورَةُ الْوُجُودِ، لَيْسَ لِسَانَ عَظْمٍ وَلَا لَحْمٍ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ إِلَى هِدَايَتِهِ».

فَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ الْمَوْلَى بِمَا أَوْضَحَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ أَنَّ الْمِشْكَاةَ هِيَ صُورَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمِشْكَاةُ فِيهَا الْمِصْبَاحُ، وَالْمِصْبَاحُ يُؤَدِّي إِلَى الزُّجَاجَةِ، وَالزُّجَاجَةُ تُؤَدِّي إِلَى الذَّاتِ لِتَقَعَ الْإِشَارَةَ وَالتَّعْرِيفَ إِلَى الظِّلِّ صُورَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ الْمِصْبَاحُ وَبَاطِنُ الْمِصْبَاحِ هُوَ الْمِشْكَاةُ وَبَاطِنُ الْمِشْكَاةِ فَهُوَ نُورُ اللَّاهُوتِ، وَبَاطِنُ النُّورِ هُوَ الذَّاتُ الَّتِي لَمْ تَزَلْ عَنْ كِيَانِهَا وَإِنْ ظَهَرَتْ لِعِيَانِهَا.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا مَعْنَى نِسْبَةِ صُورَةِ الْمِشْكَاةِ إِلَى صُورَةِ الظِّلِّ إِنَّهُمْ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ؟

فَنَقُولُ لَهُ: اِعْلَمْ إِنَّ الصُّورَةَ الظِّلِّيَّةَ هِيَ ظَاهِرُ الضِّيَاءِ وَحِجَابُ الضِّيَاءِ، وَصُورَةُ الضِّيَاءِ هِيَ ظَاهِرُ النُّورِ وَحِجَابُ النُّورِ، وَالنُّورُ هُوَ ظَاهِرُ الذَّاتِ وَحِجَابُ الذَّاتِ، وَإِنَّ صُورَةَ الظِّلِّ هِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ لِأَبْنَاءِ الْبَشَرِ عَلَى هَيْئَتِهِمْ وَأَشْكَالِهِمْ بِالتَّأْنِيثِ وَاللُّطْفِ، لِكَيْ يَفْهَمَ كُلُّ جِنْسٍ عَنْ جِنْسِهِ، لِأَنَّ عَالَمَنَا هَذَا أَدَمِيُّونَ، وَعَالَمَ الْمَلَائِكَةِ نُورَانِيُّونَ، وَلَا يَفْهَمُ

الْجِنْسُ إِلَّا عَنْ جِنْسِهِ، وَغَيْبَتُهُ فِيمَا مِنْهُ ظَهَرَ وَهُوَ أَنْزَعُ مِنَ النَّاسُوتِ قَدِيمٌ بِاللَّاهُوتِ، وَأَنْزَعُ مِنْ الصِّفَاتِ، يَعْنِي الصُّورَةَ الظِّلِّيَّةَ، قَدِيمٌ بِالذَّاتِ.

وَقَالَ الْموَلَى الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ فِي كِتَابِ "الصِّرَاطِ" فِي بَابِ الظُّهُورَاتِ وَالدَّعْوَةِ الْأَوَّلِيَّةِ: «**اِعْلَمْ يَا مُفَضَّلُ إِنَّ النُّجُومَ تَسْرِي فِي اللَّيْلِ لِسَيْرِ الْقَمَرِ، وَتُضِيءُ دُونَهُ إِذَا حَلَّ مَعَهَا، فَإِذَا غَابَ الْقَمَرُ أَضَاءَتِ الضَّوْءَ الَّذِي يُبْهِرُ لِمَنْ يَرَاهُ، فَذَلِكَ ضَوْءُهَا فِي ذَاتِهَا، فَإِذَا ظَهَرَ الْقَمَرُ مَعَهَا، كَانَتْ دُونَهُ، لِأَنَّ لَهَا مَنْزِلَةً فِي خِدْمَتِهِ لَا يَحِلُّهَا سِوَاهُ وَظُهُورُهُ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ هِلَالًا إِلَى أَنْ يَتَكَامَلَ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةُ الْعَالَمِ إِلَى مَوْلَاكَ، لِأَنَّ مَوْلَاكَ عَزَّ عِزّهُ ظَهَرَ فِي الْبَشَرِيَّةِ فِي صُورَةِ الطُّفُولِيَّةِ، وَالزِّيَادَةِ إِلَى كَمَالِ الْقُوَّةِ، وَظَهَرَ فِي النُّقْصَانِ، وَالْكِبْرِ وَالضَّعْفِ، وَكُلُّ ذَلِكَ امْتِحَانٌ لِلْعَالَمِ جَمِيعًا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ، وَاعْلَمْ إِنَّ النَّهَارَ هُوَ الظُّهُورُ، وَاللَّيْلَ هُوَ الْغِيبَةُ**».

فَانْظُرْ يَا أَخِي إِنَّمَا قَالَ الْمَوْلَى جَعْفَرٌ الصَّادِقُ عَزَّ عِزّهُ إِنَّ الْهِلَالَ زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ كَهَيْئَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَهَرَ فِي الْبَشَرِيَّةِ فِي صُورَةِ الطُّفُولِيَّةِ بِالصِّغَرِ وَالْكِبْرِ، وَإِنَّ إِشَارَةَ الْعَالَمِ إِلَى مَوْلَاكَ وَإِنَّ الْإِشَارَتَيْنِ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّ الصُّورَةَ النُّورَانِيَّةَ هِيَ الصُّورَةُ الْبَشَرِيَّةُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْإِشَارَةَ وَقَعَتْ إِلَى الْغَيْبِ الْمَنِيعِ.

نَقُولُ لَهُ: إِنَّ مُوسَى اسْمُهُ الْمُعَظَّمُ مَا اسْتَطَاعَ الرُّؤْيَةَ إِلَى نُورِ الذَّاتِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بِهِ الْقَوْلُ، فَكَيْفَ نَحْنُ عَالَمُ الْمِزَاجِ لَنَا اسْتِطَاعَةٌ إِلَى نُورِ الذَّاتِ.

وَاعْلَمْ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْبَاطِنَ هُوَ الظَّاهِرَ، وَالظَّاهِرَ هُوَ الْبَاطِنَ، وَإِنَّ الظَّاهِرَ هُوَ سَبِيلٌ إِلَى الْبَاطِنِ، وَفِي مَعْرِفَةِ الظَّاهِرِ اسْتَدْلَلْنَا عَلَى مَعْرِفَةِ الْبَاطِنِ.

"تَمَّتْ وَبِالْخَيْرِ عَمَّتْ"